المحرمات على النساء

خالد سيد علي

مكتبة التراث الإسلامي
الكويت

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

حُقُوقُ الطَبع محفوظَة

الطَّبعَة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مكتبة التراث والإيمان

الكويت - حولي - شارع تونس
ص. ب: ٣٤٢١٦ العديلية - الرمز البريدي 73253
هاتف: ٢٦٤٦٨٩٥

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات - ص.ب ٣٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - برج أبو حيدر - خلف دبوس الأصلي - ص.ب ٥٤٨٨/١١٣ هاتف: ٧٠٢٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمداً لله، وصلاة وسلاماً على خير خلقه.

أما بعد:

فإن المرأة أم، وبنت، وأخت، وزوج، وغير ذلك، لا نستطيع أن نتخلى عنها أو نتجاهلها. والتخلي عنها وتجاهلها ظلم لأنفسنا، وجهل بحقيقة أمرنا. والاهتمام بها رفع لمستوى الحياة ومعرفة بها.

لهذا رفع الإسلام من شأنها، وكرمها، وحافظ عليها محافظة كبيرة.. قدرها، وأكرم إنسانيتها، وقرر حقوقها وآدابها وواجباتها، واهتم برعايتها ومكانتها، ودفعها إلى تحمل مسؤولياتها.

وجعل كل هذا قرآناً كريماً يُتلى، دستوراً ونهجاً في الحياة، وحديثاً نبوياً شريفاً وأقوالاً للخلف أخذاً عن السلف.

فلم يجعل الإسلام المرأة على الهامش، ولم تكن المرأة في الإسلام تكملة لعدد، بل هي العدد ذاته.

لقد أعطى الإسلام المرأة من الحقوق ما كانت تتمناه المرأة الغربية والشرقية، ولكن جهل الناس بالإسلام، وعدم فهمهم له جعل الناس يجهلون حقوق المرأة فتخبطوا فيها، وظلموها. لأنهم ساروا وراء من يريد لها الامتهان، ساروا وراء من يريدها أن تكون سلعة رخيصة تباع

وتُشْرَىٰ بأبخس الأثمان. كيف نطالب بحقوق المرأة، بعد أن احترم الإسلام حقوقها، ورفع شأنها. شأننا في ذلك شأن من يبحث عن شيء وهو في يده، كمن أضاع قلماً وهو في جيبه.

إنه الجهل بالدين. لقد أكثر القرآن الكريم من ذكر المرأة وبيان حقوقها، في كثير من آياته.

فكانت سورة النساء من طوال المفصل، وسور أخرى مثل المجادلة والطلاق والنور قرآناً وتشريعاً وعبادة، وآيات كثيرة ومتعددة بين دفتي المصحف كلها عن المرأة وشأنها وما يتعلق بها من أحكام.

كذلك كانت أحاديث النبي ﷺ كثيرة وعديدة ومتنوعة بينت القرآن وفصلت ما فيه من أحكام.

وانتهجت السيرة منهجاً علمياً وفق توجيهات الرسول ﷺ ووصاياه، فابتعد الإسلام في ذلك عن مهانتها في الأديان الوثنية والفلسفات اليونانية والهندية، وأنقذها من تفاهات وعبوديات وأوضاع بهيمية كانت تُجبر أن تخوض مستنقعها القديم والحديث.

إذاً فالإسلام أكرمها غاية الإكرام ولكننا بابتعادنا عن الإسلام جهلنا حقوقها وظلمناها أشد الظلم.

فلقد هُضم حق المرأة في المجتمع الإسلامي في عصور الإنحطاط، فُجرِّدَتْ من حقوقها الشرعية في العلم والعمل وإبداء الرأي، كما بُترت عن وظيفتها التربوية والأسرية وحُصرت في الاستمتاع والاستخدام، فتخلفت عن بناء المجتمع، وضعف دورها في الحياة حتى أصبحت شيئاً مهملاً لا يعتدُّ به.

ونشأ هذا الوضع من نظرة المجتمع لها كإنسان ضعيف غير منتج، إلى جانب هذا أصابها ما أصاب المسلمين من الضعف العام والانحطاط، حتى أضحى كل من الرجل والمرأة نهباً لأطماع الغزو الفكري وغيره.

ثم غزيت أفكار المرأة وأسرتها وافترى عليها بافتراءات شتى، ونسب الغزاة ذلك كله إلى الإسلام والإسلام منه براء.

استغلوا أوضاعها الاجتماعية المريضة، وإهمال مجتمعها لها وحرمانها من حقوقها التي أوجبها لها الإسلام.

وعمدوا إلى مسائلها الفقهية فشوهوها، وإلى مزاياها الشرعية فطمسوها، ثم حاولوا ربطها بالحريات المتفلتة، والعمل المضني، والتعليم المختلط، والمساواة الزائفة مع الرجل. ودفعوا بالمرأة المسلمة وخاصة المثقفة أن تقيم اتحادات نسائية ضمن حركات تحررية يظهر فيها الولاء للحركات النسائية الغربية، وشاركهم الدعاة والداعيات بمحاولاتهم في تغريب المرأة وإعطائها ما لا ينفعها ولا يتناسب معها.

فقويت همم العلماء إلى تنبيهها وتوعيتها ودعوتها إلى اقتباس فضائلها من أصولها الإسلامية العريقة، وإهمال الدخيل والأجنبي من الدعوات والدعايات وراحوا يكتبون عن (فقه) المرأة، ويوضحون مكانتها الإسلامية الرفيعة، ويحمدون لها ما أساء الغزاة فيه من أحكامها وأحوالها.

ويضربون الأمثلة بنماذج من المرأة المسلمة في أدبها ونضالها وقدراتها عبر التاريخ، وهم يهدفون إلى تحصينها من الغزو الأجنبي، وإلى رفع مكانتها في الأسرة، والمجتمع، من منطلق إسلامي، ومنظور أخلاقي رفيع.

لقد بلغت المرأة من الإذلال والمهانة حداً لا يطاق معه السكوت والصبر وهي غافلة عما يراد بها. تارة باسم التحرر، وأخرى باسم الحقوق، وغيرها باسم التقدم والمدنية. وأسماء ومسميات براقة ولماعة لا أساس لها وليس المراد منها سوى إشباع رغباتهم الجنسية الحيوانية المنحطّة.

ولقد نظر المصلحون في أسباب هذا الواقع المنحرف الضال، فكان

من أهم هذه الأسباب: تخلي المرأة عن وظيفتها وخروجها عن طبيعتها، هذا الخروج الذي أنتج هذه الأجيال الضائعة، والذي جعل منها أداة إفساد وتضليل.

وقد كتب الكثير عن المرأة.. أنصاراً وخصوماً، ومن مختلف النواحي، إلا أن القلم يجب أن لا يجف حتى تعود المرأة إلى طبيعتها ووظيفتها في الحياة. وحتى تعرف المجتمعات وضعها السليم.

وهذه مساهمة منا فيما يهم شأن المرأة، تبياناً لبعض ما يجب عليها التنبه له مما يراد بها من شر.

وتبيين وجه الصواب فيما يحرم عليها، ويجب الابتعاد عنه حتى لا تنزلق في مهاوي الرذيلة، ودرك الإنحطاط.

وبمعرفة الحرام يعرف الحلال، بمعرفة المحظور يعرف المطلوب، بمعرفة المنهي عنه يعرف المأمور فيه، إذ بضدها تعرف الأشياء. كما أنه بعدوك تعرف صديقك.

(الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه).

فعلينا أن نحافظ على هذا الحمى وأن نمنع أنفسنا من مجاوزته، كما نمنع نساءنا وأمهاتنا وبناتنا وأخواتنا وعماتنا وخالاتنا وبنات عمنا وبنات عماتنا وبنات خالنا وبنات خالاتنا وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهات نسائنا وكل من يلوذ بنا من الوقوع في الحرام، علينا أن نمنعهم بكل الوسائل المتاحة لنا، والحل الأمثل، والشفاء الأكيد هو في العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيهما الوقاية من كل ضلال، وفيهما صلاح البشرية، فالله هو خالق الإنسان وهو العليم بما يصلحه.

وعلى كل منا أن يتحمل مسؤوليته في إعلاء كلمة الله، وليعلم أنه على ثغْرة من ثغور الإسلام فليحفظها أن لا يُؤتى الإسلام من قبله، وليتق الله عز وجل فيما وكّل إليه حفظه ورعايته.

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

كما أشير إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بيننا ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

لعلّ الله أن يصلح الحال، وتعود الأمور إلى نصابها بفضل وجهود المخلصين من أبناء المسلمين.

ولعلّ المرأة المسلمة تعود إلى إسلامها، تربي الجيل الذي يفتح الله به قلوباً غُلْفاً، وعيوناً عمياً، وآذاناً صماً بإذنه تعالى.

إذ إن عودة المرأة المسلمة إلى الله تعالى في هذا العصر الحاضر تتطلب إضاءة الطريق أمامها لتعرف رسالتها ومسؤوليتها والتحديات التي تواجهها حتى تستطيع أن تتلمّس طريقاً صحيحاً وتتعرف إلى مهمتها الأصيلة وتستمسك بها على طريق الله تبارك وتعالى وهو طريق الحق، عليها أن تثبت في وجهه المغريات والأهواء، وعوامل الإخضاع وأساليب السخرية فإن لها من الله الأجر الجزيل إذا حفظت أمانتها وكرامتها وعرضها وارتفعت فوق الأهواء الباطلة والزائفة. لها حياة طيبة في الدنيا تقدم بها إلى الأمة أجيالها القادرة على حمل الأمانة، ولها من الله حسن الجزاء في الآخرة. هذا وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة وثلاثين مبحثاً:

- المبحث الأول: في النظر.
- المبحث الثاني: في الزنا.
- المبحث الثالث: في الجهاز التناسلي.
- المبحث الرابع: في الشذوذ الجنسي.
- المبحث الخامس: في السحاق.

ـ المبحث السادس: في العادة السرية.
ـ المبحث السابع: في إسقاط الحمل.
ـ المبحث الثامن: في التبرج.
ـ المبحث التاسع: في الملابس والأزياء.
ـ المبحث العاشر: في الاختلاط.
ـ المبحث الحادي عشر: في الرقص.
ـ المبحث الثاني عشر: في وصف النساء للرجال.
ـ المبحث الثالث عشر: في الدخول في البيوت.
ـ المبحث الرابع عشر: في التطيب.
ـ المبحث الخامس عشر: في وسائل التجميل.
ـ المبحث السادس عشر: في الخلوة.
ـ المبحث السابع عشر: في السفر.
ـ المبحث الثامن عشر: في المصافحة ولمس البشرة.
ـ المبحث التاسع عشر: في الحمامات.
ـ المبحث العشرون: في الجنائز والقبور.
ـ المبحث الحادي والعشرون: في الخروج من البيت.
ـ المبحث الثاني والعشرون: في التحرر.
ـ المبحث الثالث والعشرون: في اللباس والزينة.
ـ المبحث الرابع والعشرون: في تغيير خلق الله.
ـ المبحث الخامس والعشرون: في التشبه.
ـ المبحث السادس والعشرون: في التصوير.
ـ المبحث السابع والعشرون: في الزواج.
ـ المبحث الثامن والعشرون: في الغناء.
ـ المبحث التاسع والعشرون: في الصحافة والكتب والمجلات.
ـ المبحث الثلاثون: في المراهقة.

ـ المبحث الحادي والثلاثون: في بعض المحرمات على النساء.
ـ المبحث الثاني والثلاثون: في بعض الأحكام المتعلقة بالمرأة.
ـ المبحث الثالث والثلاثون: في أحكام تخالف فيها المرأة الرجل.

هدانا الله جميعاً إلى طريق الحق والخير، وبصرنا بعيوبنا حتى نجتنبها، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والله من وراء القصد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب أبو علاء
الكويت ١٩٩٧/١/١ م

تخويف النساء من الذنوب

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«قمت على باب الجنة، فإذا عامة من دخلها المساكين، وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء»[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ فصلى قبل أن يخطب، وصلى بغير أذان ولا إقامة، قال: فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن، وذكّرهن، وأمرهن بالصدقة، وقال: «إن في الجنة ما منكنّ ليسير» قال: فقالت امرأة: لم يارسول الله؟ قال: «لأنكنَّ تكثرن اللعن، وتكفرن العشير»[2].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من الصبح يوماً، فأتى النساء فوقف عليهن فقال: «يا معشر النساء، ما رأيت من نواقص عقل ودين أذهب لعقول ذوي الألباب منكن، وإني قد رأيت أنكنّ أكثر أهل النار، فتقربن إلى الله ما استطعتن»[3].

عن أبي راشد الحبراني قال: قال عبد الرحمن بن شبل: قال رسول الله ﷺ: «إن الفسّاق أهل النار» قيل: يا رسول الله، ومن الفسّاق؟ قال: «النساء» قال رجل: يا رسول الله، أو ليس أمهاتنا وأخواتنا

---

(١) البخاري في الرقاق. مسلم بشرح النووي ٨/ ٨٧.

(٢) البخاري العيدين. مسلم ١/ ٨٦ في الإيمان ابن ماجه ٢/ ١٣٢٦.

(٣) البخاري ١/ ٦٤ في الحيض مسلم ٢/ ٦٢٦ الإيمان أبو داود ٤/ ٢١٩ في السنة.

وأزواجنا؟ قال: بلى، ولكنهن إذا أعطين، لم يشكرن، وإذا ابتلين لم يصبرن»[1].

وكل حديث من هذه الأحاديث ورد بروايات متعددة ومختلفة فيا أيتها النساء عوداً إلى الله ورجوعاً إليه وتوبة صالحة نصوحة، حتى لا تقعن ضمن هذه الأحاديث، وتقع عليكن اللعنة.

عليكن بالتوبة والإنابة والمحافظة على شرع الله، واتباع أوامره، والوقوف على هدي النبي ﷺ حتى تخرجن من اللعن والطرد.

فالعاقل من اتعظ بغيره.

أيتها النساء أنتن أمهاتنا وبناتنا وأخواتنا إنَّ أمركن يهمنا لا تكونن سبباً لتعاسة أنفسكن وتعاسة من يلوذ بكن.

اقتدين بالسابقات الفاضلات القانتات العابدات، سرن على سيرهن حتى يوفقكن ربكن ويجعلكن من الناجيات.

* * *

---

(١) المسند ٣/٤٢٨ ـ ٤٤٤/ مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٤.

المبحث الأول في

النظر

(تحريم النظر إلى الرجال الأجانب والنهي عنه)

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

أنزل الله عز وجل هذه الآيات الكريمة للنصح والتحذير.

فأمر الرجال بغض الأبصار وحفظ الفروج، وأمر النساء بذلك أيضاً. كما أمرهن بستر الزينة.

وفي هذه الآيات الكريمة حكم من أحكام صيانة الأعراض، وحفظ الأنساب، وحياطة أواصر الأسرة من أن تلعب بها الأهواء، وإحكام الروابط حتى لا تعبث بها يد الفساد.

والإسلام عندما يأمر بغض البصر فإنه يحفظ على الإنسان نفسه، فمن سرّح ناظره أتعب خاطره، ومن كثرت نظراته ضاعت أوقاته ودامت حسراته.

---

(١) سورة النور: ٣٠ـ٣١.

وذكر في حسن الأسوة: خصّ الإناث بهذا الخطاب على طريق التأكيد لدخولهن تحت خطاب المؤمنين تغليباً كما في سائر الخطابات القرآنية وعن مقاتل قال: بلغنا أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت يزيد كانت في نخل لها لبني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا، فأنزل الله في ذلك هذه الآية.

وبالجملة لا يحل للمرأة أن تنظر إلى الرجل لأن علاقتها به كعلاقته بها، وقصدها منه كقصده منها[1].

قال الشاعر:

وكنت متى أرسلتَ طرفَك رائداً لقلبـك يـومـاً أتعبتْـك المنـاظـرُ
رأيـتَ الـذي لا كلـه أنـت قـادر عليه ولا عن بعضِه أنت صابر

النظر للعورات

ومما يجب غض البصر عنه العورات، فقد نهى النبي ﷺ عن النظر إلى العورات، ولو كان من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة بشهوة أم بغير شهوة، قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[2].

وعورة الرجل التي لا يجوز النظر إليها من رجل أو امرأة، تتحدد فيما بين السرة والركبة، كما ورد في الحديث. ويرى بعض الأئمة كابن حزم وبعض المالكية أن الفخذ ليس بعورة.

وعورة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبي عنها هي جميع بدنها ما عدا

---

(١) حسن الأسوة: /١٥١/.
(٢) الحلال والحرام.

وجهها وكفيها، أما عورتها بالنسبة لمن كان ذا مَحْرم منها كأبيها وأخيها تتحدد فيما عدا مواضع الزينة الباطنة من مثل الأذن والعنق والشعر والصدر والذراعين والساقين، فإن إبداء هذه الزينة لهؤلاء الأصناف جائز كما ورد في الآية وما عدا ذلك من مثل الظهر والبطن والسوءتين، والفخذين، فلا يجوز إبداؤه لامرأة أو لرجل إلا للزوج.

وما لا يجوز النظر إليه من العورات لا يجوز أن يمس باليد أو بجزء من البدن وما ذكرنا تحريمه من العورات ـ نظراً ولمساً ـ مشروط بعدم الضرورة أو الحاجة، فإذا وجدت كما في حالة الإسعاف أو العلاج فقد زالت الحرمة. وكل ما ذكرنا من جواز النظر مشروط بأمن الفتنة والشهوة، فإن وجدت فقد زالت الإباحة.

النظرة من سهام إبليس

قال عليه الصلاة والسلام: «النظرة سهم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[١]. وهو حديث قدسي.

ويقول الشاعر مشيداً بقوة الإرادة:

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته ... يوم النزال ونار الحرب تشتعل
لكن فتى غضّ طرفاً أو ثنى بصراً ... عن الحرام فذاك الفارس البطل

أجل: فالنظر سهم مسموم من سهام إبليس. وهو رسول الشهوة، وبريد الزنا، ورائد الفجور والفتنة، وفيه من المضار الدينية والدنيوية، ما لا يخفى على ذوي العقول السليمة، والأفكار الراجحة.

ورُبَّ نظرة جلبت حسرةً، وكانت بذرةً لأخبثِ شجرة، وربَّ شهوة أورثتْ حزناً طويلاً.

---

(١) رواه أحمد والطبراني وأخرجه الحاكم وصححه عن حذيفة مرفوعاً.

قال الشاعر:

كلُّ الحوادثِ مبداها من النظرِ ... ومعظمُ النار من مُستصغر الشرر
والمـرءُ مـا دام ذا عيـنٍ يقلّبهـا ... في أعينِ الغِيْد موقوف على خطر
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها ... فعْـلَ السهـام بـلا قـوسٍ ولا وتـرِ
يسـرُّ نـاظـرَه مـا ضـرَّ خـاطـرَه ... لا مـرحبـاً بسـرور جـاء بـالضـرر

النظرة فاتحة الشر

وقال أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك:

نظرة فابتسامةٌ فكلام فموعد فلقاءُ

فالنظرة فاتحة الفتنة وتجر إلى اختلاط الرجال بالنساء المنهي عنه شرعاً لسوء عاقبته.

وهذا هو السِّرُّ في أن الشارع الحكيم نهى عن النظر إلى الرجال الأجانب وأمر النساء والرجال بغض النظر كما هو ظاهر في الآية.

فعلى المرأة أن تغض نظرها في سيرها، فلا تنظر هنا وهناك لغير حاجة، وإذا احتاجت إلى محادثة الرجال تتحدث إليهم بعاديّ الكلام، لا تلين صوتها، ولا تخضع به، ولا تضحك بصوت فيطمع الذي في قلبه مرض.

توجيه آية ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

وفي تفسير القرطبي:

قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فقد خص الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد. فإن قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يكفي، لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين، حسب كل خطاب عام في القرآن.

وظهر التضعيف في ﴿يَغْضُضْنَ﴾ ولم يظهر في ﴿يَغُضُّواْ﴾ لأن لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الأول متحركة، وهما في موضع جزم جواباً.

وبدأ بالغَضّ قبل الفرج لأن البصر رائد للقلب، كما أن الحمّى رائد الموت.

وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

ألم تر أن العين للقلب رائد ... فما تألف العينان فالقلب آلف

قال مجاهد: إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر، فإذا أَدْبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر.

قال ﷺ: «يا علي، لا تُتْبع النظرةَ النظرةَ، فإن لك الأولى، وليست لك الثانية»[١] وفي رواية «اصرف بصرك»[٢].

وقال خالد بن أبي عمران: لا تُتْبِعَنّ النظرة النظرة فربّما نظر العبد نظرة نَـغِلَ[٣] منها قلبه كما يَنْغَلُ الأديم فلا ينتفع به.

فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عمل لا يحلّ، فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة، ولا المرأة إلى الرجل، فإن علاقتها به كعلاقته بها، وقصدها منه كقصده منها.

النظر بريد الزنى

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لما سأله جابر عن نظرة الفجاءة: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْل زناها الخطى. والقلب يهوى ويتمنى ويصدّق ذلك الفرج ويكذبه»[٤] اهـ القرطبي.

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود.

(٢) أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وذلك لما سأله جابر عن نظر الفجاءة.

(٣) النَّغَلُ: بالتحريك: فساد الأديم في دباغه إذا ترقَّت وتَفَتَّتَ.
نَغِلَ الأديم: بالكسر نَغْلاً، فهو نَغِلٌ: فسد في الدباغ. اهـ لسان العرب.

(٤) صحيح مسلم ٤/٢٠٤٧ باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره وفي صحيح =

قال محمد فؤاد عبد الباقي: في التعليق على الحديث.

ومعنى الحديث: أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنى، فمنهم من يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الفرج الحرام. ومنهم من يكون زناه مجازاً بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنى وما يتعلق بتحصيله، أو بالمس باليد أو بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها. أو بالمشي بالرجل إلى الزنى أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك. أو بالفكر بالقلب.

فكل هذه أنواع من الزنى المجازيّ، والفرج يصدّق ذلك كله أو يكذبه. معناه: أنه قد يحقق الزنى بالفرج وقد لا يحققه، بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك.

وقال القرطبي متابعاً تفسير الآية:

وقال الزهري في النظر إلى التي لم تحِضْ من النساء:

لا يصلح النظر إلى شيء منهنّ ممن يُشْتَهىٰ النظر إليهنّ وإن كانت صغيرةً، وكره عطاء النظر إلى الجواري اللاتي يبعْنَ بمكة إلا أن يريد أن يشتري.

وفي الصحيحين عنه عليه السلام أنه صرف وجه الفضل عن الخَثْعَمِيّة حين سألته، وطفقَ الفضل ينظر إليها[1].

= البخاري ٥/ ٢٣٠٤ طبعة دار اليمامة ودار ابن كثير.
قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة. فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

(١) في البخاري عن ابن عباس قال: كان الفضل رديف النبي ﷺ فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: نعم.

وقال عليه السلام: «الغيرة من الإيمان، والمِذاء من النفاق».

والمذاء: هو أن يجمع الرجل بين النساء والرجالِ ثم يخلّيهم يُماذي بعضهم بعضاً مأخوذ من المَذْيِ. وقيل: هو إرسال الرجال إلى النساء، من قولهم: مذيت الفرس إذا أرسلتها ترعى. وكل ذكر يمذي، وكل أنثى تقذي، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له، أو لمن هي محرّمة عليه على التأبيد، فهو آمن من أن يتحرّك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها. اهـ القرطبي.

* * *

النظر من النوافذ

قال ابن الجوزي:

ويكره للمرأة أن تطلع من الخوخات[1] لأنها ترى الرجال ولا يؤمن أن تتأذى برؤيتهم كما يتأذون برؤيتها.

وعن محفوظ بن علقمة عن أبيه أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل بيته فرأى امرأته تنظر من خرق في القبة فضربها. قال: وكان معاذ يأكل تفاحاً ومعه امرأته، فمرّ غلام له، فناولته امرأته تفاحة قد عضتها فضربها معاذ[2].

قال ابن الجوزي:

ومن المنكرات: إطلاع النساء على الشباب إذا اجتمعوا في الدعوات لأنه لا يؤمن الفتنة.

وعن سعيد بن المسيب: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لفاطمة: ما خير للنساء؟ قالت: ألا ترى الرجال ولا يرونهنّ، فقال علي: فذكرت ذلك للنبي فقال: (إنما فاطمة بضعة مني)[3].

قال ابن الجوزي: قلت: قد يشكل هذا على من لا يعرفه، فيقول: الرجل إذا رأى المرأة خيف عليه أن يفتن، فما حال المرأة؟ فالجواب: إن

---

(١) الخوخة: كوة تؤدي الضوء إلى البيت. كما تطلق: على الباب الصغير في وسط الباب الكبير (البوابة) المؤدي إلى باحة الدار.

(٢) الطبقات الكبرى ٣/ ١٢٣.

(٣) كشف الأستار ٢/ ١٥١.

النساء شقائق الرجال، فكما أن المرأة تعجب الرجل، فكذلك الرجل يعجب المرأة وتشتهيه كما يشتهيها، ولهذا تنفر من الشيخ، كما ينفر الرجل من العجوز.

أفعمياوان أنتما

عن نبهان مولى أم سلمة: أنه حدّثه أن أمَّ سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونةُ قالت: فبينا نحن عنده، أقبل ابنُ أمِّ مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أُمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يُبْصِرُنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: أفعمياوانِ أنتما؟ ألستما تُبْصِرانه؟

قال أبو عيسى: ـ أي الترمذي ـ هذا حديث حسن صحيح[١].

النظر فتنــة

واتقاءً لفتنة الرجال بالنساء، والعكس، أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغضِّ الأبصار عما لا يحل من الجنسين، وسوّاهما تعالى في هذا الحكم، لأنهما شقيقان في الطبع والغرائز والأحكام.

وغضّ البصر معناه: الخفض، وإطباق الجفن على العين، بحيث يمنع الرؤية، وقد يكون بمجرد صرف البصر عن المنهي عنه.

والمقصود بآية غض البصر. أن غض البصر واجب عمّن لا يحل النظر إليهن من النساء، وذلك لأن النظر بريد الزنا، ورائد البلاء والفجور.

قال أبو حامد الغزالي[٢] رحمه الله: إن العين مبدأ الزنا، فحفظها مهم، وهو عسير من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه،

---

(١) الترمذي ٥/ ١٠٢. باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال وأبو داود ٤/ ٦٣ وابن حبان موارد الظمآن ٤٨٣.

(٢) الإحياء ٣/ ١٠٢.

والآفات كلها عنه تنشأ، والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها، والمعاودة يؤاخذ بها.

وقال العلاء بن زياد: أحد النساك الزهاد: لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة، وقلّما يخلو الإنسان من ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان[1].

تحدّث ابن القيم عن الزنا، فقال عن النظر:

ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر، جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن كل الحوادث مبدؤها من النظر، تكون نظرة، ثم تكون خطرة ثم خطوة، ثم خطيئة.

فأما اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج فمن أطلق نظره، أورد نفسه موارد الهلاك.

والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان.

ومن آفاته:

أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى الإنسان ما ليس قادراً عليه، ولا صابراً عنه، وهذا من أعظم العذاب[2].

وقال ابن الحاج في حاشيته على شرح مياره (للمرشد المعين):

ووقع الإجماع على أن النظر أعظم الجوارح آفة على القلب، وأسرع الأمور في خراب الدين والدنيا.

نظرُ العيون إلى العيون هو الذي   جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلا

وفي الحديث عن المحرمات يقول ولي الله الدهلوي رحمه الله:

وأنت ترى الرجل يقع بصره على محاسن امرأة أجنبية، فيتولّه بها،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٤٤.

(٢) الجواب الكافي ١٢٩.

ويقتحم في المهالك لأجلها، فما ظنُّك فيمن يخلو معها وينظر إلى محاسنها ليلاً ونهاراً[1].

وقال أبو الأعلى المودودي رحمه الله:

ومن ذا الذي يكابر في أن كل ما حصل في الدنيا إلى هذا اليوم، ولا يزال يحدث فيها من الفحشاء والفجور، باعثه الأول الأعظم هو فتنة النظر.

وقال الفخر الرازي:

النظر بريد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يحترس منه، ويرحم الله من قال:

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها   فتك السهام بلا قوس ولا وتر[2]

وكما جاء الأمر بغض الأبصار في القرآن الكريم، جاء كذلك في السنة المطهرة عن سيدنا رسول الله ﷺ.

جاء الأمر بغض البصر، عن النظر إلى المحرمات، ورفع الحرج والإثم عن نظر الفجأة.

نظر الفجــاءة

فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأه فقال: «اصرف بصرك» وفي رواية «اطرق بصرك» وفي رواية فأمرني أن أصرف بصري[3].

والفجاءة: هي المباغتة. قال النووي في شرح مسلم: ومعنى نظر الفجأة: أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول

---

(١) حجة الله البالغة ٦٩٩٢.

(٢) التفسير ٢٣/ ٢٠٥

(٣) مسلم / ١٤ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩/ .

ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف فلا إثم عليه، وإن استدام أَثِم. ثم نقل عن القاضي عياض رحمه الله: إنه يجب على الرجال غض البصر عن النساء في جميع الأحوال إلا لغرض صحيح شرعي، وهو الشهادة والمداواة، وإرادة الخطبة قال: وإنما يباح في جميع هذا قدر الحاجة.

كما ورد النهي عن إتباع النظرة النظرة، وتردادها المرة بعد المرة، والترخيص في النظرة الأولى.

عن بريدة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي:

«يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الأخرى»(١).

غض البصر من حق الطريق

كما جعل الرسول ﷺ غض الأبصار من حقوق الطريق التي تلزم كل جالس فيها، حتى لا تتخذ الطرقات ذرائع للترَفّه بمحاسن النساء، وتأمّل مفاتن الغاديات والرائحات، كذلك بعض النساء يجلسن في الطرقات وينظرن إلى الغادي والرائح ويكثر هذا في القرى أمام البيوت.

كما جاء عن نبينا ﷺ تسمية النظر زنا وأن العين لها حظ وافر من ذلك كالفرج وبقية الجوارح.

وبالجملة فتهذيب نفوس الجنسين، وضبط وتطويع الغريزة لا يتحقق إلا بغض البصر، والبعد به عما لا يحل.

---

(١) أحمد /٥/ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٧/.

النظرة البريئـة

ويقول القرضاوي:

إن النظرة البريئة إلى غير عورة من الرجل أو المرأة حلال ما لم تتخذ صفة التكرار والتحديث الذي يصحبه ـ غالباً ـ التلذذ وخوف الفتنة.

ومن سماحة الإسلام أنه عفا عن النظرة الخاطفة، التي تقع من الإنسان فجأة حين يرى ما لا تباح له رؤيته فعن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فقال: «اصرف بصرك» يعني لا تعاود النظرة مرة ثانية.

نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي

اتفق الفقهاء على حرمة نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي إن كان بشهوة، وتلذذ، واختلفوا في ما يجوز لها أن تنظره منه عند عدم الشهوة إلى مذاهب:

١ ـ لا يجوز لها أن تنظر منه إلا إلى مثل ما يجوز له أن ينظر إليه منها، قاله الشافعي في أحد قوليه[١]، وأبو بكر[٢] من الحنابلة.

واستدل هؤلاء بما يلي:

أ ـ لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾.

ب ـ ولما روي الزُّهْري عن نبهان عن أم سلمة قالت: كنت قاعدة عند النبي ﷺ أنا وحفصة فاستأذن ابن أم مكتوم، فقال النبي ﷺ: «احتجبن منه، فقلت: يا رسول الله إنه ضرير لا يبصر قال: أَفَعمياوان أنتما لا تُبصِرانه؟»[٣].

---

(١) نهاية المحتاج ٦/ ١٩٤، مغني المحتاج ٣/ ١٢٣.

(٢) المغني ٦/ ٥٦٣، الإنصاف ٨/ ٢٥.

(٣) رواه أبو داود ٢/ ٣٨٤.

ووجه الاستدلال من الآية:

إن نظر النساء إلى الرجال لو كان مباحاً لما أمر النبي ﷺ زوجتيه بالاحتجاب عن ابن أم مكتوم ـ وهو أعمى ـ ويؤيد ذلك إنكاره عليهما إبصارهما إياه.

ج ـ ولأن الله تعالى أمر النساء بغض أبصارهن كما أمر الرجال، كما تقدم في الآية.

د ـ ولأن النساء أحد نوعي الآدميين فحرم عليهن النظر إلى النوع الآخر قياساً على الرجال، وذلك لأن المعنى المحرم للنظر هو خوف الفتنة، وهذا في المرأة أبلغ فإنها أشد شهوة، وأقل عقلاً فتسارع الفتنة إليها أكثر[1].

٢ ـ وذهب المالكية والحنفية في المرجوح عندهم، ورواية عن أحمد إلى أنه يحل للمرأة أن تنظر من الرجل الأجنبي عنها، ما يحل للرجل أن ينظره من ذوات محارمه من النساء، وهو الوجه والأطراف: كالعنق والرأس والذراع، وظاهر القدم.

٣ ـ وذهب الحنفية والحنابلة في الراجح عندهم إلى أنه يجوز للمرأة أن تنظر من الرجل الأجنبي عنها إلى غير ما هو عورة منه، وحدها عند الحنفية ما بين سرته حتى يجاوز ركبته، وعند الحنابلة ما بين السرة والركبة.

واستدل الفريق الثاني والثالث بما يلي:

أ ـ بقول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: «إعْتَدِّي في بيت ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك فلا يراك»[2] مُتفق عليه.

---

(١) نيل الأوطار ٦/ ١٣٣.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٢٣.

ب ـ وبحديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد» متفق عليه.

جـ ـ وبحديث ابن عباس: فعن عبد الرحمن بن عابس قال: سمعت ابن عباس قيل له: أشهدت العيد مع النبي ﷺ؟ قال: نعم. ولولا مكاني من الصغر، ما شهدته حتى أتى العَلَمَ الذي عند دار كثير بن الصلت فصلى ثم خطب. ثم أتى النساء ومعه بلال، فوعظهُنَّ وذكرَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ بالصدقةِ فرأيتهُنَّ يهوينَ بأيديهِنَّ يقذِفْنَهُ في ثوبِ بلال، ثم انطلق هو وبلالٌ إلى بيته»(١).

د ـ ولأنهُنَّ لو منعن النظر لوجب على الرجال الحجاب كما وجب على النساء لئلا ينظرن إليهم.

٤ ـ يجوز للمرأة أن تنظر من الرجل جميع جسده إلا القبل والدبر وهذا رأي الظاهرية.

نظر المرأة إلى محارمها من الرجال

ذهب جمهور الفقهاء إلى القول بجواز نظر المرأة إلى محارمها من الرجال بنسب أو مصاهرة أو رضاع وتنظر إلى جميع البدن ما عدا ما بين السرة والركبة على أن لا يصاحب هذا النظر شهوة(٢).

أما بالنسبة للمس المرأة لمحرمها، فما حل لها رؤيته يحل لها مسه إذا أمنت الشهوة وإلا فلا. أي يجوز لها أن تنظر منه ما يجوز له أن ينظر منها.

وأما قريبة الرجل من غير المحارم، كبنت العم، وبنت الخال، وبنت العمة، وبنت الخالة، وزوجة الأخ أو أخت الزوجة، فهي أجنبية عنه تماماً ولا يحل لها أن تنظر منه إلا كما يحل للمرأة الأجنبية أن تنظره من الرجل،

---

(١) المُحلّى ٢/ ١٥٣.

(٢) نهاية المحتاج ٦/ ١٩٥.

وأما حكم المس فيحرم عليهن مس ما حل لهن رؤيته منه مطلقاً، بشهوة وبدون شهوة، حتى المصافحة، لقوله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» رواه الطبراني عن معقل بن يسار.

النظر بين النساء المسلمات

١ ـ ذهب جمهور الفقهاء إلى القول بأنه يجوز للمرأة المسلمة أن تنظر من المرأة المسلمة إلى جميع بدنها ما عدا ما بين السرة والركبة، أي كما يباح للرجل أن ينظره من الرجل[١].

٢ ـ وهناك رأي مرجوح في مذهب الحنفية يقول تنظر المرأة المسلمة من مثلها كما ينظر الرجل من محارمه من النساء. أي تنظر إلى رأسها ووجهها وصدرها وعضديها وساقيها[٢].

٣ ـ وذهب الظاهرية إلى جواز نظرها إلى جميع جسمها ما عدا القُبل والدُّبر[٣].

أدلـة الجمهور:

لأنه ليس في نظرة المرأة إلى المرأة خوف الشهوة والوقوع في الفتنة، كما لا يكون ذلك في نظر الرجل إلى الرجل. فلو خافت الشهوة والوقوع في الفتنة عليها أن تجتنب عن النظر كما يجتنب الرجل عن النظر إلى الرجل عند خوف الفتنة[٤].

ويجوز لها أن تنظر ما بين سرتها إلى ركبتها إلا عند الضرورة بأن كانت

---

(١) شرح الدردير على مختصر خليل ١/ ٩١، بدائع الصنائع ٥/ ١٢٤، المغني ٦/ ٥٦٢.

(٢) الدر المنتقى ٢/ ٥٣٠.

(٣) المحلّى ٧/ ٣٩.

(٤) السراج الوهاج ٣٦١، بدائع الصنائع ٥/ ١٢٤.

قابلة، فلا بأس لها أن تنظر إلى الفرج عند الولادة، ولا بأس أن تنظر إليه أيضاً لمعرفة البكارة في امرأة العِنِّين، وكذلك إذا كان بها جرحٌ أو قرحٌ في موضع لا يحل للرجال النظر إليه، فلا بأس أن تداويها إذا كانت تعلم المداواة، فإن لم تكن تعلم ذلك، تعلم، ثم تداويها(١).

ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى بطن المرأة أو ظهرها عن شهوة.

وجاء في الفتاوي الهندية نقلاً عن التتار خانية والتتمة، أنه لا يجوز للمرأة المستحاضة أو الحائض أن تنظر إلى فرجها وقت كل صلاة لتعلم أطهرت أم لا(٢).

نظر غير المسلمة إلى المسلمة

أولاً: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن غير المسلمة في نظرها إلى المسلمة كالأجنبي(٣)، لا يحل لها أن ترى منها غير الوجه والكفين. واستدلوا:

أ ـ بقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ فقد فسَّرها الجمهور بالحرائر المسلمات. فقد ذكر الإمام الشوكاني في تفسيره قال: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني المسلمات. وتدخل في هذا الاماء المؤمنات، ويخرج منه نساء المشركين من أهل الذمة وغيرهم، فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئاً من بدنها بين يدي امرأة مشركة(٤) إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾.

ب ـ ما ورد عن عُبادة بن نُسَيْ أن عمر بن الخطاب كتب إلى

---

(١) الفتاوى الهندية ٥/ ٣٣٠.

(٢) نفس المرجع.

(٣) بُلغة السالك ١/ ١٠٥، حاشية الدسوقي ١/ ٢١٣، مغني المحتاج ٣/ ١٣٢، الدر المنتقى ٢/ ٥٣٩.

(٤) تفسير فتح القدير ٤/ ٢٦ للشوكاني.

أبي عبيدة بن الجراح: أنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمَّامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك، وحل دونه فإنه لا يجوز أن ترى الذِّمية عرية[1] المسلمة.

قال: فعند ذلك قام أبو عبيدة وابتهل وقال: أيما امرأة تدخل الحمَّام من غير عذر لا تريد إلا أن تبيض وجهها فسوَّد الله وجهها يوم تبيضُّ الوجوه.

ج - إن كشف المسلمة عن جسمها أمام الكافرة ربما يؤدي إلى أن تصفها لزوجها أو أحد أقاربها كأخيها مثلاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحل للمسلمة أن تراها يهودية أو نصرانية، لئلا تصفها لزوجها. فإن كانت كافرة أمة لمسلمة جاز أن تنظر إلى سيدتها، وأما غيرها فلا، لانقطاع الولاية بين أهل الإسلام ولما ذكرناه. والله أعلم[2].

وجاء في شرح الأستاذ عبد الغني النابلسي على هدية العارفين عن شرح والده الشيخ إسماعيل على «الدرر والغرر»: لا يحل للمسلمة أن تتكشف بين يدي يهودية أو نصرانية أو مشركة إلا أن تكون أَمَةً لها. ولا ينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر إليها المرأة الفاجرة لأنها تصفها عند الرجال، فلا تضع جلبابها ولا خمارها. كما في السراج. أ. هـ[3].

وقال النووي: وسائر الكافرات كالذميّة[4].

وعلى هذا يلزم المسلمة الاحتجاب منها لقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ وليست الكافرات من نسائهن، أي من نساء المؤمنات، لأنه لو جاز لها النظر إلى المسلمة لم يبق للتخصيص فائدة، وصحَّ عن عمر رضي الله عنه

---

(١) عُرية المرأة: ما يعرى منها وينشكف.

(٢) القرطبي ١٢/ ٢٣٣.

(٣) حاشية ابن عابدين ٦/ ٣٧١.

(٤) كفاية الأخيار ص٤٥.

أنه منع الكتابيات من دخول الحمَّام مع المسلمات، ولأنها ربما تحكيها للكافر[1]. وهذا إذا لم تكن من محارمها.

وأما نظر المسلمة إلى الكافرة فجائز لانتفاء العلة المذكورة سابقاً وهي وصفها للرجال.

ثانيــاً: ذهب الحنابلة[2] في القول الراجح عندهم إلى أن نظر غير المسلمة إلى المسلمة كنظر المسلمة إلى المسلمة، ويمنع أحمد أن تكون غير المسلمة قابلة للمسلمة.

واستدلوا بما يلي:

١ ـ إن نساء أهل الكتاب كُنَّ يدخلن على نساء النبي ﷺ، فلم يكُنَّ يحتجبن ولا أُمِرْنَ بحجاب. قالت عائشة رضي الله عنها: جاءت يهودية تسألها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر: فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن ذلك وذكر الحديث.

٢ ـ قالت أسماء رضي الله عنها، قدمت عليّ أمي وهي راغبة ـ يعني عن الإسلام ـ فسألت رسول الله ﷺ أَصِلُها؟ قال: نعم.

٣ ـ ولأن الحَجْبَ بين الرجال والنساء لمعنى لا يوجد بين المسلمة والذمية، فوجب أن لا يثبت الحجب بينهما كالمسلم على الذمي.

٤ ـ ولأن الحجاب إنما يجب بنص أو قياس، ولم يوجد واحد منهما. وأما قوله تعالى: ﴿أو نسائهن﴾ فيحتمل أن يكون المراد جملة النساء.

الترجيح:

بعد عرض آراء الفقهاء وأدلتهم في مسألة نظر غير المسلمة إلى المسلمة أرى أن رأي جمهور الفقهاء أقوى وأرجح لما يلي:

---

(١) نهاية المحتاج ٦/ ١٩٤، السراج الوهاج ص٣٦١.

(٢) المغني ٦/ ٥٦٣.

إن أدلة المخالفين للجمهور لا تقوم دليلاً على ما ذهبو إليه، فحديث عائشة ليس فيه دلالة على أنها كانت تتكشف أمام نساء أهل الكتاب، وكل ما فيه إخبار عن دخولهن على نساء الرسول ﷺ، وسؤالهن في بعض الأمور، وهذا لا يستدعي أكثر من رؤية الوجه.

وأما قول أسماء، فلا يدل على أكثر من جواز صلة الرحم بين الفرع المسلم والأصل الكافر، وحسن المعاملة.

ومما يؤيد هذا، ما ذهب إليه الإمام العز بن عبد السلام، حيث طالب ولاة المسلمين بمنع النساء الفاسقات بعدم دخول الحمَّامات مع النساء العفيفات المؤمنات، وجعل حكمهن في النظر كحكم الذميات حيث قال: «إن المرأة الفاسقة في النظر إلى المسلمة حكمها حكم الذمية فيجب على ولاة الأمور منع الذميات والفاسقات من دخول الحمَّامات مع المحصنات من المؤمنات، فإن تعذر ذلك لقلة ولاة الأمور بإنكار ذلك، فلتحترز المؤمنة الحرة من الكافرة الفاسقة[١].

وذهب إلى مثل هذا الحنفية أيضاً[٢].

فإذا كان نظر الفاسقة إلى المرأة المسلمة محظور، فنظر غير المسلمة يكون محظوراً من باب أوْلى.

ويدخل تحت لفظ الفاسقة كل متهتكة في لباسها، فاقدة للحياء من نساء هذا الزمن، لأن تكشف المؤمنة المحصنة أمام هؤلاء غير مأمون، لأنها تصفها للرجال الذين لا يحل لهم أن ينظروا إليها، وهي ممنوعة من وصفها للرجال بنص حديث رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها»[٣]. والله أعلم.

---

(١) السراج الوهاج ص٣٦١، مغني المحتاج ٣/ ١٣٢.

(٢) حاشية ابن عابدين ٦/ ٣٧١.

(٣) رواه البخاري ٧/ ٤٩

النظر بين الزوجين:

ذهب جمهور الفقهاء إلى إباحة نظر كل من الزوجين إلى صاحبه ما عدا الفرج.

وأما النظر إلى الفرج فقد اختلفوا فيه كما يلي:

أولاً: ذهب الشافعية والحنابلة في رواية مرجوحة إلى كراهة النظر إلى باطن الفرج وظاهره(١).

وقال المالكية بكراهة النظر إلى الباطن فقط، وإباحة النظر إلى الظاهر(٢) وقد استدل هؤلاء بما يلي:

١ - ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيته من رسول الله ﷺ ولا رآه مني»(٣).

٢ - ما رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: «النظر إلى الفرج يورث الطمث»(٤).

٣ - ما رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: «إذا جامع أحدكم زوجته أو أمته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى»(٥)، أي في الناظر أو الولد أو القلب.

ثانياً: ذهب الحنفية، والحنابلة في الراجح عندهم إلى أن النظر إلى الفرج بين الزوجين من المباحات، إلا أن الحنفية قالوا الأوْلى ألاّ ينظر، وقال بعضهم: النظر أوْلى عند الجماع(٦)، وأباحوا لمسه بشهوة أو بغير شهوة(٧).

---

(١) الانصاف ٨/ ٣٣، شرح ابن قاسم على الباجوري ٢/ ٩٨، مغني المحتاج ٣/ ١٣٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٢.

(٣) رواه ابن ماجه ١/ ١١٧، وهو ضعيف.

(٤) المغني ٧/ ١٠١، وجاء في تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ٣/ ١٤. ان ابن حبان وغيره قد رووه في الضعفاء، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(٥) قال ابن حبان: هو حديث منكر لا أصل له.

(٦) ابن عابدين ٦/ ٣٦٦، مجمع الأنهر ٢/ ٥٣٩.

(٧) الفتاوى الهندية ٥/ ٣٢٧.

واستدل هؤلاء بما يلي:

١ ـ بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[1].

ووجه الدلالة من هذه الآية:

وردت هذه الآية في الرجال، فهي تطلب منهم المحافظة على فروجهم، واستثنت من ذلك الزوجات والإماء المملوكات، فأباحت جِماعهن، فيكون من باب أوْلى أن تبيح النظر إلى محل العورة المغلظة منهن، وباقي الجسم بديهة.

وبما أنه أُبيح للزوج الاستمتاع به، فمن باب أوْلى أن يُباح له النظر إليه ولمسه كبقية البدن[2].

٢ ـ ما روى بهز بن حكم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»[3].

وهذا الحديث يشير بوضوح إلى إباحة النظر إلى جميع جسم الزوجة والأمة المملوكة.

٣ ـ ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد. وكنت أقول بق لي وهو يقول بق لي»[4].

فليس من المعقول أن يكون النظر إلى الفرج غير مباح ثم يتجرد

---

(١) المعارج ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) المبسوط ١٠/١٤٨.

(٣) رواه أبو داود ٢/ ٣٨٤.

(٤) رواه النسائي. إلا أنه قال: «يبادرني وأُبادره حتى يقول دعي لي وأقول دع لي».

رسول الله ﷺ وزوجته أمام بعضهما، لأن النظر إلى الفرج في حالة التجرد هذه لا يمكن التحرز عنه[١].

الترجيح:

وبهذا يكون ما ذهب إليه المبيحون للنظر أرجح لقوة أدلتهم.

ولأن الاستمتاع بالفرج بل هو محل الاستمتاع الأعظم، فإباحة النظر واللمس أوْلى من تحريمه أو كراهته.

ولكن من كمال الأدب أن يغض كل منهما بصره عن فرج الآخر لغير حاجة، لقوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجرد تجرد العيرين»[٢]. وأما ما استدل به المخالفون من أحاديث فقد ضعفها أكثر المحدثين. صرح بذلك ابن الجوزي وذكرها في الموضوعات وقال: ابن حبان بأنها منكرة لا أصل لها.

نظر المخطوبة إلى الخاطب

قال عمر بن الخطاب: «والمرأة إذا رغبت في نكاح رجل تنظر إليه، فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها».

ذهب المالكية إلى جواز نظر المخطوبة للخاطب، ولكنها لا تنظر إلا إلى وجهه وكفيه[٣].

وذهب الشافعية إلى جواز النظر لجميع الجسم ما عدا العورة وهي ما بين السرة والركبة[٤].

وأما الحنفية والحنابلة، فلم يحددوا موضعاً معيناً تنظره منه ولكن

---

(١) شرح العناية على الهداية ٨/ ١٠٣.

(٢) ابن ماجه ١/ ٦١٩.

(٣) حاشية الدسوقي ٢/ ٢١٥.

(٤) مغني المحتاج ٣/ ١٢٨.

حسب قواعدهم وتعريفهم للعورة، يمكن أن يفهم أنه لا أقل مما تنظره من الأجنبي أو المحرم.

قال بعض الحنفية: «بل هي أوْلى منه في ذلك لأنه يمكنه مفارقة من لا يرضاها، بخلافها»[1].

الغــرض من النظر

نظر الخاطب إما أن يكون بشهوة وإما أن يكون خالياً عنها، وقد اختلف الفقهاء في الغرض من النظر. فذهب المالكية والحنابلة إلى أن النظر المباح للخاطب هو ما خلا عن الشهوة، فإن صاحبه شيء من اللذة أو الشهوة، يكون آثماً في نظره هذا[2].

قال المالكية في تعليل ذلك، إن النظر حرام في الأصل، وإنما أبيح لضرورة الرغبة في الزواج أو العدول عنه، فلا يتعدى ذلك، كنظر القاضي والشاهد والطبيب.

وقد اشترط المالكية هذا الشرط، مع أنهم أباحوا النظر إلى الوجه والكفين لأن النظر إليها في معرض النكاح مظنة قصد اللذة.

وذهب الحنفية والشافعية والظاهرية إلى جواز النظر مطلقاً بشهوة أو بغير شهوة. لأن النكاح بعد تقديم النظر، أدل على الألفة والموافقة الداعية إلى تحصيل المقاصد، ويدل عليه قول الرسول ﷺ للمغيرة بن شعبة حين أراد أن يتزوج امرأة: «اذهب فانظر إليها فإنه أَحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما»[3] فدعاه ﷺ إلى النظر مطلقاً، وعَلَّلَهُ ﷺ بكونه وسيلة إلى الألفة

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/ ٢١٤، حاشية ابن عابدين جـ٦/ ٣٧.

(٢) بُلغة السالك على الشرح الصغير ١/ ٣٧٧، المُغني ٧/ ٩٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي جـ٧ ص٨٤، ابن ماجه ١/ ٥٥٩، الترمذي ٣/ ٣٩٧، النسائي ٦/ ٥٧.

والموافقة ولأن المقصود إقامة السُّنةِ لاقضاء الشهوة[1].

وردوا على من قال: أنَّ نظر الخاطب كنظر القاضي والشاهد بحكم الضرورة بقولهم: إنه مأذون فيه من الشارع، ونظره إليها بقصد رؤية محاسنها، ولا يمكن أن تتخلف عنه الشهوة والتلذذ بخلاف نظر القاضي والشاهد والطبيب، لأن نظرهم ليس لهذا الغرض[2].

* * *

---

(١) بدائع الصنائع ٥/ ١٢٢.

(٢) مجمع الأنهر ٤/ ٥٤١، مغني المحتاج ٣/ ١٢٨، المُحلَّى ٧/ ٣٩.

المبحث الثاني في

الزنى

القرب من الزنى

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ لقد نهانا العليم الحكيم عن الإقتراب من الزنى فكيف بالوقوع فيه. وكما سبق أن قلنا إن السبب في الزنا هو النظر. فلو أن المسلم أو المسلمة غضوا أبصارهم لحفظوا فروجهم. فالزنا بريد النظر وهو المسبب عنه. ولم ينهنا الله عنه عبثاً.

فهو من أشد القبائح ضرراً، يبدد الأموال تبديداً، ويقتل الذرية تقتيلاً، يجني على الأعراض أكبر جناية، وهو للدين أعظم خيانة.

الزنا فتاك للأخلاق الفاضلة، وناشر للأمراض الفاتكة، فالإيدز والسيلان والقروح الأكالة والزهري أثر من آثاره الوخيمة، وشر من شروره المستطيرة.

أليس بحرام أن يزني الرجل بزوجة الغير فتحمل منه وتلد، ويربي الأب غير بنيه، أليس بحرام أن تخون المرأة زوجها وتضاجع غير زوجها وهو يحسبها أمينة على عرضه وبيته.

أليس بحرام أن تفقد البنت عذريتها وتصبح سبة وعاراً على أهلها؟.

إن الزنا يعود على الإنسان في الدنيا بالفقر والوبال، ويوقعه في الحسرة والندامة يوم لا ينفع أهل ولا مال، ويورث العداوة والبغضاء والتفرق بين المسلمين.

كم جر الزنا من ويلات وخراب على الأسر.

فقد يقتل الإنسان أمه حينما يعلم أنها زانية، وقد يقتل أخته حينما يشعر

بانحرافها، وقد يقتل ابنته حينما تحيد عن الطريق.

إن الزنا يفكك الأسر، ويحطم المستقبل، ويقضي على كيان الأمة، حيث تختلط الأنساب وتضيع الحقوق.

فالزنى مرض خلقي خبيث لا يظهر إلا في المجتمات الجاهلية التي ابتعدت عن طهر السماء ونقائها لتتدنى إلى رجس الجاهلية وقذارتها.

وهذه الآفة لا تستشري إلا في المجتمعات التي تعبد الجنس وتقدم له القرابين وتصير قوادات الجنس فيه شموساً ساطعة في سماء الفن، حتى تقدم الواحدة منهن للمحاكمة، فيخلى سبيلها لماضيها العريق في الفساد والإفساد ليحيوا سنن الذين غضب الله عليهم، من الذين كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.

لقد كانت المومسات في الحضارة اليونانية التي هوت... شموساً في سماء العلم والأدب.. وهكذا يعيد التاريخ نفسه على أرض الإسلام!!.

ولأن الطريق إلى هذه الجريمة الكبرى يمر عبر مراحل قد يستهين بها الإنسان ولا يلقى لها بالاً، فإننا نجد رسول الله ﷺ يصف مدارج هذا الطريق ليكون المسلم على بينة من أمره، وحتى لا يسترسل معه فتوصله إلى غضب الله فيقول: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة:

العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الإستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[١].

الزنى قرين القتل

ومن بشاعة هذه الجريمة وجسامتها قرنها الله بالقتل في قوله تعالى:

---

(١) متفق عليه.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[1].

وكيف لا يكون الزاني قاتلاً، وقد انتهك عرضاً، واستحل حرمة، وزرع بذرة في غير أرضه.

ولو تبصرت بعين العقل، وتأملت بعين الفكر طفلة ضائعة شريدة جاءت ثمرة مرّة لشهوة لحظة.

هذه الطفلة الغضة البريئة. هذه الزهرة المتفتحة في أكمامها. هذه التي قُذف بها إلى الحياة لتعاني شقاء الأبد. ماذا جنت لتفتح عينها على الحياة فلا تجد مأوى إلا أحضان المؤسسات، أو ليتلقفها من لا يعرف الله من أبالسة البشر فيتاجر في عرضها، ليقدم للمجتمع ساقطة جديدة.

أية جريمة اقترفت.. لتنظر إلى الأطفال فتجد لكل طفل أماً تحنوا عليه، وأبا يسارع في هواه، وهي لا تجد من المجتمع إلا كل احتقار وازدراء.

أية جريمة اقترفت لتتمنى الموت في كل يوم بل وفي كل ساعة ولسان حالها يقول:

لموتة تأخذ الإنسان واحدة ... خير له من لقاء الموت مرات

أية جريمة اقترفت حتى تحرم من حقوق الرضاعة، والنفقة والحضانة والتعليم وفي أن تنشأ في جو نفسي خال من العقد والضغوط النفسية؟

أية جريمة اقترفت.. حتى تحرم من دفء الحياة ونعيمها بين أبوين شرعيين تنعم في ظلهما بجمال الحياة؟

لهذا قرن الله جريمة الزنى بجريمة القتل.

---

(١) الفرقان: ٦٨.

ولهذا ـ أيضاً ـ ضرب الإسلام بيد من حديد كل من يحاول العبث بأعراض المجتمع المسلم.

أخلاق الزانيـة

يقول الدكتور محمد وصفي تحت عنوان: (أخلاق الزانية ونفسيتها) فالزانية مخلوقة شاذة وشذوذها لا يتفق مع طبيعة الرجل العادية، من الناحية العقلية، والنفسية والجنسية والأخلاق، فهي مسلوبة الشرف والعفاف ظاهرة اللؤم والنفاق، ترضي كل طارق، وتدعى حب كل زان، تبتسم ابتسامة ملؤها النفاق والخداع، وتقبل عن نفس سقيمة عليلة، وروح خادعة غاشة، ألقت برقع الحياء، ولبست أثواب الخبث والخديعة، لا كرامة لها، ولا قوام لأخلاقها، لها عقيدة فاسدة، ورأي ضال، فلا تصلح أن تكون شريكة رجل مسلم مهذب النفس، قويم الأخلاق، حسن الطباع[1]، ولقد قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ﴾[2]

الزانيـة ملعونـة مغضوب عليهـا

قال ابن الجوزي في أحكام النساء:

ويزيد على الزنا في فحشه، ويتضاعف قبحاً على قبحه، أن تحمل المرأة من الزنا، فتلحق الحمل بزوجها.

أخبرنا المبارك بن علي بن الحصين بإسناده إلى أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيما امرأة أدخلت على قوم نسباً ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل

---

(١) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية.

(٢) النور: ٢٦

جحد ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين»[1].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله عز وجل على امرأة تدخل على قوم من ليس منهم ليشركهم في أموالهم، ويطلع على عوراتهم»[2].

الزانية لا يستجاب دعاؤها

عن عثمان عن النبي ﷺ قال: «تُفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله له، إلا زانية تسعى بفرجها»[3] وفي رواية «إلا ليغي بفرجها».

الزاني يفقد الإيمان

ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن». وفي رواية: «فإذا فعل ذلك خلع ربقة الإسلام من عنقه، فإن تاب تاب الله عليه».

وروى الترمذي والبيهقي: أن رسول الله ﷺ قال: «من زنا أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الرجل قميصه من رأسه».

وقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة؛ أما التي في الدنيا: فيذهب البهاء،

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٦٩٠ النسائي ٨/ ١٧٨.
(٢) فردوس الأخبار ٣/ ٥٢٠ فيض القدير ١/ ٥١٥.
(٣) رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

ويورثُ الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة: فسُخْطُ الله، وسوء الحساب، وعذاب النار».

فالمسلم حين الزنا يبتعد عن الإيمان بل يخرج عن كونه مؤمناً لأنه نسي أن الله الذي خلقه هو حرم عليه الزنا وأمره بحفظ فرجه وغض بصره فكيف يكون مؤمناً!!

(الزنى يورث غضب الله)

ويقول عليه الصلاة والسلام:

«إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله».

من ذا الذي يسمع هذا ولا يتأثر قلبه؟ ألا يخاف الإنسان أن تستولي عليه فاجرة تسلبه كل ماله ويصبح فقيراً، ألا تخاف المرأة أن يستولي عليها ذئب إنساني يسلبها أعز ما تملكه. ألا يخافان أن يصابا بالأمراض الفتاكة القاتلة. ألا يخاف من أن يغشى عاهرة لا يدري من كان قبله معها. ألا تخشى تلك الفتاة غضب الحليم الجبار المنتقم.

ألا يخشى أن تزيِّن له شهوة الزنا هجر امرأته فيحملها على ذلك الفجور والخنا وبذلك تفسد أسرته كما أفسد أسر الناس.

قال ﷺ: «عِفّوا تعفّ نساؤكم»[1].

ألا يخاف أو تخاف أن يفتضح أمرهما ويصبحا أسوأ مثال في فساد الأخلاق أو يصبحا ألعوبة على ألسنة الناس.

ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:

عفّواً تعفّ نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
من يزنِ يُزْن به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيباً فافهم

---

(١) رواه الحاكم.

يا هاتكاً حرم الرجال وقاطعاً سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حراً من سلالة طاهر ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم

قال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفْشُ فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب»(١).

فاتقين الله أيتها الفتيات وحافظن على أنفسكن وأعراضكن فالعرض إذا ذهب ذهبت الفتاة معه ولا بقاء لها في هذه الحياة إلا ذليلة حقيرة صاغرة لا تهنأ بعيش ولا يقر لها قرار.

اتقين الله أيتها النساء في أنفسكن وبناتكن والتزمن شرع الله في أجسامكن لا تخرجن متبرجات حتى لا توقعن أنفسكن بين أيدي ذئاب مفترسة ينهشن بكن فتندمن حيث لا ينفع الندم.

اتقين الله في أنفسكن وفي أنفس الشباب المراهق الذي حينما يراكنّ في أبهى زينة يطير لبه ويختل عقله فلا يدري ماذا يفعل فأنتن تَجلبْن لأنفسكن الهلاك والدمار والوقوع في الرذيلة.

فيا معشر المسلمين والمسلمات اتقوا الله وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وراقبوا ربكم ولا تضيعوا بالزنا أولادكم وأنسابكم.

ما تصنع المرأة إذا زنت

إذا زنت المرأة، وجب عليها أن تتوب مما فعلت، وتتعلل على زوجها، فتمتنع من أن يقربها، إلى أن تستبرىء نفسها.

وإن علم، وجب عليه أن يكفّ عنها حتى يستبرئها.

وقد اختلفت الرواية عن أحمد في عدة المزني بها. والمشهور: أن عدتها عدة المطلقة.

---

(١) رواه البزار.

وحكى أبو علي بن أبي موسى رواية أخرى: تستبرىء بحيضة[1].

وعن الإمام أحمد بن حنبل قال: من فجر بامرأة ذات بعل، لم يكن الزوج قد اطلع على ذلك، فلا تعلم زوجها بل تستر على نفسها وتتوب، وتستغفر، ولتهب صداقها لزوجها.

ومن زنا بامرأة ثم أراد أن يتزوجها فمن شرط صحة نكاحه لها أن يتوبا جميعاً من الزنى.

وقد روينا عن ابن عباس: أنه اعتبر التوبة وزاد في الإحتياط بأن قال: يختبرها بأن يدس عليها من يراودها عن نفسها، فإن أبت تحققت التوبة وتجب العدة من الزنى فإن انقضت عقد عليها.

وقد روى إسحق بن إبراهيم بن هانيء عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها، قال: لا يتزوجها حتى يعلم أنها قد تابت، قلت: وما علمه بذلك؟ قال: يريدها على ما كان أرادها عليه، فإن امتنعت فقد تابت، وإن طاوعته لم يتزوجها[2]. قال: وسئل عن الرجل يفجر بأخت امرأته، قال: يعتزل امرأته حتى تنقضي عدة التي فجر بها إن كانت ممن تحيض، فثلاث حيض، وإن لم تحض فثلاثة أشهر، ولا يجمع ماءه في أختين[3].

رد شهادة الزانية والخائنة

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا زان ولا زانية، ولا ذي غمر على أخيه» أخرجه أبو داود.

---

(١) المغني ٧/ ١٤٢.
(٢) المغني ٢/ ١٤٢.
(٣) المغني ٧/ ٩٠.

مهر البغي وكسب الإماء

عن أبي مسعود البدري، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن» أخرجه الستة.

البغي: الزانية. ومهرها: أجرها.

وحلوان الكاهن: ما يعطى من الهدية ليخبرهم عما يسألونه عنه.

وفي حديث أبي جحيفة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كسب البغي، ولعن الواشمة والمستوشمة» أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كسب الإماء» أخرجه البخاري وأبو داود.

وعن عثمان، قال: «لا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب، فإنكم متى كلفتموها كسبت بفرجها»[1].

إذا أتت المرأة بالفاحشة أخذ مهرها

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾[2].

﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾.

فإنها إذا أتت بفاحشة، فليس للولي حبسها حتى يذهب بمالها إجماعاً من الأمة، وإنما ذلك للزوج.

قال الحسن: إذا زنت البكر تجلد مائة وتنفى ويرد إلى زوجها ما أخذت منه.

---

(١) حسن الأسوة ٤٧٧.

(٢) النساء: ١٩.

وقال أبو قلابة: إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه.

وقال السدي: إذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن.

وقال قوم: الفاحشة: البذاء باللسان وسوء العشرة قولاً وفعلاً[1].

* * *

(١) حسن الأسوة / ٧٤.

الزنا والصحة

من الاتصال الجنسي المحرم بين الرجل والمرأة تنتشر الأمراض الفتاكة كمرض الزهري والسفلس الذي انتشر في أكثر بقاع العالم.

فالفتيات اللاتي يتزوجن، وهن غالباً في صحة جيدة، يصبحن مريضات بعد زواجهن، يعانين من آفات هذا الداء وشروره، الآلام المبرحة، ومنها العقم وعدم إنجاب الأولاد.

قال الدكتور A. Pignard: رأيت كثيراً من الضحايا البريئة بسبب هذا المرض وغيره، مما يبعث الحزن والأسى في النفوس، وإذا شفي معظمهن فإنهن يبقين زمناً طويلاً وهن يعانين من هذا المرض[١].

أجل بعد اكتشاف البنسلين وشيوع استعماله في معالجة السيلان والسفلس ونجاحه، عاد هذا المرض فظهر من جديد سنة ١٩٥٥ م تدريجياً، ومن أسباب انتشاره هي طريقة الحياة الاجتماعية الحديثة والزواج المتأخر مع النضج المبكر والتحرر من القيود العائلية المقيدة، كذلك بسبب انتشار الحروب والهجرة والأسفار الحديثة السريعة والتصنيع الحديث.

وتعتبر هذه الأمراض مشكلة اجتماعية للأسباب الآتية:

١ ـ إنها تصيب جماعات كثيرة وتنتشر بكثرة بين مختلف المجتمعات.

٢ ـ بالإمكان تجنب هذه الأمراض.

---

(١) Manuel d' education prophylactique contre les maladies neveriennes

٣ ـ إذا لم تعالج وتمنع تلك الحالات فستكون عواقبها وخيمة ونتائجها سيئة.

٤ ـ إنها تسبب مشكلة اجتماعية يجب أن تكون المعالجة الطبية بكتمان تام لئلا تفقد الثقة بين الزوج وزوجته العلاقات الزوجية والعائلية وتصل نتائجها إلى المحاكم.

ويمكن القول أن مرض السفلس هو أكثر الأمراض فتكاً بين الإنسان فيصيب الشخص نفسه، ثم من بعده يصيب الأسرة، من ثم عن طريق الوراثة (الأطفال) فيموت عدد عظيم منهم في مراحل مختلفة من أعمارهم، فمنهم من يموت جنيناً، ومنهم من يموت وعمره بضعة أيام أو اسابيع من الولادة أو يتوفون بعد سن متقدمة.

ومن الأمراض الزهرية مرض السيلان فهو منتشر في ربوع العالم حتى قيل حسب إحصاءات بعض السنين إن هذا المرض بلغ نسبة مرتفعة: ٨٠ بالمئة من الرجال المصابين بهذا الداء الوبيل. ومن النادر أن يكون الفتى قد بلغ سن الزواج ولم يصب بالسيلان من قبل.

ويختلف هذا النوع من الأمراض الزهرية باختلاف الأوساط الاجتماعية، ومن المؤسف جداً بأن الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م قد أخلت بتوازن قسم كبير من العالم، فعم انتشار الأمراض الزهرية، حتى أن النساء البغيات أصيب منهن عدد كبير كما أهمل علاجهن مع أهمية تلك الأمراض بالنسبة للأمراض الأخرى وتأثيرها في الحياة الاجتماعية.

نعم ان مرض السفلس لا يسبب غالباً الوفاة للرجال، بل هو على النقيض من ذلك يسبب الموت للنساء، مما يكون عقبة كأداء في سبيل إنجاب الأطفال.

ذكر الدكتور Jeanselme في بعض الإحصيائيات: أن ٩٠١٥ من الأمهات الباريسيات المصابات بالسفلس، من هذا العدد ٨٤١٨ من

الأطفال الذين توفوا قرب الولادة و٦٣٣ منهم توفوا وقد تجاوز عمرهم ستة أشهر.

وحسب إحصاءات A. Fournier: كانت وفيات الأطفال عظيمة في المشافي والأقسام المخصصة لمعالجة الأمراض الزهرية.

ونشر Couvelaire إحصاءات بين ١٨٩٠ ـ ١٩١٩ م فكانت النسبة ١٧٦٩ من أصل مجموع ٥٦٦٤٢ وقد ولدوا أمواتاً وهم أجنة في بطون أمهاتهم[١]. وينتشر السفلس في المدن الكبيرة كباريز ولندن وبرلين وبروكسل، أكثر منه في المدن الصغيرة والأرياف، فتوجد في تلك المدن الكبيرة نسبة تختلف بين ٣٠ ـ ٤٠ بالمئة من مجموع سكان المدن البالغين.

وقد لا يظهر مرض السفلس في بعض الحالات، حتى تبلغ نسبتهم ٢٠ بالمئة من المصابين بدون أن يشعروا أو يعلموا بالمرض المذكور.

وأجري إحصاء بين النساء المصابات بالسفلس بدون أن يعلمن بإصابتهن، فبلغن ٤٠ بالمئة من المصابات الأخر بهذا المرض.

ويمكن تقدير الوفيات المباشرة والغير مباشرة بسبب السفلس، ١٠ بالمئة من الوفيات العامة، ففي فرنسة مثلاً بلغ عدد الوفيات بسبب السفلس ٤٠٠٠٠ من مجموع المصابين البالغين، هذا بالإضافة لما يُلحقه هذا المرض بالأطفال، مما يدل على أن مرض السفلس داء خطير على الأسرة والمجتمع.

ومن إحصاء أجري على مئة من النساء المصابات بالسفلس، تبين أن ٢٠ بالمئة منهن أصبن بواسطة أزواجهن.

كما أجري إحصاء آخر سنة ١٩٢٠ م لمجموع من الأمهات بلغ عددهن

---

(١) Manuel d' education prophylactique contre les maladies neveriennes.

٣٦٢٢ مولوداً، فظهر أن ٢٥ جنيناً ماتوا أثناء التوليد و١٠٣ من الأطفال ماتوا قبل اليوم العاشر من الولادة، وهذه الأعداد الضخمة من الوفيات ألا تكفي لأن تشهد على الملأ بأن مرض السفلس داء يفتك في المجتمع البشري فتكاً ذريعاً لا يفرق بين رجل وامرأة وصبي وبنت ومولود ومولودة والأجنة في بطون أمهاتهم.

* * *

بعض الأسباب التي دعت إلى البغـاء

يمكن تعداد الأسباب التالية للفحشاء، وقسمها إلى نوعين، فالأول طبيعي والثاني صدفي.

فالأسباب الطبيعية: هي الميل الطبيعي للرذيلة وهيجان المزاج، والأسباب الغير طبيعية: هي الإغراء والزيجات التي تكون بدون تفكر، والتي تجمع بين نقيضين، والاجار الغير معادل لشغل المرأة، والاحتياج للاستخدام والإفراط والفقر، وعدم ملاحظة الخدم بأسيادهم، والجهل ونقص في التهذيب والتعاليم الدينية، والقدوة الرديئة بالآباء. والفظاعة وعدم المعاملة الحسنة بالآباء أو بالأقارب، والحضور في مدارس الرقص الليلية وحفلات الرقص، والذهاب إلى الملاهي، وعدم أداء الواجبات الدينية لأن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، ونشر الكتب الغير الأدبية، والرضا والمكافئة للرذيلة مع التشجيع النذر للفضيلة.

وعلى قدر ما أمكن من التحقيق فقد وجد نحو ١٨ في المئة من جميع النساء العموميات قد أصبحن عاهرات بنتيجة الإغراء، وثمانية بالمئة من جميع هؤلاء المغريات قد ضللن عن السراط المستقيم بالأشخاص الذين يمشون بأعلى من طبقتهن والوسائط التي يستعملها المغرر لاتمام غرضه غالباً من الأفعال الدنيئة، وفاعلها يغري أنثى فاضلة طاهرة سليمة القلب من رفيقاتها وبيتها لأجل لذة برهة لشهوته الحيوانية، وبعد ذلك يهجرها لحياة بائسة وذميمة وفقيرة وذات آلام ولربما تنتهي حياتها بقتل نفسها

لا يحق له أن يعد نفسه إنساناً من البشر[1].

ولخص جايشان دوافع البغاء فيما يتعلق بالرجل بما يأتي:

١ ـ حدة العاطفة الجنسية فيه.

٢ ـ ميله الدائم إلى التغيير في حياته التناسلية.

٣ ـ قيام الصعوبات المالية دون تسهيل الزواج وخاصة في الطبقات المتوسطة.

٤ ـ صعوبة الحصول على الطلاق في حالة فشل الحياة الزوجية.

٥ ـ الاستكانة إلى حياة الراحة والترف وهذا يمنع رجالاً كثيرين من تقييد أنفسهم بقيود الزوجية والحياة العائلية.

٦ ـ استحالة الزواج لظروف خاصة متنوعة في الزمن الذي تكون العاطفة الجنسية فيه على أشدها.

وتوجد هناك غير هذه الدوافع، أسباب أخرى تدفع بالشباب إلى البغاء، منها: ميله إلى المغامرة والقدوة السيئة من رفاق السوء وسمر الفتيان وسلطان الخمر، وفي بعض الأحيان الشذوذ الجنسي.

أما في النساء فالدافع إلى حياة البغاء يكون دائماً الحاجة الاقتصادية، وقد برهنت بارنت دو شاليتيه أن السبب لانتشار البغاء في باريز، وفي معظم المدن الكبيرة هو العطلة عن العمل وقلة الأجور، وهذا هو أيضاً الملاحظ في انكلترة وألمانية وأميركة.

وقد دل البحث في ألمانية أن قليلات منهن يعترفن بأن الفقر هو الدافع بهن إلى حياة البغاء، ولعل هذا يبدو طبيعياً لأن الغالبية العظمى من البغايا يخرجن من الطبقتين العاملة أو السفلى، حيث تقسو الحياة، ويشتد الكفاح من أجلها. وقد ذكر سانجر في كتابه الجامع لتاريخ البغاء: أنه من بين ألفي بغي اعترفت ٥٢٥ منهن بأن العوز والفاقة هما السبب في

(١) عبد الكريم التنير: تاريخ الفحشاء.

احترافهن البغاء. وقالت ٢٥٨ منهن أنهن اغتصبن ثم هجرن.

وإذا لم يكن الفقر وحده هو السبب الوحيد في احتراف عدد كبير من النساء مهنة البغاء، فإنه دون ريب أهم تلك الأسباب.

وهناك عدد كبير من الفتيات يتزلقن إلى هذه الحياة لتعويض ما يتوهمن إن الأقدار حرمتهن من الترف والنعيم والمسرات. هذا فضلاً عن أن هناك عدداً غير قليل، وخاصة بين الطبقة العاملة القليلة الأجر، تستهويه الملابس الأنيقة الجميلة، وتعصف بنفس الفتاة من هؤلاء ثورة قاسية حين تقارن بين حياة الكد والكدح التي تحياها في نظير أجر لا يكاد يبلغ الكفاف، وحياة أخواتها من اللواتي أنعمت عليهن الأقدار بالثروة والجاه، ثم تنظر حولها فترى أن فتاة الشارع تحيا حياة أكثر تنعماً وتحظى بسكن أحسن وطعام أشهى وملابس أبهى منها، فما تكاد الفرصة تؤاتيها حتى ترتمي في أحضان هذه الحياة المرحة.

وليس هناك شك في أن البيئة السيئة والاغتصاب ثم الهجران والوراثة والضعف العقلي والعاطفة الجنسية الحادة، كلها عوامل لها أثر مباشر في كثير من الأحيان، ولكن العامل المادي أو الاقتصادي هو السبب في الغالبية القصوى من الأحوال، وكثير من الفتيات يندفعن إلى البغاء لإعالة قريب مريض أو أم عجوز أو طفل صغير، أما العاطفة الجنسية فقليلاً ما تكون هي الدافع، والدليل على ذلك.

أولاً ـ أن المرأة ذات العاطفة الحادة القوية قليلة الوجود بين العاهرات لأنها لا تستطيع أن تنجح في هذا النوع من الحياة.

ثانياً ـ أن البغي الناجحة تكون غالباً من ذوات العاطفة الباردة.

ولا يصح أن ننسى أن البغاء يزيد انتشاراً بازدياد الثروة، فحيثما تنتعش حركة التجارة وتفتح الأسواق للبيع والشراء، ويثري الرجال بسرعة، لا يبحث الموسرون عن وسائل التسلية والترفيه إلاّ في الانغماس في الملذات والانكباب على الشر والميسر، وطبيعي أن لا تخلو أمثال هذه

المجتمعات من بعض النساء اللواتي لا يتورعن عن بيع محاسنهن بالمال والنزول بأجسادهن إلى السوق للمتاجرة بها.

وهناك عامل آخر لا يجب أن يُغفل ذكره عند الحديث عن أسباب البغاء وهو أن كل زواج لا يقوم على أساس الحب المتبادل، إنما يخالف نواميس الطبيعة، ويعمل على أن يكون دعامة من دعائم هذا الشر الاجتماعي الوبيل، ولعل أكثر أنواع هذا الزواج انتشاراً هو الزواج الذي يعقد لدوافع مالية، وقد أثبتت التجارب في كل زمان وكل مكان، أن مثل هذا الزواج ينتهي دائماً بالفشل، لأنه لا يمكن أن يثير في المرأة عواطفها الرقيقة، ولأنه يدفع بها إلى البرود التناسلي، ومتى وصل شعور المرأة إلى هذا الحد مع رجل بعينه فمن العسير أن تستيقظ عاطفتها معه بعد ذلك ويتبع هذه الخطوة الأولى ـ خطوة التبرم والملل ـ خطوة ثانية هي شعور المرأة بأنها ضحية في هذا الزواج، ثم تتبع هذه الخطوة خطوات تنتهي في الغالب بأن تطلب المرأة العزاء والسلوى في حب جديد[١] وجعل Reuss أسباب ممارسة البغاء تتصل بالوسط الذي تعيش فيه المرأة بالإضافة إلى الغريزة الجنسية التي تتحسس بها[٢].

* * *

---

(١) مجلة الرياضة البدنية بالقاهرة سنة ١٩٣٢.

(٢) الزنا ومكافحته عمر رضا كحالة ص٢٣٧ ـ ٢٤٣.

المبحث الثالث في

الجهاز التناسلي

تشريعات وقائية للجهاز التناسلي

ثمة تشريعات، شرعها الإسلام لطهارة الفرج، والإبقاء على النقاء وسلامة الفطرة كاعتزال الحائض والنفساء، واتقاء الدبر، نعرضها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: اعتزال الحائض والنفساء:

الحيض: لغة: السيلان، تقول العرب: حاضت الشجرة، إذا سال صمغها، وحاض الوادي، إذا سال. شرعاً: دم جبلة تقتضيه الطباع السليمة من أقصى رحم المرأة بعد بلوغها، على سبيل الصحة، من غير سبب، في أوقات معلومة، وأقله يوم وليلة، وأكثره خمسة عشر يوماً بلياليها[1]. ولقد حرّم المولى عز وجل إتيان الحائض، لما ينجم عن ذلك من أذى، كما عبّر القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[2].

يقول الدكتور حامد الفوابي: (المرأة أثناء الحيض تكون أعضاؤها التناسلية محتقنة، وأعصابها مضطربة، وذلك بسبب إفرازات الغدد الداخلية[3] وعلى هذا فالاختلاط الجنسي يضرها ويهيىء لالتهاب

---

(١) مغني المحتاج، للشربيني (١/١٠٨ ـ ١٠٩) أما أقله عند الحنفية فثلاثة أيام، وأكثره عشرة أيام (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣/٨٣) تفسير سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) يقول الدكتور حامد في كتابه بين الطب والإسلام ص ٨١: (ثبت أن مهبل المرأة يفرز إفرازاً خاصاً يلينه، وهذا الإفراز حمضي التفاعل إذ يحتوي على حامض اللبنيك، وهذا الإفراز يمنع نمو الجراثيم، فإذا ما أصبح قلوياً أو متعادل التفاعل =

المهبل، حيث إن الاختلاط الجنسي من أهم وسائل حمل الميكروبات والبكتريا إلى داخل المهبل والوسط المهبلي أثناء الحيض وسط صالح لنموها، كما تنمو نتوءات على جدران المهبل، وتحدث منه آلام شديدة، ويلتهب الجهاز التناسلي كله ويسبب ذلك العقم ـ أحياناً ـ وكذلك فإن الالتهاب المهبلي يسبب الالتهاب المخاطي للمثانة، فتشعر المريضة بالحاجة إلى التبول مع قلة ما ينزل منها. إضافة إلى ذلك فإن المرأة تكون أثناء الحيض منحرفة المزاج، وقد تشعر بمغص شديد، قد تصحبه أعراض هستيرية، تنتهي بالإغماء في بعض الحالات، فكيف تجبر على مثل هذه العملية الضارّة؟!)[1].

كما أثبتت الدراسات الحديثة أن نوعين من الجراثيم التي توجد في عنق الرحم عند المرأة: نوع أثناء الحيض، وآخر أثناء الطهر وهو النوع المفيد، وهو يتكاثر بشدة أثناء الطهارة، بحيث يختفي النوع الضارّ، كما يتكاثر النوع الضارّ بشدة أثناء الحيض، ويصبح مهدداً بالأمراض لذا فإن إتيان الحائض يجعل الرجل أكثر تعرضاً للوقوع في أمراض من نتائج هذه الجراثيم الخطيرة.

والوقاية الصحيحة التي تحفظ الجهاز التناسلي ـ في هذه الفترة ـ تكون بالاعتزال[2] وهكذا تبين لنا أن معاشرة النساء وقت الحيض ضرر

= حلّت فيه جراثيم ضارّة، تحدث أضرارً بالمهبل والرحم، وقد يمتد أذاها إلى سائر الجهاز التناسلي، فوجود الدم أثناء الحيض يحوّل هذا الوسط الذي كان حمضياً إلى وسط قلوي، أو متعادل تنمو فيه الجراثم الضارّة، ففي الجماع تسير هذه الجراثيم إلى داخل القناة البولية، وقد تصل إلى المثانة والحالبين، وقد تمتد إلى البروستاتا والخصيتين وإلى غير ذلك من الأعضاء التناسلية، مما يسبب آلاماً شديدة عند التبول، وقد يقود إلى العقم في النهاية).

فسبحان من حرم الجماع في هذه الظروف، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

(١) بين الطب والإسلام، للدكتور حامد الغوابي ص٨٢.

(٢) من محاضرة للدكتور مأمون الشقفة (رئيس قسم النسائية في مستشفى الوصل بدبي=

محض، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾(١).

ولهذا الضرر حذّر النبي ﷺ قائلاً: «ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها»(٢).

وكما حرم الإسلام معاشرة الزوجة في الحيض حرم ذلك في النفاس، وهو الدم النازف عقب الولادة، ويقال للمرأة نفساء، قال الشربيني: (وأقل النفاس لحظة، وأكثره ستون، وغالبه أربعون، ويحرم به ما حرم بالحيض)(٣). والحكمة من ذلك أن حالة الرحم، والقناة التناسلية عقب الوضع بمثابة جرح حديث يجب أن يحاط بجميع وسائل الوقاية، خوفاً من تلوثه بالجراثيم وما قد يؤدي إليه هذا التلوث من أمراض أهمها الحمى النفاسية والالتهاب الحادّ والبوقين والمبيض(٤). فتحريم الوطء في هذا الظرف ما هو إلا حفظ للجهاز التناسلي.

المطلب الثاني: اتقاء الدبر:

إذا كان إتيان المرأة حال الحيض أمراً قبيحاً وصفه المولى عز وجل بأنه أذىً، وثبت حقيقة ذلك علمياً، كما سلف ذكره، فإن إتيان الدبر أكثر

= في دولة الإمارات العربية المتحدة) وذلك في المركز الثقافي بالشارقة اعتماداً على دراسة قام بها الدكتور أحمد القاضي (رئيس المركز الإعلامي لمؤسسة العلوم الطبية الإسلامية في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا بأمريكا. (صحيفة الاتحاد الأسبوعي، دولة الإمارات العربية المتحدة، عدد / ٧٣٩/ للعام/ ١٩٩٠).

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) رواه أبو داود رقم (٢١٦٢) كتاب: النكاح، باب: في جامع النكاح، ورواه غيره.

(٣) مغني المحتاج، للخطيب الشربيني (١/ ١١٩ ـ ١٢٠).

(٤) كتاب صحة الأم والطفل للدكتور زكي شعبان وزميليه، نشر مكتبة نهضة مصر ص٣٢.

أذىً من الناحية الصحية والخُلقية، كما أنه شذوذ في الطبع وخروج عن قواعد الفِطرة الإنسانية السليمة.

وهذا ما يسمى باللواط، كما سلف ذكره عند الحديث عن الشذوذ. وإن كان هذا الفعل ينسب غالباً لإتيان الرجلِ الرجلَ، فإن المعنى ذاته متحقق في إتيان المرأة في دبرها[(١)]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دبرها»[(٢)].

وفي حديث آخر قريب منه، قال ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها»[(٣)].

قال ابن القيم: (إن إتيان الدبر ضارّ بالرجل، حيث للفرج خاصيّة في اجتذاب الماء المحتقن، وراحة الرجل منه، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء، ولا يخرج كل المحتقن، وبذلك مخالفة للأمر الطبيعي)[(٤)].

* * *

---

(١) هذا من حيث الضرر الصحي، ومخالفة الفطرة السوية، لا من حيث العقوبة الدنيوية حيث سلف ذكر عقوبة اللواط عند الحديث عن الشذوذ.
أما عقوبة إتيان الرجل امرأته في دبرها فليس كذلك، إنما هو للتحريم والتعزير في غير المرأة الأولى.
(كفاية الأخيار، لمحمد الحسيني الحصني: ٢/ ١٨٢ ـ نشر دار الإيمان).

(٢) رواه أبو داود رقم (٢١٦٢) كتاب النكاح، باب: في جامع النكاح وسكت عنه.

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٩٢٣) كتاب النكاح، باب: النهي عن إتيان النساء في أدبارهن قال عنه في الزوائد: (إسناده صحيح).

(٤) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (٤/ ٢٦٢).

بعض التصرفات الحديثة في الجهاز التناسلي

إن الاكتشافات والتجارب العلمية الحديثة جعلت مسؤولية المرء عن جهازه التناسلي تتسع يوماً بعد يوم، متجاوزة دائرة الوطء الحلال، وعدم الوقوع في الفاحشة. لقد أضحى الرجل مسؤولاً عن قطرة المني التي تخرج منه، وكذلك المرأة عن البويضة التي تخرج منها، أين يوضعان؟ وما مصيرهما وهل التسامح وحسن النية أمر يرضاه الشرع لمن يذهب إلى مختبر التحاليل لتحليل مائه، ثم يخرج دون معرفة مصير ذلك؟!

نعم إن قطرة المني أصبح لها دور خطير، مع ضعف الوازع الديني لدى الناس. وصدق رسول الله ﷺ عندما استعاذ قائلاً: «اللهم إنيّ أعوذ بك من شرّ سمعي، ومن شرّ لساني، ومن شرّ قلبي، ومن شرّ منيّي»[1].

وظاهر الحديث يفسر شر المني، بالوطء المحرم، إلا أن الشر متحقق أيضاً بالاستعمال المحرم.

ونذكر هنا بعض التصرفات في جهاز التناسل في العصر الحديث في المطالب التالية:

المطلب الأول: التلقيح الصناعي:

قبل أن نتحدث عن التلقيح الاصطناعي يجدر بنا أن نبين كيف يتم التلقيح الطبيعي.

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٥٥١) كتاب الصلاة، باب: في الاستعاذة، قال عنه النووي: حسن الإسناد، انظر رياض الصالحين رقم (١٤٨٣).

١ ـ التلقيح الطبيعي:

يخرج الحيوان المنوي للرجل، ويلتقي ببويضة المرأة، ويتم التلقيح بينهما في قناة تصل بين مبيض المرأة ورحمها اسمها (قناة فالوب) وذلك بواسطة الإيلاج الطبيعي ـ الجماع ـ، وبعد أربعة أيام من التلقيح تكون الخلايا الناشئة عن التلقيح قد تكاثرت فتدفع تلك الخلايا الناشئة عن التلقيح نحو الرحم فتلتصق بجداره، ويدبر الله أمر الغذاء حتى يتم الحمل وتحدث الولادة[١].

٢ ـ كيف يتم التلقيح الصناعي:

قد يصاب الرجل بمرض ما، يمنعه من ممارسة عملية الجماع، وقد تصاب المرأة بمثل ذلك[٢]، أو قد تكون قناة (فالوب) مسدودة، كما يحدث لبعض النساء، رغم أن مؤهلات الإنجاب متوفرة لدى الطرفين، فما الحل؟ وكيف سيتم التلقيح وكلاهما راغب في الحصول على الولد؟

لقد رأى بعض العلماء[٣] أن يلتقط البويضة أثناء خروجها من مبيض المرأة بواسطة منظار البطن، وأن يضعها في أنبوبة اختبار مع نطفة زوجها،

---

(١) منار الإسلام، عدد /١١/ للعام ١٣٩٨/١٩٧٨ ص٨٤، مقال للدكتور مصطفى محمد الحديدي الطير (عضو لجنة البحوث الإسلامية).

(٢) يقول الدكتور صبري القباني: (قد يضطر الطبيب في بعض الحالات النادرة إلى الالتجاء إلى التلقيح الاصطناعي، تدبيراً أخيراً للتخلص من عقم الرجال كأن يكون عنيناً ـ أي غير قادر على الجماع ـ طاعناً في السن، راغباً في الذرية، أو يكون سريع الإنزال، لا يستطيع إيصال سائله المنوي إلى داخل أغوار المهبل، أو تكون المرأة حساسة خائفة بشكل يتضيق معه مهبلها، وتنقبض عضلاتها، مما لا يسمح للعضو الذكر بالدخول إلى جوف المهبل)، راجع (أطفال تحت الطلب، للدكتور صبر القباني، ط/ دار العلم للملايين ص٢٧٤).

(٣) أول من قام بهذه العملية الدكتور (باتريك ستيفن) للإنكليزية (ليربي براون) وذلك عام ١٩٧٨ (منار الإسلام، المرجع السابق نفسه).

وأن يهيىء لها في هذه الأنبوبة الجو الطبيعي الموجود في قناة (فالوب) حتى يتم تلقيحها من الحيوانات المنوية الموجودة بنطفة زوجها داخل أنبوبة الاختبار.

ثم يعيدها بعد التلقيح إلى رحم المرأة، وبعد ذلك ينشأ الجنين بصورة طبيعية حتى ولادته.

وقد يتوهم بعض الناس بسماع عبارة التلقيح الاصطناعي، ويظن بعضهم أن الطبيب قام بخرق نواميس الكون، وتغيير نظام الخليقة وجاء بشيء من عنده.

لا، لم يحدث شيء من هذا كله، إنما كان دور الطبيب توفير العوامل التي جعلت أنبوبة الاختبار تحل محل قناة (فالوب) في المرأة لانسدادها أو إيصال ماء الرجل إلى رحم الزوجة، عند تعذر الالتقاء الطبيعي.

وكل ما عدا ذلك من وضع الخالق سبحانه وتعالى. فالنطفة والبويضة من صنع الخالق، وأنبوبة الاختبار، والجو المهيأ ليتم التلقيح أيضاً من صنع الخالق، الذي أتقن كل شيء، وألهم الطبيب وعلمه، فصنع ما صنع[1].

٣ ـ الصورة المشروعة للتلقيح الصناعي:

لقد علمنا دواعي التلقيح الاصطناعي، الحِرصَ على الإنجاب، وطلب الولد من قبل الزوجين، فإذا ما تم إدخال ماء الزوج إلى رحم زوجته بمحقن أو نحوه لتعذر الالتقاء الجنسي، كان الأمر جائزاً، والله أعلم.

وإذا كان ثمة عاهة في المرأة أيضاً، كما سلف ذكره فلا بأس بأن يتم التلقيح خارج الرحم، نحو أنبوبة الاختبار، ما دام التلقيح سيتم بين ماء

(١) منار الإسلام، المرجع السابق نفسه.

الزوجين ـ والله أعلم ـ ولكن وفق الشروط التالية:

١ ـ أن يكون القائم بهذه العملية طبيباً مسلماً ثقةً، لأن غير المسلم لا يؤمن جانبه، من حيث حرصه على المال، وإن كان ذلك على حساب تغيير الأنساب واختلاطها.

٢ ـ وجود ضرورة طبية، كانسداد قناة فالوب مثلاً[١]، أو وجود مانع من الالتقاء الجنسي، من قبل أحد الزوجين.

٣ ـ التأكد من أن التلقيح حصل قطعاً من ماء الزوج وماء الزوجة فقط[٢]. فإذا ما تم ذلك وفق الشروط السابقة، فلا مانع شرعاً والله أعلم، بل هو مستحسن لعدة نواح:

أ ـ إن فيه تحقيقاً للاستقرار، ودوام الألفة بين الزوجين لارتباطهما بعرى وثيقة جديدة تبقي على استمرار الزواج ـ حصول الولد ـ وهذا مما يقوي ويشدّ أواصر الأسرة المسلمة.

ب ـ حصول الطمأنينة التامّة لكلا الزوجين، لأنهما موقنان أن هذا الجنين من صلبهما فتقرّ به عينهما.

جـ ـ إنّ دين الإسلام يحث على الإنجاب والتكاثر، وقد شجع على

---

(١) يقول الدكتور أحمد الأنصاري (مندوب وزارة الصحة في الكويت لمشروع التلقيح الصناعي): (إن طفل الأنابيب هو آخر علاج للعقم الزوجي أو لتأخر الإنجاب في بعض الحالات:
أ ـ الحالة الأولى الناتجة عن انسداد قناتي (فالوب) الممتدتين على جانبي الرحم، أو عدم وجودهما أصلاً.
ب ـ الحالة الثانية عند الرجال الذين يشتكون من عدد قليل من الحيوانات المنوية، وقد أثبتت بعض الحالات أن وجود مليون حيوان منوي قد يتوفر علاجها بواسطة طفل الأنابيب).
(التبيان فيما يحتاج إليه الزوجان، جاسم بن محمد مهلهل الياسين، ص٩١) بتصرف.

(٢) منار الإسلام، عدد /١١/ للعام ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨، المرجع السابق نفسه.

ذلك نبينا الكريم ﷺ بقوله: «أنحكوا فإني مكاثر بكم»[1].

وقوله ﷺ: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً، وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير»[2].

والإنجاب بالتلقيح الصناعي، وفق شروطه الشرعية، يثبت للوليد النسب الشرعي الصحيح، ويرتب عليه جميع الحقوق الشرعية بين الولد وأبويه.

٤ ـ الصور غير المشروعة للتلقيح الصناعي:

ثمة صور غير مشروعة للتلقيح الاصطناعي نذكرها على سبيل التحذير وهي:

١ ـ إدخال ماء رجل معين معروف للطبيب، غير معروف للزوجين إلى رحم امرأة بعد موافقتها وموافقة زوجها خطياً بشرط أن لا يعرِف المعطي لمن سيعطىٰ ماؤه[3].

٢ ـ جمع ماء عدة رجال بعد مباشرة أزواجهن، والتبرع بذلك للمصرف، الذي يحتفظ بهذه المادة، ويلقح بها المرأة الطالبة للتلقيح الاصطناعي.

٣ ـ أن يجري التلقيح خارجياً في أنبوبة اختبار، بين نطفة رجل وبويضة امرأة أخرى متبرعة ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة أخرى متزوجة،

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٨٦٣) كتاب النكاح، باب: تزويج الحرائر والولود قال عنه في الزوائد: في إسناده طلحة بن عمرو المكي الحضرمي، متفق على تضعيفه.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٨٦١) كتاب النكاح، باب: تزويج الحرائر والولود وقال عنه في الزوائد: في إسناده محمد بن طلحة، قال فيه أبو حاتم: (لا يحتج به)، وقال ابن حبان (هو من الثقات ربما أخطأ).

(٣) (التبيان فيما يحتاج إليه الزوجان، جاسم بن محمد مهلهل الياسين ص٨٩).

ويلجؤون إلى ذلك حينما تكون المرأة المتزوجة التي زرعت اللقيحة فيها عقيماً بسبب تعطل مبيضها، لكن رحمها سليم، وزوجها أيضاً عقيم، ويريدان ولداً[١]. ولا يشك أحد في تحريم الصور الثلاثة السالفة، أو ما شابهها، لشبهة الزنى من اختلاط ماء الرجل بماء الأجنبية والعكس صحيح، هذا من جهة، ولاختلاط الأنساب وضياعها من جهة ثانية، وحسبنا دليلاً في ذلك حديث النبي ﷺ الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة»[٢]. وفي رواية لسعد وأبي بكرة ـ رضي الله عنهما ـ كلاهما يقول: سمعته أذناي ووعاه قلبي محمداً ﷺ[٣] يقول: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام»[٤].

وقد يرضى الزوجان كلاهما بالتلقيح من أجنبي، وقد يخدع أحدهما الآخر فيدخل إلى الأسرة من ليس منها، ولقد حذّر النبي ﷺ من ذلك أشد التحذير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية المتلاعنين: «أيّما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»[٥].

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) رواه أبو داود رقم (٥١١٥) كتاب الأدب، باب: في الرجل ينتمي إلى غير مواليه.

(٣) محمداً ﷺ بالنصب على أنه بدل من الضمير في سمعته أذناي.

(٤) رواه مسلم رقم (١١٥) كتاب الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم.

(٥) رواه أبو داود رقم (٢٢٦٣) كتاب الطلاق، باب: التغليظ في الانتفاء.

وهذا التحريم يشمل الآتي:

١ ـ الطبيب القائم بهذه العملية[١].

٢ ـ الزوجين، أو أحدهما، عند الإقدام على مثل هذه العملية.

٣ ـ الرجل الأجنبي العالِم بما آل إليه ماؤه، أو لم يعلم بمآله، لكنه تهاون بإعطائه دون معرفة مصيره.

ولربما رضي بمثل هذه العملية ضعفاء الإيمان، وقليلو الحياء، ممن ماتت ضمائرهم، ويطلبون الولد بأي صورة كانت، وربما يهوّن الطبيب الأمر عليهم، فيضع ماء الأجنبي أمام الزوج في أنبوبة الاختبار، ثم يلقح به الزوجة، ليطمئنه أن زوجته لم يغشاها الرجل الأجنبي غشياناً مباشراً.

وهذه العملية لا توصف بأنها زنى، لعدم توفر شروطه، وهي الإيلاج المباشر ما بين الأجنبي والزوجة، وبذلك لا يقام بها حدّ، غير أن نتائج الزنى متحققة، من اختلاط الأنساب، وحلّ عُرى الحياة الزوجية مستقبلاً، لأن الزوجين موقنان أن هذا الولد ليس ولدهما. لذا كانت مسؤولية أولي الأمر عن مثل هذا كبيرة، فلا بد من وضع حد لمثل هؤلاء الأطباء، ومختبرات التحليل، الذين يعيثون فساداً، كما أن مسؤولية المرء عن مائه هي الأولى والأخيرة، لذا يتوجب على من يذهب إلى مخبر للتحليل والعلاج، أن يكون فطناً، فلا يذهب إلا لمن عرفوا بالتقوى والصلاح، وأن يطلع على العملية بشكل دقيق، بحيث يطمئن إلى إتلاف ما بقي من مائه، لئلا يحفظ ويكون أداة فساد[٢].

---

(١) ولهذا كان من شروط جواز التلقيح الصناعي أن يكون القائم بالعملية طبيباً مسلماً ثقة.

(٢) يلجأ بعض الأطباء إلى جمع مني الرجال ـ ممن تكون نسبة إخصابهم عالية طبعاً ـ ثم يحفظونها في أماكن مناسبة، معللين ـ على حد زعمهم ـ ذلك بأنه حل لبعض مشكلات العقم المستعصي!! وهذه ما يطلق عليها (بنوك المني) وأصبح ذلك وسيلة خداع واحتيال، بحيث يتآمر الأطباء مع خبراء التحليل ممن ماتت =

المطلب الثاني: استخدام المني في التجارب:

هنالك تجارب يقوم بها العلماء في تلقيح البويضة بالحيوان المنوي، لا بقصد الإنجاب، وإنما بقصد الاكتشاف العلمي.

ففي عام ١٩٦٩ عمد ثلاثة من العلماء البريطانيين إلى تلقيح بويضة امرأة بحيوان منوي من رجل أجنبي، وكان التلقيح داخل أنبوبة اختبار، ولاحظوا التجربة بعناية، حتى جاءت في النهاية بطفل داخل أنبوبة الاختبار، ثم قتل الأطباء ذلك الجنين، حتى يتمكنوا من فحص نتائج التجربة فحصاً شاملاً، وذلك تحت إشراف جامعة (كمبرديج) وقالوا: الغاية من التجربة هذه معرفة الخطوات البالغة التعقيد، التي تمر بها عملية الإخصاب، حيث يؤدي ذلك إلى معرفة المزيد من وظائف الخلايا والأجنّة والصفات الوراثية، ومختلف تكوين مراحل الجنين. وقد تبين أن عملية الإنجاب والإخصاب تمرّ بمراحل بالغة التعقيد أكثر بآلاف المرات مما تصوروا[(١)].

ويهمنا هنا الكشف عن الحكم الشرعي في ذلك، فهل تجوز مثل هذه التجارب في شريعتنا أولاً؟

هذا الأمر مخالف لشرعنا من عدة أمور:

١ ـ لا يجوز تلقيح بويضة امرأة بماء رجل أجنبي بحال من الأحوال، مهما كانت الحاجة إلى مثل هذه التجارب، كما مرّ معنا قبل قليل في التلقيح المحرم.

٢ ـ إن إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه، أي بعد مئة وعشرين يوماً

= ضمائرهم، فيتظاهرون بعلاج النسوة فيعمدون إلى تلقيحهن بماء رجل أجنبي فتحمل المرأة من غير زوجها، وهي تظن أن حملها شرعي.
(منار الإسلام، عدد /١١/ للعام ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨، ص٢٤ وما بعد، بتصرف).

(١) منار الإسلام، العدد /١١/ للعام ١٩٧٨/١٣٩٨، المرجع السابق نفسه.

من بدء التلقيح محرم باتفاق الفقهاء[(١)]، أما قبل ذلك فقد اختلفوا في جوازه، فعلى هذا فإن قتل الجنين بعد نفخ الروح فيه محرم سواء بقصد الاكتشاف العملي أو غيره.

والنتيجة فإن استخدام المني في التجارب بعد التلقيح بهذه الصورة السالفة لا يجوز شرعاً، إضافة إلى ما في ذلك من امتهان الإنسان، بجعله حقلاً للتجارب، والتلاعب بالروح البشرية.

المطلب الثالث: تأجير الأرحام:

إن تلقيح بويضة امرأة بحيوان منوي من زوجها في أنبوبة اختبار، ثم إعادة زرع البويضة الملقحة في رحم الزوجة نفسها ـ كما مر معنا ـ أصبح أمراً سهلاً، وهو أمر جائز شرعاً بشروطه المعروفة السالفة. غير أن ثمة ظاهرة بدت مؤخراً، ألا وهي ظاهرة تأجير الأرحام[(٢)] وصورتها أن يتفق الزوجان على استئجار رحم امرأة أخرى، لتحتضن نطفة الزوج وبويضة المرأة، وتتولى هذه المرأة ـ الأجنبية ـ الحمل والوضع، ثم تسلم الطفل بعد ولادته لأبويه لقاء أجر معلوم! وقد يكون من الأسباب الداعية إلى ذلك العقم، أو عدم ملائمة رحم الزوجة للإخصاب، كانسداد قناة (فالوب) مثلاً[(٣)] أو الحرص على جسد الزوجة من الإنهاك والحمل، وعدم تعرضها للولادة مبالغة في الإبقاء على المتعة الجسدية[(٤)].

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٣١٠)، نهاية المحتاج للرملي (٨/ ٤١٦)، تحفة المحتاج لابن حجر (٨/ ٢٤١).

(٢) ويطلق عليها أيضاً (أطفال الإعارة)، على غرار (أطفال الأنابيب).

(٣) ارجع إلى التلقيح الاصطناعي لترى الأعذار الداعية إليه.

(٤) منار الإسلام، عدد /١٠/ للعام ١٤٠٥/ ١٩٨٥ ص١٢٨ مقال تحت عنوان: من أخبار العالم الإسلامي، بتصرف).

هذه هي الصورة فما الحكم الشرعي في ذلك؟

إن إدخال ماء الزوج وماء الزوجة إلى رحم أجنبية غير جائز شرعاً، لأن فيه شبهة زنى، وإن لم يتحقق معناه، من حيث اختلاط الأنساب، ولا صورته من حيث الإيلاج في الفرج المحرم.

وبالتالي فإن هذا التعاقد، بين الزوجين والأجنبية، باطل شرعاً، لأنه إيجار على منفعة محرمة، قال ابن رشد: (فمما اجتمعوا على إبطال إجارته كل منفعة كانت لشيء محرم العين، كذلك كل منفعة كانت محرمة بالشرع، مثل أجر النوائح والمغنيات)[1].

وعلى هذا فالعملية محرمة، والتعاقد عليها باطل.

والخلاصة أن المسؤولية عن التناسل بالغة الأهمية، وتكمن أهميتها بمواجهتها أعظم فتنة على الرجال، كما قال ﷺ: «ما أدع بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء»[2].

وقد تبين لنا أن الإسلام وازن بين المثالية والاستجابة للفطرة، بأن شرع الزواج، فهو خير تلبية لدوافع الغريزة الجنسية، وأجمل صورة في الاستجابة لها، لذا دعا إليه، وحثّ عليه. أما الشذوذ فهو إسراف في إرواء هذا الدافع، والزنى خطر عظيم يهدد الجسد، وقد تبين لنا أمثلة على نتائجه، من أمراض الزهري والسيلان والإيدز، لذا شرع الإسلام ما يمنع هذه الفاحشة، فكانت المؤيدات الوقائية، كالترغيب في الزواج، والصوم عند عدم القدرة عليه، وغض البصر، والحجاب وإخفاء الزينة، وتحريم الاختلاط والخلوة بالأجنبية، والتفريق في المضاجع، أمّا المؤيدات الجزائية فكانت الجلد والرجم.

وإن من هذه المسؤولية مراعاة التشريعات الوقائية للجهاز التناسلي

---

(١) بداية المجتهد، لابن رشد (٢/ ٢٢٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٩٨) كتاب الفتن، باب: فتنة النساء.

كاعتزال الحائض والنفساء، واتقاء الدُّبر، كما أن ثمة تصرفات حديثة في الجهاز التناسلي يجب النظر إليها بيقظة وحذر، كالتلقيح الصناعي واستخدام المني في التجارب، أما تأجير الأرحام فعمل غير مشروع، وعقد باطل ـ والله أعلم ـ[1].

حكم التلقيح الصناعي

قال القرضاوي:

إذا كان الإسلام قد حمى الأنساب بتحريم الزنى وتحريم التبني، وبذلك تصفو الأسرة من العناصر الغريبة عنها. فإنه يحرم ما يعرف (بالتلقيح الصناعي) إذا كان التلقيح بغير نطفة الزوج بل يكون في هذه الحالة ـ كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ـ: (جريمة منكرة وإثماً عظيماً، يلتقى مع (الزنى) في إطار واحد، جوهرهما واحد، ونتيجتهما واحدة، وهي وضع ماء رجل أجنبي قصداً في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية يظلها القانون الطبيعي، والشريعة السماوية، ولولا قصور في صورة الجريمة، لكان حكم التلقيح في تلك الحالة، هو حكم الزنى الذي حددته الشرائع الإلهية، ونزلت به كتب السماء.

وإذا كان التلقيح البشري بغير ماء الزوج على هذا الوضع وبتلك المنزلة كان دون شك أفظع جرماً، وأشد نكراً من التبني. فإن ولد التلقيح يجمع بين نتيجة التبني المذكور، وهي إدخال عنصر غريب في النسب، وبين خسة أخرى هي التقاؤه مع الزنى في إطار واحد تنبو عنه الشرائع

---

(١) مبحث الجهاز التناسلي مستقى من كتاب المسؤولية الجسدية في الإسلام لعبد الله إبراهيم موسى.

والقوانين، وينبو عنه المستوى الإنساني الفاضل ويتزلق به إلى المستوى الحيواني الذي لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة[1].

* * *

(١) الحلال والحرام نقلاً عن الفتاوى لشلتوت ص٣٠٠.

المبحث الرابع في

الشذوذ الجنسي

الشذوذ وأقسامه

الشذوذ: هو الإنفراد عن الجماعة ومخالفتهم، وهناك أنواع من الشذوذ الجنسي تنم عن فساد في الطبع وانحراف في الفطرة وانحلال في الخلق منها:

أقسام الشذوذ:

١ ـ اشتهاء الشبيه:

وتسمى (هوموسكوا) ويعرف بين الذكور باللواط، وبين الإناث بالسحاق. ويقدر عدد المصابين بهذا النوع من الإنحراف في مجتمعات الغرب (٥٪) من مجمعوع الذكور و(٢٪) من مجموع الإناث ويشمل هذا الشذوذ المتزوجين وغير المتزوجين على حد سواء.

٢ ـ الرجلة من النساء:

تعتبر المرأة نفسها من جنس الذكر وتتعامل مع الناس على هذا الأساس وقد يكتفي بعضهن بالتشبه الظاهري من حيث الكلام والحركة والحديث والتصرف بعنف، وقد تشترك في الجرائم العنيفة مع الرجال، وقد تتعاطى هرمونات الذكورة وتدمن عليها، وربما لجأت بعضهن إلى استئصال الثديين، أو استئصال الرحم والمبيض، أو إلى إجراء عملية جراحية لإكساب أعضائها التناسلية الخارجية مظهر الذكر، وتنتشر بين هؤلاء عادة الممارسة الجنسية (السحاق)[1].

---

(١) فقه السنة ٢/ ٤٣٢/ ٤٣٤.

٣ ـ الإختلاسية[١]:

في هذه الحالة لا يكتفي المنحرف بممارسة العملية الجنسية مع الجنس الآخر، أو الشبيه بل يحرص على إشباع شهوته الجنسية بالتلصص على الآخرين للتطلع على أعضائهم الجنسية، أو مشاهدتهم وهم يمارسون العملية الجنسية، والمنحرف يتفنن هنا في طريقة الإشباع هذه، فقد يلجأ إلى استئجار من يقومون أمامه بممارسة العملية الجنسية، أو يتردد إلى أماكن وقوع الفاحشة جهاراً ليرى ذلك.

ومما ساعد على ذلك وحقق رغبة هؤلاء المنحرفين جهاز (الفيديو) وقد وُظِّف في عرض مثل هذه العمليات المشينة، وربما تخرّج من هؤلاء المنحرفين فئة (القوّادين)[٢] الذين فقدوا كل شيء من صفات الإنسانية وكرامتها وانحطوا إلى البهيمية[٣].

٤ ـ السادية والماسوشية:

هما نوعان من الشذوذ متشابهان ومتداخلان إلى حدّ كبير، حيث يتم إشباع الشهوة والحصول على اللذة الجنسية باستعمال العنف والقسوة والتعذيب بدلاً من الممارسة الطبيعية الهادئة للعملية الجنسية.

فقد يتجه عنف المنحرف إلى جسده هو شخصياً أثناء ممارسة العادة السرية؛ مما يؤدي إلى كسر عضو التناسلي أو إحداث نزيف شديد به، وقد يخنق المنحرف ذاته، وقد يتجه العنف إلى الشريكة بدرجة تؤدي إلى وفاتها في كثير من الأحيان، أو على الأقل إحداث إصابات شديدة في مختلف أنحاء جسدها، وهذا النوع من الشذوذ أمر نسبي، ويحدث

---

(١) من المخالسة: تقول خالسه النظر نظر إليه خلسة أي خفيه.

(٢) القواد: الساعي بين الرجل والمرأة للفجور.

(٣) مجلة منار الإسلام.

بدرجات متفاوتة تختلف من حيث شدتها وعنفها إذ قد تظهر بدرجة خفيفة تتحملها الأنثى دون شكوى أو أكثر من ذلك.

وهذا النوع من الشذوذ كان وراء كثير من جرائم القتل التي يعلن عنها تحت عناوين كثيرة مثل: سفاح النساء.. سفاح الأطفال.. إلخ..[١].

٥ ـ التخنث (تشبه الرجال بالنساء)

يعتبر الرجل في هذا نفسه منتمياً إلى جنس النساء وينظر إلى نفسه كأنه أنثى، ويتعامل مع الناس على هذا الأساس، وينظر إلى أعضائه التناسلية نظرة اشمئزاز واحتقار.

وقد يكتفي المنحرف بتقليد المظاهر النسائية، من ملبس وحركة وحديث وقد يستعمل الهرمونات الأنثوية لإعطاء جسده المظهر النسائي من توزيع للدهنيات تحت الجلد، وتوزيع للشعر، وزيادة حجم الثديين، وتغيير طبقة الصوت، بل هناك أسوأ من ذلك حيث يلجأ المنحرف إلى الطبيب لاستئصال أعضائه التناسلية، ثم يعمد إلى عملية جراحية تشبهه بالنساء تماماً في كل شيء حتى في الجهاز التناسلي.

٦ ـ اشتهاء الأطفال

هذا النوع من الشذوذ يصيب البالغين من الذكور حيث يقوم المنحرف بالإعتداء جنسياً على الأطفال دون الحلم، وعادة لا تأخذ العملية الجنسية شكل الجماع الكامل.

وهناك أنواع كثيرة من الشذوذ مثل: اشتهاء الموتى، واشتهاء المسنين، والبهائم، حيث ينصب الإعتداء على الحيوانات الأليفة وهناك إتيان المحارم، حيث يقع المنحرف في بعض محارمه، وهناك العرى، حيث يعمد المنحرف إلى كشف أعضائه التناسلية، وهذا الأخير مما شجع

---

(١) المسؤولية الجسدية في الإسلام لعبد الله ابراهيم موسى نقلاً عن مجلة منار الإسلام.

على انتشار أندية العراة في كثير من دول العالم[1].

* * *

(١) المسؤولية الجسدية نقلاً عن مجلة منار الإسلام.

المبحث الخامس في

السحـــاق

حكم السحاق

ويحرم إتيان المرأة المرأة، لما روى أبو موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان»[١].

ويجب فيه التعزير دون الحد، لأنها مباشرة من غير إيلاج، فوجب بها التعزير دون الحد، كمباشرة الرجل المرأة فيما دون الفرج[٢].

وفي فقه السنة للسيد سابق:

السحاق محرم باتفاق العلماء لما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد».

والسحاق مباشرة دون إيلاج ففيه التعزير دون الحد، كما لو باشر الرجل المرأة دون إيلاج في الفرج[٣].

وعن واثلة بن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يستغني الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، والسحاق زنا بينهن».

وعن أبي بن كعب قال: «قيل لنا أشياء تكون في هذه الأمة عند اقتراب

---

(١) البيهقي ٨/ ٢٣٣. التلخيص الحبير ٤/ ٥٥.

(٢) المهذب للشيرازي تحقيق محمد الزحيلي جـ ٥/ ٣٨٥.

(٣) فقه السنة جـ / ٢/ ص٥٨٣.

الساعة، فمنها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها» وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا، حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً.

قال ابن عقيل: إذا عرف في النساء حب السحاق منعن خلوة بعضهن ببعض والسحاق زنا، لكنه لا يوجب الحد، بل التعزير، لأنه من غير إيلاج، فهو كوطء الرجل الرجل دون الفرج[١].

يقول ابن الجوزي في أحكام النساء:

وأكثر ما يدعو النساء إلى السحاق أنهن إذا ألزقن موضع محزّ الختان بموضع محزّ الختان، وجدن هناك لذة عجيبة، وكلما كان ذلك منها أوفر، كان ذلك السحق ألذ، ولذلك صار حذّاق الرجال يضعون أطراف الكَمَر، ويعتمدون بها محزّ الختان، لأن هناك مجتمع الشهوة.

قال ابن الجوزي ذلك في الدعوة إلى وجوب الختان على النساء.

وفي الموسوعة الفقهية:

الزنى والسحاق يتفقان من حيث الحرمة حيث إن كلا منهما استمتاع محرم، ويختلفان من حيث الحقيقة والمحل والأثر.

ولا خلاف بين الفقهاء في أن السحاق حرام لقول النبي ﷺ: «السحاق زنى النساء بينهن» وقد عده ابن حجر في الكبائر.

أثره على الغسل:

اتفق الفقهاء على وجوب الغسل إذا حصل إنزال بالسحاق، إذ أن خروج المني من موجبات الغسل، أما إذا لم يحصل إنزال فلا يجب الغسل.

---

(١) أحكام النساء لابن الجوزي.

أثره على الصوم:

اتفق الفقهاء على أنه إذا حصل إنزال بالسحاق فإنه يفسد الصوم ويجب القضاء على من أنزلت، إذ أن خروج المني عن شهوة بالمباشرة مفسد للصوم.

قال الكمال ابن الهمام: وعمل المرأتين أيضاً كعمل الرجل جماع فيما دون الفرج لا قضاء على واحدة منهما إلا إذا أنزلت ولا كفارة مع الإنزال.

وأوجب المالكية الكفارة عليها حينئذ، أما إذا لم يحصل إنزال فإن الصوم صحيح.

وهذا في خروج المني، أما إذا حصل بالسحاق خروج المذي فقط فمذهب المالكية والحنابلة أن خروج المذي بلمس أو قبلة أو مباشرة مفسد للصوم كذلك. خلافاً للحنفية والشافعية.

عقوبة السحاق:

اتفق الفقهاء على أنه لا حد في السحاق، لأنه ليس زنى، وإنما يجب فيه التعزير، لأنه معصية.

نظر المساحقة إلى المرأة المسلمة.

اختلف فقهاء الشافعية في جواز نظر المرأة المساحقة إلى المرأة المسلمة.

فذهب العز بن عبد السلام وابن حجر الهيثمي وعميرة البرلسي إلى منعه وحرمة التكشف لها لأنها فاسقة، ولا يؤمن أن تحكي ما تراه.

وذهب البلقيني والرملي والخطيب الشربيني إلى جوازه، لأنها من المؤمنات والفسق لا يخرجها عن ذلك.

رد شهادة المساحقة:

لا خلاف بين الفقهاء في أنه يشترط في قبول شهادة الشاهد أن يكون

عدلاً فلا تقبل شهادة الفاسق، ولما كان فعل السحاق مفسقاً ومسقطاً للعدالة فإنه لا تقبل شهادة المساحقة. وهذا وإن لم يصرح الفقهاء برد الشهادة بالسحاق إلا أنه مفهوم من كلامهم وقواعدهم العامة في قبول الشهادة وردها[1].

حرمة استمتاع النساء بالنساء

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استحلت أمتي خمساً فعليهم الدمار: إذا ظهر التلاعن، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء» رواه البيهقي[2].

كيف يكون السحاق

تشعر المرأة التي تمارس علاقات سحاقية إزاء غيرها من النساء كما يشعر الرجل، فهي تقص شعرها وتمارس ألعاب الرجل وتغشى مجتمعاتهم وتكون في الغالب ذات عاطفة جنسية حادة. وهي ترغب أحياناً في الزواج من المرأة التي تحب وتقسم بالوفاء لها وتحتفل بخطبتها علناً، وترتدي لبس الرجال، وتمثل دور الزوج وقد تكتفي برموز سرية، مثل تبادل الخواتم.

والسحاق عند المرأة له مميزات خاصة تتوقف على إشعاع العاطفة الجنسية في عقلها.

فإذا خطر لامرأة أن تغري فتاة صغيرة فإنها لن تجد صعوبة كبيرة في

---

(١) الموسوعة الفقهية جـ ٢٤ ص٢٥١ ـ ٢٥٣ مصطلح سحاق.

(٢) حسن الأسوة ٥١٣.

ذلك إذ تبدأ أولاً في التحايل عليها، واكتساب عطفها بأن تظهر نحوها من الحب والحنان العادي بين النساء. ثم تتبع ذلك بالقبلات والعناق والنوم في فراش واحد. وبعد ذلك تعمل المريضة تدريجياً على إيقاظ شعور اللذة والشهوة في نفس ضحيتها، وكثيراً ما تجهل الضحية أن وراء هذه المظاهر تكمن علاقة طبيعية، أو قد تستسلم لعواطفها دون تفكير وتقع بدورها في حب صاحبتها، وسأذكر فيما يلي مثالاً على ذلك:

استطاعت إحدى المريضات أن تحظى بحب فتاة عادية، وأن تعقد عليها قرانها رسمياً. ولكن حقيقة هذه الفتاة ما لبثت أن انكشفت، وحاول من يحيط بها أن يمنعوها عن إعادة الصلة بها. أما الفتاة المخدوعة فقد ظلت على الرغم من هذا وفيه (لحبها الأول) وكانت تزور صاحبتها خلسة وتعانقها أمام الناس بشغف عجيب.

فبماذا يستطيع الإنسان أن يجيب على هذا المنطق. إن حباً نفسياً من هذا القبيل يكاد يكون مستحيل الحدوث عند الرجل.

فالمرأة تبدأ علاقاتها السحاقية أولاً باتفاق الأهواء والأمزجة، ثم يتحول الأمر إلى تبادل العطف والحنان ثم إلى تبادل القبل والعناق، وأخيراً تنتهي هذه العلاقة إلى إثارة الهياج الجنسي.

وهذا يفسر لنا كيف تغري المريضة السحاقية امرأة أخرى عادية حتى توقعها في حب جنوني معها، وكيف تفرط معها في كل أنواع العلاقات التناسلية الشاذة سنوات عديدة حتى تحول هي الأخرى إلى مريضة، ولكن المرض لا يكون حقيقياً إلا إذا أثبته التعود الطويل إثباتاً واضحاً وهذا أمر ميسور عند المرأة لأن طبعها بطبيعته يميل إلى الوحدانية والإستقرار[١].

---

(١) العيادة الصحية د. شبيرو فاخوري ص٥١٤ ـ ٥١٥ دار العلم للملايين.

فإذا كان الأمر واضحاً بهذه الخطورة. فلتحاذر الفتيات من الإنزلاق في هذه الهاوية، ولتحافظ الفتاة على نفسها أشد المحافظة، من الوقوع في أحضان امرأة مريضة قد أعماها الهوى، وتمكن حب الشذوذ فيها.

* * *

المبحث السادس في

العادة السرية

العادات السرية

يطلق اسم العادات السرية على أي عمل يقوم به الإنسان لتهييج عواطفه التناسلية بأي الطرق الممكنة غير الجماع الطبيعي وما يسبقه ويتبعه من منبهات ومسكنات لمراكز الجهاز العصبي التناسلية، وتتركب هذه الطرق المهيجة في العادات السرية مما يلي:

١ ـ تهيج الأعضاء التناسلية تهيجاً ميكانيكياً مباشراً بحركات مختلفة يقوم بها الشخص تارة بيديه، وتارة بفخذيه، وتارة بتحريك جسمه على الفراش وتارة بإدخال أجسام أجنبية في العضو التناسلي للذكر أو الأنثى وتارة بتغيير درجة حرارة هذا العضو بوسائل دافئة أو ساخنة، وتارة باستعمال دهانات منبهة أو مهيجة الخ. . .

٢ ـ تهييج المراكز التناسلية الرئيسية بالجهاز العصبي بواسطة مطالعة الكتب الساقطة والروايات والمجلات غير الأدبية، أو بحضور التمثيل المنحط، أو حفلات الرقص الغير الشريفة، أو بالاشتراك في أحاديث قوم أو جماعة لا أخلاق لهم، أو بالتطلع للنساء في الطرقات، أو بالتحكك بهن في المجتمعات المزدحمة، وبالتغزل في ممثلة أو مغنية عند قيام هذه بدورها الفني، ولو رآها في رواية سينماتوغرافية، أو بالتدله والتصبب في صورة بسيطة معلقة على جدار غرفة أو معروضة في حانوت، أو بالتمتع النظري بجمال جسم عار مرسوم، أو بالتطلع لجمال الأجسام العارية في الحمامات العمومية على شواطىء البحور والبحيرات و. . .

٣ ـ تهييج المراكز النفسية العليا بالجهاز العصبي بواسطة الخيال، كأن يتذكر الشخص أياماً قضاها مع حبيبته أو عشيقته في أحضان الشهوات

واللذات، أو يقضي نهاره وليله في نظم شعر شهواني، أو وصف لذة غيره ممن يعتقد فيهم الاستمتاع الدائم، أو كأن يحمل الشخص شيئاً مهماً كان تافهاً بشكل ذكرى لعلاقة تناسلية، سابقة بينه وبين غيره فتراه يضع هذا الشيء، ويقضي ساعات متوالية متطلعاً إليه مفكراً فيه مستعيداً كل ذكرى قديمة، مستعرضاً في مخيلته كل حركة أو نفحة، أو قبلة أو لذة تمتع بها مع صاحب هذا التذكار.

٤ ـ تهييج المراكز التناسلية الرئيسية بالجهاز العصبي تهييجاً فسيولوجياً بأن ينبه الإنسان حاسة من حواسه الخمس كما تعمل بعضهن عندما تتطلع لجسمها العاري، وتقف أمام مرآة فيعجبها قوامها، أو بديع تركيبها أو جمال عينيها وتناسب أعضائها وطول شعرها الخ. . . فتبتدىء حاسة النظر تنبه عندها شعوراً تناسلياً قد يصير أقوى من شعور أي رجل تسمح الظروف بأن يتمتع بجمالها هي وقد تنتهي بها الحالة إلى غرور غريب بشكلها قد يقودها إلى أمراض عصبية كثيرة.

مضار العادة السرية

وأما مضار العادة السرية فإنها متعددة، فهي تفتك بالشبان والشابات وبالرجال والنساء، متزوجين كانوا أو غير متزوجين، وقد تستمر هذه العادات منسلطة على أصحابها حتى في سن الكهولة، وقد تسير معهم حتى آخر حياتهم.

ولا ينحصر تأثير هذه العادات في إضعاف الجهاز التناسلي فقط، بل زيادة على ضعف الأعضاء التناسلية البسيطة، أو الارتخاء الشديد، وضياع اللذة من الجماع فقد يصاب المريض بضعف عام في جميع أجهزة الجسم، فترى الشخص ضعيفاً هزيلاً أصفر اللون، تائه البصر، غائر العينين عاجزاً عن فهم ما يسمع، غير قادر على استيعاب ما يقرأ، ناسياً دائماً ما يكتب يستحيل عليه التفكير في أي موضوع كبير.

وقصارى القول: ترى جميع قواه العقلية المفكرة والحافظة

والمستنتجة والملاحظة ضعيفة لدرجة تعوقه عن القيام بأي عمل من الأعمال، ويضمحل جهازه الهضمي اضمحلالاً تدريجياً، فيبتدىء بفقد الشهية للطعام شيئاً فشيئاً، وتضعف قوة الهضم وامتصاص خلاصة الغذاء القليل الذي تسمح له شهيته بتعاطيه ويصاب بأعراض اضطراب الهضم المختلفة من عسر هضم وإسهال وإمساك.

وإن جميع أجهزة الجسم الأخرى تضعف وتقوى بمقدار الغذاء الجيد الذي يتعاطاه الإنسان وقوة هضمه، فإذا ما ضعفا تبدو على كل الجسم الآلام إذ يصاب المريض بعدئذ بأنواع فقر الدم المختلفة وبضعف تدريجي في عضلاته وعظامه، فيصير غير قادر على المشي أو الجري بنشاط، وتراه يلهث تعباً إذا ما قام بأي مجهود بسيط، كأن يصعد سلماً أو يؤدي أي عمل مهماً كان أو صغيراً.

وأما جهازه العصبي فيتأثر أولاً من ضعف الجسم العام، ومن إجهاد جهازه التناسلي واضمحلال قواه الحيوية، وثانياً مما يصيبه من الأمراض المختلفة، مثل النوراسقينية التناسلية التي تقوده لضعف في نظره، فترى عينيه لامعتين لمعاناً غريباً، وهو في الحقيقة لا يرى على بعد أكبر من مترين، ويتقدم في مرضه خطوة فخطوة إلى موت زؤام، يختطفه وهو في ريعان شبابه، بعد أن يكون قضى البقية الباقية من حياته طريح الفراش، مصاباً بأنواع مختلفة من الشلل الجزئي، أو الكلي، أو فريسة لأمراض عقلية كثيرة، فبعد أن كان مصاباً بالشبق يبتدىء يصاب بداء السوداء، وقد يصل لدور الاضمحلال العصبي العام والجنون المطبق، وأكبر شاهد على ذلك ما يصادف في مشافي المعتوهين والأمراض العقلية منهن ملأى بضحايا العادات السرية من الذكور والإناث.

ويرى القارىء مما تقدم المضار الهائلة لهذه العادات، فلا بد من معالجتها ومكافحتها بكل همة ونشاط في أول بادرة أو فرصة يلاحظ على

أي شخص كاد يقع فريسة لها، أو لم يقع بعد، وتتألف مكافحة هذه العادات الهدامة بما يأتي:

مكافحـة العادات السريـة

وقاية الذكور والإناث شر هذه العادات بتنوير أذهانهم تنويراً كاملاً عن حقيقة هذه العادات وتبيان مضارها.

ومن العبث أو من الغباوة والجهل تركهم جهلاء لا يدرون ما مضار هذه العادات لمجرد التخوف من مفاتحتهم في مثل هذه المواضيع، لأنهم لا بد من أن يقعوا بين براثن هذه العادات الفتاكة، خاضعين لطبيعتهم البشرية وفطرتهم التناسلية، مستسلمين لتقليد أقرانهم وإخوانهم المصابين بنفس الداء، ومن الفظاعة بمكان أن نترك شبيبة وأطفالاً ضحية لما يقرؤون من الكتب والمجلات المفسدة للأخلاق والآداب العامة، بدون أن نمنح هذه الطبقة سلاحاً قوياً تصارع وتحارب تلك المعلومات الفتاكة بصحتها وشبابها. وأما بعد ممارستهم هذه العادات وإصابتهم ببعض الأمراض الناتجة عن ممارستها، فيجب المبادرة إلى الأطباء الإخصائيين في الأمراض التناسلية، فيعرضون أنفسهم عليهم لعلهم يشفون منها طبياً ونفسياً.

قال الدكتور سربليد Surbled: للإستمناء نتيجة أخيرة رائعة، وهي أن يُجهد الأعصاب، وينهك القوى الحيوية، وهو بذلك يضرب المزاج الضربة القاضية، ويدفعه أعزل ومكتوف اليدين هدفاً للعوامل المعدية والجراثيم الفتاكة مما يمهد السبيل للعلل المعدية، وخاصة لداء السل الرئوي، وأنى لمثل هذا المزاج المتضائل أن يقاوم جيش الجراثيم المهاجمة، إنه إذن لفريسة سهلة المأخذ قد حكم عليها سلفاً بالتسليم والموت[١].

---

(١) فرح أنطون: مقبرة الرجال أو مساوىء الدعارة في نظر العقل والعلم.

وقال الأستاذ الطبيب Laseque: من القواعد العامة اننا إذا دققنا النظر في الشبان المستسلمين للعوائد السرية، وفحصناهم من جهة الدماغ، وجدناهم محدودي الفهم منحطين عن متوسط درجة رفقائهم، ولا حظنا أنهم عاجزون عن بلوغ مركز في الهيئة الاجتماعية[1].

وقال الدكتور جورج سربيلد: ان المساكين المستعبدين للعوائد الرذيلة يفقدون القوة الجسدية والقوة الأدبية، وما عادوا يصلحون لشيء، فلا أهلية لهم للاجتهاد، ولا لذة في العمل فهم يضجرون ويضيعون أوقاتهم في التماس اللهو واللذة، ويقعون غالباً في فضائح لا اسم لها.

وقال الدكتور عبد الرزاق الشهرستاني عن العادة السرية (الاستمناء) أنها الطريقة الشاذة لإشباع غريزة الإنسان الجنسية، وتحصل بإهاجة النفس للحصول على الشهوة الجنسية عن قصد وإلحاح، وقد تصل نسبتها في بعض المجتمعات إلى ٩٠ بالمئة ذكوراً وإناثاً، وذلك نسبتها لدى الذكور أكثر من الإناث ولدى ساكني المدينة أكثر من أهالي القرية والريف ولدى المتعلمين أكثر من غير المتعلمين.

علاج العادة السرية

ولقد ثبت بأن طريقة القوة والنهي ليست كافية في مكافحة هذه الآفة، بل يجب اتباع الطرق الآتية:

١ ـ تشجيع الزواج المبكر.

٢ ـ التثقيف الجنسي وإظهار مساوىء هذه العادة المستهجنة التي يمجها كل ذوق وإحساس.

٣ ـ الابتعاد عن أفلام الجنس ووسائل الإغراء الأخرى، كالمجلات والكتب المكشوفة، والرقص الخلاعي ومباهج الزينة التي تهيج وتثير

(١) فرح أنطون مقبرة الرجال أو مساوىء الدعارة في نظر العقل والعلم.

الغرائز الجنسية، وتخرج الشباب عن الطريق المستقيم.

٤ ـ ممارسة الرياضة والأعمال الفنية الجميلة كالرسم والنحت والموسيقى والقيام بالمطالعة المفيدة.

٥ ـ تناول الغذاء الصحي الحاوي على الخضراوات والفواكه وترك المخللات والتوابل والمشروبات الكحولية والتقليل من اللحوم.

٦ ـ تفريغ الفضلات والغازات والادرار من الأمعاء والمثانة دون تأخير لأنها تسبب الاحتقان في منطقة الأعضاء التناسلية وتهيّجها.

٧ ـ اتباع الوسائل الصحية كالنظافة العامة والحمامات المائية والشمسية، وترك الفراش حالاً عند النهوض من النوم والانشغال بأمور مفيدة[١].

ويقول الدكتور هاني عرموش:

في علاج العادة السرية:

من يقع في خطأ ممارسة العادة السرية يجب عليه ألا ينطوي على نفسه، وألا يشعر بالخوف من الأمراض والوقوع في الأوهام، بل عليه أن يحاول ألا يقع فريسة تلك العادة. ويساعده في ذلك اتباع الإرشادات التالية:

١ ـ وجود النية الصادقة والعزيمة الأكيدة على ترك تلك العادة.

٢ ـ إملاء فراغه بشكل كامل بالعمل المفيد، وعدم الجلوس بعيداً عن الناس بل يفضل له ملازمة الأصدقاء والأهل والجلوس معهم، لأن بقاء الإنسان وحيداً يساعده كثيراً على ممارسة العادة السرية والتخلص من الخجل والخوف والشعور بالذنب.

٣ ـ لعب الرياضة الخفيفة، وتنمية المواهب الخاصة عند الموهوبين.

٤ ـ الإغتسال بالمياه الباردة يومياً أكثر من مرة إن أمكن.

---

(١) الزنا ومكافحته عمر رضا كحاله ص٣٣٢ ـ ٣٣٧ نقلاً عن عبد الرزاق الشهرستاني: أسس الصحة والحياة ص٣١٨ ـ ٣٢٠.

٥ ـ الإبتعاد عن المثيرات الجنسية وصرف النظر عن التفكير بالعادة السرية والجنس.

٦ ـ تناول الفيتامينات وخاصة الفيتامين (ب) المركب وتناول الطعام الجيد لتحسين الوضع الصحي.

٧ ـ معالجة الأمراض العامة ومعالجة أمراض جهاز الهضم، والقضاء على ما يحويه من ديدان.

٨ ـ محاولة النظر إلى الجنس الآخر بمنظار غير جنسي، والتعامل معه من هذا المنطلق.

٩ ـ قد يساعد المرء استعمال بعض المهدئات العصبية لفترة زمنية محدودة ريثما تهدأ نفسه ويعتاد الإبتعاد عن ممارسة العادة السرية.

١٠ ـ والزواج هو أفضل علاج للقادرين عليه، فهو خير وسيلة للتخلص من العادة السرية.

١١ ـ أما المتزوجون الذين يمارسون العادة السرية، فيجب عليهم أن يتحلو بقوة الإرادة لتركها، فإن استطاع الإنسان الصمود لفترة زمنية معينة يعود تلقائياً إلى الوضع السليم ويفقد أي رغبة في ممارسة تلك العادة الذميمة.

العادة السرية للمرأة

الإدمان على العادة السرية للمرأة قد يجعلها ترتبط بإدمان في الجهاز التناسلي فتتعود مدمنتها على هذا الأسلوب الخاطىء في ممارساتها الجنسية، وبالتالي يؤثر هذه العادة على مستقبلها في معاشرة زوجها.

ثم إن ممارسة الفتاة لهذه العادة قد يؤدي بها إلى فقدان بكارتها نهائياً.

ثم إن انشغال الفتاة بهذه الأمور وسيطرتها على تفكيرها بهذه الصورة غير الطبيعية، سيجعلها تنحرف وتفكر في لون آخر من ألوان الإنحراف الجنسي يكون أكثر إشباعاً.

ومنهج الإسلام في معالجة مثل هذه القضايا هو سد الذرائع والطرق الموصلة إلى الفتنة والفساد.

هذه العادة تبدد طاقة الشابات، وتشغلهن عن واجباتهن، وتجعلهن ينفقن الكثير من أوقاتهن في البحث عن المثيرات، من صور، إلى فلم، إلى مجلة جنسية وتكون هذه الأشياء بمثابة الوقود الذي يوضع على النار ليزيدها اشتعالاً. وممارسة هذه العادة تلهب خيال الشابات في أثناء ممارستها، وذلك بتخيلهن لأوضاع مثيرة مما يؤدي إلى إرهاق الجهاز التناسلي.

كما أن ممارسة هذه العادة لا تؤدي إلى الإشباع الجنسي الطبيعي مما يترتب عليه المبالغة في إدمانها، ويكون مثل الفتاة في ذلك كالعطشى التي تشرب الماء المالح، كلما ازدادت شرباً ازدادت عطشاً.

أضرار العادة السرية

١ ـ إدمان العادة السرية:

إن الحصول على اللذة بممارسة العادة السرية أمر ميسور، فإذا تعلق الإنسان بها وأحبها أقدم على ممارستها كلما وجد نفسه وحيداً، أو كلما شعر برغبة في ذلك، وهكذا يكرر العملية عدة مرات في اليوم ومع الأيام يتعلق بها، ولا يستطيع الإقلاع عنها، وقد يحافظ عليها بعد الزواج.

٢ ـ البرود الجنسي:

إذا لم تمتنع المرأة عن ممارسة العادة السرية بعد زواجها، أو إذا تعلقت بها بعد الزواج، فإن ذلك سيحرمها من لذة المتعة الجنسية مع زوجها، وستلجأ لممارسة عادتها كلما أحست بالرغبة في ممارسة الجنس.

وبعد مدة من استمرار هذا الوضع الشاذ ستنفر المرأة من ممارسة

الجنس مع زوجها، وستصاب ببرود شديد، ولن يستطيع الزوج الوصول بها إلى ذروة اللذة مهما يبذل من جهد، وإن استطاع فسيكون ذلك لصعوبة بالغة جداً، على أن استمرار هذه الحالة غير الطبيعية، ستحوّل الممارسات الجنسية بين الزوجين، إلى عمل تافه خال من الحنان والعطف والمتعة.

٣ ـ إرهاق الجسد:

يؤدي إدمان العادة السرية إلى حدوث إرهاق شديد لدى بذل أي جهد عضلي مهما كان بسيطاً. ويبدو المدمن شاحب الوجه، هزيل الجسم، مضطرب الفكر سريع النسيان، متلعثم الكلام، قليل الإنتباه. ينتابه الصداع والآلام المفصلية، وتزداد ضربات قلبه وتوتر أعصابه لدى أي طارىء، وهو عموماً كسول لا يحب الحركة ولا تحمل المسؤولية.

٤ ـ أمراض نسائية:

يؤدي الإحتكاك المستمر للشفرين الصغيرين إلى تضخمهما بشكل كبير أحياناً لدرجة أنهما يأخذان شكلاً قبيحاً للغاية.

ويحدث عند الفتاة أيضاً إفراز مخاطي غزير، وتحمر فتحة المهبل بشدة، مما يسيء جداً إلى الناحية الجمالية والصحية.

وربما تسبب ممارسة هذه العادة شعور الفتاة من الجنس الآخر، لذلك تجد نفسها عند الزواج خجولة من زوجها، فإذا لم تحصل على متعتها كاملة تلجأ إلى مداعبة أعضائها التناسلية، ودونما انتباه منه بغية الحصول على ما تحتاجه من لذة. فإذا استمرت على هذه الحال فإنها تصاب باشتداد النبض وخفقان القلب مما يوحي بوجود مرض نفسي أو عضوي.

٥ ـ خطر الأدوات المستعملة:

تستعمل بعض الفتيات العذارى أقلام الرصاص الخشبية وأنابيب الزجاج وما شابه ذلك مما يلحق بهن أعظم الأذى. فقد يضر ذلك بغشاء البكارة، بالإضافة إلى أنه يحمل الجراثيم والميكروبات إلى جهاز المرأة

التناسلي ويسبب لها التهابات نسائية ضارة قد ينتج عنها مضاعفات خطيرة.

وتقدم بعض النساء عموماً على استعمال الشموع أو أصابع أحمر الشفاه وأحياناً بعض أنواع الخضار المناسبة وغيرها وجميعها تحدث أضرارً والتهابات ومشاكل مرضية يمكن الإبتعاد عنها أصلاً.

هذا بالإضافة إلى خطر كبير ينشأ عن محاولة الفتاة إدخال بعض الأشياء كدبابيس الشعر والمسامير وما شابهها في فوهة مجرى البول، فتنزلق هذه الأشياء إلى المثانة ويستدعي إخراجها إجراء عملية جراحية[١].

* * *

---

(١) الثقافة الجنسية د. هاني عرموش ٧٩ ـ ٨١.

المبحث السابع في

إسقاط الحمل

حكم إسقاط الحمل

إذا كان الإسلام قد أباح للمسلم أن يمنع الحمل لضرورات تقتضي ذلك، فلم يبح له أن يجني على هذا الحمل بعد أن يوجد فعلاً.

واتفق الفقهاء على أن إسقاطه بعد نفخ الروح فيه، حرام وجريمة، لا يحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حيٍّ، متكامل الخَلْق، ظاهر الحياة.

قالوا: ولذلك وجبت في إسقاطه الدية إن نزل حياً ثم مات، وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتاً.

ولكنهم قالوا: إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه ـ بعد تحقق حياته هكذا ـ يؤدي لا محالة إلى موت الأم، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين.

فإذا كان في بقائه موت الأم، وكان لا منقذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه في تلك الحال متعيناً، ولا يضحى بها في سبيل إنقاذه، لأنها أصله، وقد استقرت حياتها، ولها حظ مستقل في الحياة، ولها حقوق وعليها حقوق، وهي بعد هذا وذاك عماد الأسرة. وليس من المعقول أن نضحي بها في سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته، ولم يحصل على شيء من الحقوق والواجبات[1].

وقال الإمام الغزالي يفرق بين منع الحمل وإسقاطه: وليس هذا ـ أي: منع الحمل ـ كالإجهاض والوأد، لأن ذلك جناية على موجود حاصل.

---

(١) الفتاوى ـ لشلتوت ص٤٦٤.

والوجود له مراتب، وأدل مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية، فإن صارت نطفة مخلقة، كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة، ازدادت الجناية تفاحشاً، ومنتهى التفاحش في الجناية هي بعد الإنفصال حياً[1].

إثم المرأة إذا تعمدت الإسقاط

قال ابن الجوزي:

لما كان موضع النكاح لطلب الولد وليس من كل الماء يكون الولد، فإذا تكوّن فقد حصل المقصود من النكاح.

فتعمد إسقاطه مخالفة لمراد الحكمة، إلا أنه إذا كان في أول الحمل، قبل نفخ الروح، فيه إثم كبير، لأنه مترق إلى الكمال وسار إلى التمام، إلا أنه أقل إثماً من الذي نفخ فيه الروح.

فإذا تعمدت إسقاط ما فيه الروح كان كقتل مؤمن، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[2].

الموؤدة: البنت كانوا يدفنونها حية فهي تسأل يوم القيامة لتبكت قاتليها[3].

كفارة الإسقاط

قال ابن الجوزي:

إذا تعمدت المرأة الإسقاط بشرب دواء يسقط، فإن كان الحمل لم

---

(١) الأحياء ربع العادات كتاب النكاح ص٤٧.
(٢) التكوير: ٨ ـ ٩.
(٣) القرطبي ١٩/ ٢٣٣.

يبلغ المدة التي تنفخ فيها الروح فلا دية في ذلك، إنما عليه الإثم فحسب. هذا في أحد الوجهين لأصحابنا.

الوجه الثاني: أنها إن ألقته مضغة وشهد القوابل أنه خلق آدمي وجبت الغرة[١].

قال الخرقي: وإذا شربت الحامل دواء فأسقطت جنينها فعليها غرّة لا ترث منها شيئاً وتعتق رقبة[٢].

قال ابن الجوزي:

وإن كان قد نفخ فيه الروح فوقع فعليها غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية أمه تدفع إلى ورثته ولا ترث الأم منها شيئاً[٣].

وتجب عليها الكفارة بعد هذا وهي عتق رقبة، فإن لم تجد صامت شهرين متتابعين، فإن لم تستطع فهل يجب أن تطعم أم لا؟ على روايتين، فإن قلنا تطعم، أطعمت ستين مسكيناً[٤].

* * *

(١) المغني ٨/ ٤٠٦.
(٢) المغني ٨/ ٤١٨.
(٣) المغني ٨/ ٤٠٨.
(٤) المغني ٨/ ٥١٧.

المبحث الثامن في

التبــرج

النهـي عن التبرج

التبرج قد نهى الله عنه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

فالخطاب في هذه الآية الشريفة موجه إلى نساء النبي ﷺ، ولكن الحكم عام، ومعناه: هو المشي بتبختر وتكسر، أو أن تُلْقِيَ المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيواري قرطها وقلائدها وعنقها، ويبدو كل ذلك منها، أو أن تبدي محاسنها من وجهها وجسدها، أو أن تظهر من محاسنها ما تستدعي به شهوة الرجال من النظر إليها.

فما يشاهد الآن من كشف المرأة عن ساقيها وذراعيها وصدرها ووجهها وما تتكلفه من زينة تكشف عنها، وما تفعله في غدوّها ورواحها من تبختر في مشيتها، وتكسر في قولها، وتخلع يستلفت الأنظار، ويقوي ميل الأشرار، تبرُّج منهي عنه بالإجماع، لا تقرّه الشريعة الإسلامية ولا يتفق مع الفقه والآداب، لما يؤدي إليه من إثارة الشهوات، وتلويث النفوس، وإفساد الأخلاق، وإطماع ذوي النفوس المريضة.

وكثيراً ما جر ذلك إلى شر الجنايات على الشرف والفقه والإستقامة حتى اشتد الكرب وعمَّ الخطب، وأصبحت البلاد ترزح تحت آثاره الضارة، ونتائجه السيئة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تبرج المجتمـع المتحضر

التبرج من سمات المجتمعات الجاهلية قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ

﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] والفرق بين التبرج في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، ومجتمعاتنا اليوم هو أن التبرج في المجتمعات الأولى كان فيه نوع من البساطة أو الجهل.

أما التبرج في مجتمعاتنا الحديثة، فهو تبرج عن علم وبينة.. تبرج لا يقاس به تبرج الجاهليات التي ذهبت أدراج الرياح، لأنه في عصرنا قد تدنّى إلى مستوى من التبذل والإسفاف، شاركت في صنعه شياطين الإنس والجن.

فبيوت الأزياء وجدت في جسد المرأة تجارة رابحة. فموضة اليوم عند الركبة وغداً فوقها بخمسة سنتيمتر، وبعد غد تزيد مساحة المعروض من خمسة إلى عشرين، وهكذا دواليك، وما على القطيع إلا أن ينفذ توجيهات وتعليمات بيوت أزياء الشياطين في باريس (كعبة التعري والمودات) ومصانع التجميل، ولم تجد أروج من إنتاج الشعور والرموش الصناعية والمساحيق والمعاجين والأصباغ.

فهذا مسحوق للبشرة الشقراء، وهذا للبيضاء، وهذا المعجون يستعمل مساءً وذاك صباحاً، وذلك عند النوم، وهذا كحل فيه من الزفت شبه كبير وهذه صبغة تصبغ بها الأظافر الطويلة التي تكدس خلفها ملايين الجراثيم حتى تغدو المرأة بعد استعمالها وكأنها أنشبت أظفارها في فريسة فلوثتها بالدماء.

وبفضل هذه (البويات) ذَوِيَ الجمال المطبوع وبزر الجمال المصنوع.

و:

ذبلت أزاهير العفاف وسعّرت ... في الحرب نار للهوى شعواء

عجباً لمن صبغوا الوجوه بأحمر ... إذ ليس في تلك الوجوه حياء

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

ولم تقتصر التجارة على مطالب الفتنة في جسد المرأة بل امتدت التجارة إلى جسدها نفسه.

فهذا محل تجاري تعمل فيه فتيات فاتنات لجذب العملاء.

وهذه مجلة جنسية تعرض جسد المرأة شبه عار على صفحاتها لترفع رقم التوزيع.

وهذه شركة للطيران تختار مضيفات لهن مقاييس جمالية معينة، وذلك لتدخل المضيفة البهجة والسرور والحبور على المسافرين على خطوطها.

ولتجعل منها متحفاً للمساحيق والألوان يعرض على الراكبين، حتى يخفف عنهم قطع الفيافي والقفار.

وهذا مستشفى يعالج فيه الرجال والنساء.. جل عاملات التمريض فيه من الفتيات! ألا يصلح الرجال لهذه المهنة؟ وهل من الصعب العسير علينا أن نجعل الرجال يمرضون الرجال، والنساء يمرضن النساء.. كلا.. إننا نريدها أنثى لترفه عن المرضى بابتسامة عذبة تضيء من بين ثناياها، ويد حانية يكون وقعها على المريض برداً وسلاماً.

وكان من ثمرات هذا التبرج الفاضح، والإختلاط المزري، أن أضيف إلى الأدب المعاصر موضوع جديد في الشعر هو (الغزل في المضيفات والممرضات).

يقول أحد المتغزلين في المضيفات:

مضيفة تخطر في الأعالي ... كأنها الملاك في خيالي
لطيفة الخطو والتثني ... في غير ما كبر ولا اختيال
بسمتها الحلوة في حياء ... طارت بعقلي وقضب خيالي
يا ليتنا في الجو ما برحنا ... لم نهبط الأرض من الأعالي

ويقابل هذا النوع من الغزل بدعوة إلى نبذ هذه الوظيفة التي تمتهن

كرامة المرأة وتجعل منها سلعة رخيصة في سوق الشهوات. يقول صاحب هذه الدعوة:

تبدو المضيفة في ابتسام تكلف ... في خدمة وعناية (بزباين)
تجلو جمالاً في صياغة خدها ... وحواجب صفت لنشر محاسن
متكلف ذاك الجمال وتحته ... قبح تستر تحت كل مكامن
فكأنها تعطيك فيه (معرضا) ... والعرض يجلب كل شخص خائن
إن المضيفة عورة مكشوفة ... أبداً لعمري ما لها من صائن
إن كان فيها للحديث لطافة ... فالخلق مخدوش لها في الباطن

وهذا شاعر مريض نسي مرضه، وأصيب بداء جديد هو نظرات ممرضتِهِ فيقول:

خليليّ هل تأسوا لمراض خريدة ... بقامتها الهيفاء سهم من الحتف
لعمري ما دائي سوى نظراتها ... وبلسمي الشافي لديها وما أخفي
وقد عالجوا نصفي بكف رقيقة ... وبالسحر من عينيها أهلكوا نصفي

ويرد شاعر آخر على هذا اللون من الوظائف التي تجعل من المرأة معرضاً لعبث العابثين، ونظرات المفتونين، فيقول:

إن الممرضة التي في حسنها ... وجمالها ودلالها الفتان
ماست بمستشفى لعرض مفاتن ... بتصنع تغزو لكل جنان
لحم على وضم يباع رخيصة ... للعابثين بأبخس الأثمان
كبضاعة في متجر معروضة ... للناس من قاص بها أو دان
آترى فتاة لا ترد للامس ... كَفًّا لها كل العيون رواني؟
كلا فما أخلاقها مضمونة ... ولو أنها جذبت بحلو لسان
إن الحضارة لا تكون حضارة ... يبدو بناها ثابت الأركان
إلا على الدين الحنيف وعفة ... نبتت على الأخلاق والعرفان
لا خير في أمم يميت خلالها ... سعي الجميع لأصفر رنان
وإذا الدخيل تعرفت أفكاره ... يوماً بشعب فهو في تيهان

بل سوف يصبح لقمة لثعالب وفريسة العادي من الذؤبان[١]

وذلكم إعلان في الصحف (مطلوب سكرتيرة حسنة المظهر). ولماذا حسنة المظهر؟ هل ستكتب على الورق بوجهها الوضّاء، أم بقامتها الهيفاء، أم يريد سعادة المدير تكييفاً أنثوياً داخل مكتبه؟ ومكتب فخامته مغلق دائماً، وربما الضوء الأحمر يشير إلى من يريد الدخول عليه بأن فخامته مجتهد في التخطيط لينقذ الإقتصاد العالمي من الإنهيار.

نشرت مجلة حضارة الإسلام في مجلدها الثاني تقول:

طلبت (جوزيبي) الطلاق من زوجها في شهر العسل، ووقفت تبكي أمام القاضي وهي تروي له قصتها:

قالت: لقد احتفلنا بزواجنا في الأسبوع الماضي، وقررنا أن نمضي شهر العسل على شاطىء البحر، ولكني صدمت في اليوم التالي، عندما وجدت فتاة شقراء جميلة تشاركنا في شهر العسل، لقد قال لي زوجي: إنها سكرتيرته الخاصة، وإنه لا يستطيع أن يستغني عنها لحظة واحدة.

ولم يكن ممكناً أن احتمل وجود امرأة أخرى وهي تجلس أمام زوجي (بالمايوه) ليملي عليها خطاباته، ويمضي معها نصف شهر عسلي أنا.

وطلب القاضي من الزوج أن يختار بين الزوجة والسكرتيرة.. فخرج وهو يتأبط ذراع سكرتيرته.

مهازل ومآسٍ تجل عن الحصر واستغلالٍ وقحٍ لأنوثة المرأة.

وللأسف الذي يعتصر القلوب المؤمنة حسرة وأسى، أن دعاة تحلل المرأة من قواد الفساد قد نجحوا في إقناعها داخل ديار الإسلام بمفاهيم مزيفة حتى بات دورها في المجتمع لا يتعدى لحماً طرياً معروضاً ليحط عليه الذباب، وجسداً شهياً مبرقشاً لا يصلح إلا متعة فراش.

---

(١) المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر. لعبد الرحمن المعمر.

ونسيت المرأة وتناست تكريم الإسلام لها، نسيت أنه جعل منها إنسانة لها من الحقوق الأساسية في المجتمع مثل ما للرجل تماماً، غير أنه نأى بها عن مواطن الشبهات، وعما لا يمكن أن يحتملها تكوينها الرقيق.

نسيت أن الإسلام لم يجعل منها كماً مهملاً في المجتمع المسلم، بل جعل لها دوراً إيجابياً فعالاً في حركة هذا المجتمع[1].

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

عـــدوى التـــبرج

لقد سرت عدوى التبرج بين النساء في هذا العصر، وتفشت تفشياً مخزياً محزناً، وأصبحنا أمام حالة مؤسفة لا ندري مغبتها، ولا ندري أي طريق تسوقنا إليه؟

ففي الطرقات والمحال التجارية والمتنزهات والمحافل والأندية والمسارح نرى من ضروب التبرج والزينة ما يحمرّ له وجه الحياء خجلاً، ويملأ القلب حسرة وأسفاً وندماً على ضياع شرف أمة عريقة المجد، تمتهن كرامتها إلى هذا الحد الذي لا يطاق، وتحارب فيه الفضيلة وتتدهور الأخلاق. ولهذا أصبحت المرأة والرجل في شقاق وعلى غير وفاق.

لقد تناست السيدات والفتيات المتبرجات كل معنى للحياء والوقار

---

(١) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشرعية الإسلامية.
(٢) التوبة: ٧١ ـ ٧٢.

وغضضن النظر عن الشرف والكرامة، والعفة والأمانة، وذهبن في تبرجهن كل مذهب بغير حسيب ولا رقيب من أنفسهن ولا من أزواجهن ولا من أولياء أمورهن.

ومن العجب العاجب أننا نسمع أو نقرأ عن تعرض النساء والفتيات من تعرض الشبان لهن في الطرقات، والإستعانة أحياناً أو طلب الإستعانة بالشرطة لحمايتهن وإنقاذهن من شرورهن.

ولو أنصفت هذه الفئة الصاخبة من المستغيثات لرحمن أنفسهن بعدم التبرج والخروج في أزيائهن الفتانة الخارجة عن الحد المألوف حد الحشمة والوقار.

إن تعرض النساء والفتيات من الشبان والرجال لهن. جريمة لا تغتفر فيجب محاربتها ومنعهم عن هذا الخزي الشائن والتحدي المذموم، ولكن اللوم كل اللوم واقع على رؤوس المتبرجات من النساء والفتيات اللاتي يظهرن في الطرقات وغيرها بمناسبة وغير مناسبة، وبداع أو بغير داع، اللهم إلا للتعرّض لأنظار هؤلاء الفسّاق، الذين لا دين لهم ولا خلاق، ولا يردعهم عن ذلك غير رجوع السيدات والفتيات إلى الحشمة والوقار والحياء. والتزام طريق الاعتدال والكمال في سيرهن، وفي أمورهن، بعد أن تبين لهن أن التبرج والزينة عادة ممقوتة وليست محمودة العاقبة. بل هي السبب الوحيد في جلب الضرر إليهن والإساءة لهن.

قال الأستاذ محمد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين:

تبرج المرأة حرام في الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

ثم هو في ذاته عيب يقدح في حمية الرجال ويطعن في غيرتهم، والأمم إذا فقدت غيرتها على حريمها، فقدت أكرم خصال الحياة وأخص صفات الآداب الحافظة لكيان المجتمع.

هذا هو أثر تبرج النساء وتلاقي هذه المدنية جزاءها العادل من إباحته إن لم تتداركه بحكمة وروية.

وقد لاقت جزاءها العادل ودمّر الله بلادها تدميراً في الحرب الحاضرة، كما اعترف (بيتان) في إحدى خطبه إلى أن قال:

اللهم إن كانت المدنية العصرية ستقضي على المرأة المسلمة بأن تخرج من خدرها بعد أن تستهتر في تبرجها (فاللهم حوالينا ولا علينا).

أما نحن فلا نعنى بحقوق المرأة إلا حفظ عرضها موفوراً، وإيتائها كل وسائل السعادة البيتية والإعتراف لها بالسلطة المطلقة في مملكتها المنزلية ووضعها من أفئدتنا في المكانة التي لها بالفطرة، أما ما عدا هذا من إغرائها على التبرج في الطرقات والرقص في السهرات، ومزاولة الأعمال في الفابريكات ـ المصانع ـ والإختلاط بالرجال في المعاملات فتعد من مدنسات شرفها ومن مسقطات كرامتها، وبين أيدينا العلم والعقل، والله يهدي من يشاء إلى سواء الصراط.

تقول (مارلين مونرو) أشهر ممثلة إغراء في رسالتها التي أودعتها صندوق الأمانات في أحد بنوك نيويورك، قبل انتحارها:

إحذري المجد، إحذري ما يخدعك بالأضواء. إني أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أماً. إني امرأة أفضل البيت، الحياة العائلية فهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية. لقد ظلمني الناس وإن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة[1].

هذا أقصى ما تحصل عليه امرأة بعد كل هذه الشهرة والأموال الطائلة

(١) الإسلام والجنس لفتحي يكن ص٧١.

الكثيرة. أن تصبح لا شيء. هباءً منثوراً. في الدنيا إلى التعاسة وفي الآخرة إلى الجحيم.

المقصود بالتبرج

التبرُّج: هو قيامُ المرأة بإظهار زينة لم يأذنْ بها الله، وهي إمَّا خلقية أمام الرجال الأجانب، وإمَّا مكتسبة مطلقاً.

المراد بالأمر الأول: إبداءُ ما جاوزَ الوجه والكفين أمام الأجانب، ولو بدون أيَّة وسيلةٍ من وسائل التَّجميل.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «صنفان من أهل النَّار لم أرهما: قوم معهم سِياطٌ كأذناب البقر يضربُون بها النَّاس، ونساء كاسِيات، عاريات، مائلات، مُمِيلات، رُؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة، لا يَدْخُلْنَ الجنة، ولا يَجِدْن رِيْحَها، وإنَّ ريحَها ليوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا»[1].

هذا الحديثُ من معجزات النُّبوَّة؛ فقد ظَهَرَ هذان الصِّنفان، وهُما من أشدِّ الفتن التي يُبتلى بها النَّاسُ في آخر الزَّمان.

«كاسيات عاريات»: أي: تستر بعض بدنها، وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها، أو تلبس ثوباً رقيقاً يصفُ لون بدنها، أو تلبس ملابس قصيرة أو ضيقة (البنطلون ونحوه) في الحفلات والمناسبات.

«مائلات»: أي: يمشين مُتبخترات، أو يمشين المشية المائلة، وهي مشيةُ البغايا.

«مميلات»: أي: يمشِّين غيرهن تلك المشية، أو يعلمن غيرهن الميل، أو مميلات لأكتافهن.

---

(١) رواه مسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات.

«البُخْت»: أي: الإبل، يُقال: جمل بختي، وناقة بختية.

ومعنى «رؤوسهن كأسنمة البخت» أي: يكبرنها ويعظمنها بلفٍّ عمامة، أو عصابة، أو نحوها، كما تفعل المرأة المعاصرة تماماً عند مُصَفِّف أو مصففة الشعر (الكوافير)، بل إن ما يفعل هناك أدهى وأمر.

المراد بالأمر الثَّاني: القيام بأية وسيلةٍ من وسائل التَّجميل المزوّر (المكياج الصناعي)[1]، ولو أمام زوجها، أو نساء مثلها، فإن السُّنَّةَ المطهَّرة لما شرعت للمرأة المسلمة أن تتزين لزوجها، جعلتْ لهذه المشروعية ضوابط، فأذنت ببعض الصُّور التي تجمع للمرأة بين الجمال الجسدي والسمو الرُّوحي، مثل التطهر بماء الوضوء، وماء الغسل، والتَّطيُّب، وارتداء الثَّوب الجميل والاكتحال، والخضاب بالحنَّاء، ولبس الحلي بكافة أنواعها.

وحرمت البعض الآخر اختباراً لصدق الاتِّباع لله ورسوله ﷺ وفوزاً بثواب الامتثال للأمر والنَّهي، وتخلُّصاً من الآفات الملازمة لكل أمْر مُحَرَّم.

تبرج الجاهليــة الأولــى

ذكر ابن الجوزي في أحكام النساء:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقد اختلف المفسرون في ذلك التبرج، فقال مجاهد: كانت المرأة في الجاهلية الأولى تخرج فتمشي بين الرجال فذلك التبرج.

وقال قتادة: هي مشيه فيها تغنُّجٌ. وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر وحكىٰ الفراء: أنه لبس الثياب الخفاف التي تصف الجسد.

وقال ابن الجوزي: نفس خروج المرأة من بيتها ومشيها في الطريق

(١) الحجاب بين الإفراط والتفريط د. صبري المتولي.

فتنة فإذا تصنعت في مشيتها لتري محاسنها زاد في الشرَك حبل»[1].

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾

التبرج: أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها مما يجب ستره مما تستدعي به شهوة الرجل.

وقد اختلف في المراد بالجاهلية الأولى:

فقيل: ما بين آدم ونوح، أو زمن زمن داود وسليمان

وقيل: ما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة.

وقيل: ما بين نوح وإبراهيم

وقيل: ما بين موسى وعيسى، أو ما بين عيسى ومحمد ﷺ

وقيل: ما قبل الإسلام.

والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان.

أو الأولى: جاهلية الكفر، والأخرىٰ: جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام، وقد بين حكمها في قوله (ولا يبدين زينتهن).

وقيل: تذكر الأولى وإن لم تكن لها أخرى.

وكان نساء الجاهلية يظهرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخليلها بما فوق الإزار إلى أعلى، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل» وربما سأل أحدهما صاحبه البدل.

قال ابن عطية: والذي يظهر لي أنه أشار إى الجاهلية التي لحقنها وأدركنها، فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة، لأنهم كانوا لا غيرة عندهم، فكان أمر النساء دون حجبة، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه، وليس المعنى أن ثمة جاهلية أخرى، كذا قال. وهذا قول حسن. ويمكن أن يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول أو فعل. أي: لا تحدثن بأفعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التي كانت من قبل. وعن عائشة

---

(١) أحكام النساء ١٠٨/١٠٩.

قالت: الجاهلية الأولى على عهد إبراهيم عليه السلام، وكانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق لعرض نفسها على الرجال. وكانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى يبتل خمارها. رواه مسروق[1].

تحريم التبرج والزينة والنهي عنهما

التبرج: هو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب والتبرج والزينة يعميان البصيرة ويفسدان الأخلاق الكريمة، ويحرمان الأجسام لذة الصحة والمنام، ويزرعان في قلوب النساء بذور الغرور وحب الظهور.

وحب التبرج والزينة آفتان يتبعهما آفات، فهما علة الإسراف والتبذير، وطريق الحسد والكبرياء والخلاعة، وحب الذات، وعدم الشفقة على البائس الفقير، فضلاً عما فيهما من ضياع الوقت الثمين في سبيل الزينة الزائفة، والزخرف الباطل.

إن الولع بحب التبرج والزينة يكاد يكون عادة طبيعية في النساء، وملكة راسخة في نفوسهن، فطالما استعملن من القدم أنواع الزخرف والتزين، وذهبن فيها كل مذهب حتى صارت الحلى والحلل موضوع حديثهن في مجتمعاتهن، وحجر عثرة في سبيل تقدمهن.

وقد نهى الشرع الشريف عن التبرج والزينة. قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ فكانت المرأة تضرب الأرض بإحدى رجليها ليعرف الناس أنها ذات خلخال وحجال، وهذا أبلغ في النهي عن إظهار الزينة، وأدل على المنع من رفع الصوت.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ

---

(١) حسن الأسوة ١٨٧ ـ ١٨٨.

جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾(1).

المراد بالزينة

يقول الإمام الطبري: يقول الله تعالى ذِكرُه، لنبيه محمد ﷺ ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿للمؤمنات﴾ من أمتك ﴿يَغْضُضْنَ من أبصارهنَّ﴾ عمَّا يكره الله النَّظر إليه ممَّا نهاكم عن النَّظر إليه ﴿ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عن أن يراها مَن لا يحلُّ له رؤيتها، بِلبْس ما يستهرها عن أبصارهم ﴿ولا يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ﴾(2) ولا يُظْهِرْنَ للنَّاس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهن ﴿إلاَّ ما ظَهَرَ منها﴾ وهما زينتان:

زينة ظاهِرة تُبديها المرأةُ للأجانب.

وزينة خفيَّة لا تُبديها إلاَّ للمحارم.

وطفق الإمامُ الطبريُّ يبيِّنُ اختلافَ أهل التَّأويل في الزِّينة الظَّاهرة على هذا النحو:

(1) كان بعضهم يقولُ: زينة الثِّياب الظَّاهرة، وَذَكَر أكثرَ مِن إسناد في ذلك عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(2) وقال آخرون: الظَّاهرُ من الزِّينة الذي أُبيح لها أن تُبديه: الوجه، والكحل، والخاتم، والسِّواران.

---

(1) النور: 31.

(2) ذهب الجمهور إلى أن العم والخال مثل سائر المحارم في جواز النظر إلى ما يجوز لهم، إلا أن الشعبي قد رفض ذلك وقال: إن العم والخال ليسا من المحارم وبين آخرون أن الأحوط أن يستترن منهم حذراً وخشية أن يصفونهن لأبنائهن.

وذَكَر الرِّوايات بأسانيدها عن طائفةٍ من الصَّحابة والتَّابعين، فمن الصَّحابة: عبد الله بن عباس، وعائشة. ومِنَ التَّابعين: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، والمسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن زيد، والأوزاعي، والضَّحَّاك.

(٣) وقال آخرون: عُني به الوجه والثِّياب، وذكر إسنادين في ذلك عن الحسن البصري.

ومِنَ البيِّن أنَّ الجَمْعَ بين القولين الثَّاني والثَّالث ممكن، بل مُتعيِّن، وهذا ما فعله الطبريُّ عند التَّرجيح، فقال ما نصُّه:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال: عُني بذلك الوجه والكفان، يدخلُ في ذلك إذا كان كذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب».

وقول شيخ المفسرين الطبري في زينة المرأة الظاهرة هو قولُ جمهور المفسِّرين للقرآن الكريم، من لدن الحَبْر البحر عبد الله بن عباس حتى يومنا هذا، ويؤكِّد هذا وَصْف الحافظ ابن كثير لهذا القول بأنَّه المشهورُ عند الجمهور[١].

ثم يقول: في قوله تعالى: ﴿وليَضْرِبْنَ بخُمُرهنَّ على جُيُوبهنَّ﴾: يقول تعالى ذِكْره: وليلقين خُمُرهن، وهي جمع خمار (غطاء الرأس) على جيوبهن (جمع جيب، وهو: فتحة العنق) ليسترن بذلك شُعورهن، وأعناقهن، وأقرطتهن (القُرْط هو المعروف بالحَلَق).

---

(١) ابن كثير ٥/٨٩. وقال في عون المعبود ﴿إلا ما ظهر منها﴾ بالوجه والكفين عن ابن عباس ويقول ابن حزم في المحلى /٢/٢٢٢/ (إلا ما ظهر منها﴾ روينا عن ابن عباس الكف والخاتم والوجه وعن ابن عمر الوجه والكفان وعن أنس الكف والخاتم وكل هذا عنهم في غاية الصحة. وكذلك أيضاً عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من التابعين.

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ لمَّا بيَّن اللهُ ـ عز وجل ـ الزينةَ الظَّاهرة التي يُباح إبداؤها للأجانب، حيث إنها ليست بعورة، شرعَ في بيان الزِّينة الخفيَّة التي يُباح إبداؤها إلا للمحارم المذكورين في الآية ومَن في حُكْمهم، ويشتركُ الزوجُ وسائرُ المحارم في إباحة النَّظر إلى الرأس، والقرطين، والقلادة، والسوارين، وينفردُ الزوجُ بما وراء ذلك.

﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ أي: نساء المسلمين، ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ أي: مماليكهن، فإنه لا بأسَ عليها أن تُظْهِرَ لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء. وقيل: أو ما ملكت أيمانهن من الإماء المشركات: ﴿ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾ يقول تعال ذِكْره: والذين يتبعوكم الطَّعام يأكلونه عندكم ممَّن لا أرب ـ حاجة ـ له في النِّساء من الرِّجال. ومثَّل لذلك بالأحمق، والمغفَّل، والأبله، والمعتوه، والمخنَّث الذي لا يقومُ ذَكَرُهُ، والشيخ الكبير.

﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ واحتجَّ الطبريُّ برواية عن مجاهد: أنَّ المرادَ بالطِّفل هنا: الصغير قبل الحلم ـ البلوغ ـ ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[(١)] يقول تعالى ذِكْره:

---

(١) ورد في سبب نزول هذه الآية عن مقاتل أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت يزيد كانت في نخل لها لبني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات، فيبدو ما في أرجلهن من خلاخيل وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا. فنزلت الآية والسبب في النهي عن الضرب بالأرجل لأنه يورث الرجال ميلاً إليهن، ويوهم أن لهن ميلاً إلى الرجال. وأما صوت النساء ليس بعورة عند الشافعي فضلاً عن صوت خلخالهن. وقال الزجاج: سماع هذه =

ولا يجعلنَ في أرجلهنَّ من الحلي ـ الخلاخيل ـ ما إذا مشين أو حرّكنهن، عَلِمَ الناس الذين مشين بينهم ما يُخفينَ من ذلك.

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذِكْره: وارجعُوا أيُّها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أَمَركم ونَهَاكم من: غضِّ البصر، وحفظ الفرج، وتَرْك دُخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم، وغير ذلك من أَمْره ونَهْيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لتفلحُوا، وتدركوا طلباتكم لديه، إذا أنتم أطعتموه فيما أَمَركم ونَهَاكم[1].

من أحكام الآيـة الكريمـة التي وردت فيها الزينـة:

ذَكَر الإمامُ القرطبي[2] من بدائع الفوائد:

(١) أولى الأقوال بالصَّواب عنده في الزِّينة الظَّاهرة: الوجه والكفان، وبَرْهَنَ على ذلك قائلاً: «لما كان الغالبُ من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة، وذلك في الصلاة والحج، فيصلح أن[3] يكون الاستثناءُ راجعاً إليهما»[4].

= الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها: وقال ابن عباس: هو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال فنهين عن ذلك لأنه من عمل الشيطان، وسماع صوت الزينة كإظهارها وقال القرطبي: من فعل ذلك منهن فرحاً بحليهن، فهو مكروه ومن فعل تبرجاً وتعرضاً للرجال، فهو حرام مذموم، وكذلك من ضرب بنعله الأرض من الرجال إن فعل ذلك عجباً حرم، فإن العجب كبيرة وإن فعل ذلك تبرجاً لم يحرم.

(١) الطبري: جامع البيان (١٨/ ١٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٢٩).

(٣) الحجاب بين الإفراط والتفريط د. صبري المتولي المتولي.

(٤) يقول ابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ١٣٦٩): «والصَّحيحُ أنها من كلِّ وجهٍ هي التي في الوجه والكفين، فإنها التي تظهر في الصلاة وفي الإحرام عبادة، وهي التي تظهر عادة».
حقّق الكتاب: علي محمد البجاوي ـ طبعة الحلبي. =

(٢) الزينةُ على قسمين: خَلْقية ومكتسبة:

فالخَلْقية: وجهها؛ فإنه أصلُ الزينة، وكمال الخلقة.

وأما الزِّينة المكتسبة، فهي ما تحاوله المرأةُ في تحسين خَلْقها، كالثِّياب، والحلي، والخضاب...

(٣) من الزِّينة ظاهِر وباطن؛ فما ظَهَر فمباحٌ أبداً لكلِّ النَّاس، من المحارم والأجانب.

وأمَّا ما بطن؛ فلا يحلُّ إبداؤه إلاَّ لمن سمَّاهم اللهُ تعالى في هذه الآية أو حلَّ محلهم. واختلف في السوار ـ فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: هو من الزِّينة الظاهرة؛ لأنَّه في اليدين، وقال مجاهد: هو من الزِّينة الباطنة، لأنَّه خارجٌ عن الكفين، وإنما يكون في الذراع.

قال ابنُ العربي: وأما الخضاب فهو من الزِّينة الباطنة إذا كان في القدمين.

(٤) سَبَبُ هذه الآية: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أنَّ النساءَ كُنَّ في ذلك الزَّمان إذا غطَّيْن رؤوسهن بالأخمرة، وهي المقانع، سدلنها مِن وراء الظَّهر، فيبقى النَّحر، والعنق، والأذنان، لا سِتْر على ذلك، فأمر اللهُ تعالى بليِّ الخمار على الجيوب، وهيئة ذلك: أن تضربَ المرأةُ بخمارها على جيبها لتستر صدرها.

روى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: رحم اللهُ نساءَ المهاجرات الأول؛ لما نزل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ أُزُرهن فاختمرنَ بها.

(٥) في هذه الآية دليلٌ على أنَّ الجيبَ إنما يكونُ في الثوب موضع

= ابن العربي = الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله (ابن العربي) المالكي (ت ٥٤٣ هـ).

الصدر، وكذلك كانت الجيوبُ في ثياب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ على ما يصنعه النِّساءُ عندنا بالأندلس، وأهل الدِّيار المصرية.

ما ذكره القرطبيُّ في الفائدتين الرابعة والخامسة يبيِّنُ لنا التَّطابقَ التَّامَ في المعنى بين آية الأحزاب: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ وآية النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. ويتأكد ذلك من تفسير الحافظ ابن كثير لها حديث يقول: «قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعني: المقانع، يعمل لها صنفات[1] ضاربات على صُدورهن؛ لتواري ما تحتها من صدورهن وترائبهن؛ ليخالفن شعارَ نساء أهل الجاهلية؛ فإنهنَّ لم يَكُنَّ يفعلن ذلك، بل كانتِ المرأةُ منهن تمرُّ بين الرجال مسفحةً بصدرها[2] لا يُواريه شيء، وربما أظهرت عُنُقَها، وذوائب شَعْرها، وأقرطة آذانها، فَأَمَرَ اللهُ المؤمنات أن يستترنَ في هيئاتهن وأحوالهن، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[3].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ والخُمُر: جمع خمار، وهو ما يخمر به، أي: يغطَّى به الرأس، وهي التي تسميها الناس: المقانع. قال سعيد بن جبير: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ وليشددن ﴿بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعني النحر، فلا يُرى منه شيء[4]، ومِنْ ثَمَّ يُعْلَم أنه لا يُحتَجُّ بأيٍّ من الآيتين على فرضية تغطية الوجه، بل المستفادُ منهما إباحةُ إبداء الوجه والكفين[5].

---

(١) جمع صنفة: وهي: حاشية الثوب وطرفه.

(٢) أي: كاشفة صدرها.

(٣) الأحزاب: ٩٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/٨٩).

(٥) يقول ابن حزم في المحلى (٣/٢١٦): «فأمرهن الله تعالى بالضرب بالخمار على الجيوب، وهذا نصٌّ على ستر العورة، والعنق، والصدر، وفيه نصٌّ على إباحة كشف الوجه لا يمكن غير ذلك أصلاً».

فالقرآنُ العظيم لا يختلف بعضُه مع بعض في القضية الواحدة، ولكن يصدِّقُ بعضُه بعضاً، ويفسِّر بعضُه بعضاً؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

شُبهـــة وردُّهـــا:

لقد أكثرتَ من النقل عن أئمة التفسير المتقدِّمين، وهم كانوا في زمانٍ غير زماننا الذي كثر فيه الفسَّاق، فهلا ذكرت شيئاً من تفاسير المتأخرين، فإن تغيُّـرَ الحُكْم بتغيُّر الزمن أحوطُ لتفادي الفتن؟!

الجواب: لا يمكنُ أبداً أن يُحتجَّ بتغير الزمان على نَسْخ الأحكام، وليست الفتنةُ في مجرد إبداء الوجه والكفين بفطرة الله التي فطر الناس عليها دون أية زينة مكتسبة، ومِن أعظم أسباب الفتنة تعسيرُ النكاح، وتيسير السِّفاح، فهلاَّ يسَّرتم النِّكاح، وتخلَّيتم عن حفلات الأفراح، بما فيها من إسراف وتبذير، وما يسخط الحكيم الخبير، وخفَّفتم الصداق، وحسَّنتم الأخلاق؟! قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أتاكُم مَن تَرضون دِينَه وخُلُقَه فأنكحوه، إلاَّ تفعلوه تكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»[1].

وأعظم أسباب الفتنة التخلِّي عن عقيدة الولاء والبراء؛ باتِّخاذ الكفار أولياء[2] أي: حلفاء، وأصدقاء، وأنصاراً، ومُعِينين. يقول تعالى:

---

(١) حديث حسن، أخرجه الترمذي من حديث أبي حاتم المزني، انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٦/ ٢٦٦). خرج الأحاديث العلامة الألباني المكتب الإسلامي ـ الأولى ـ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

(٢) ذكر الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز من نواقض الإسلام: مظاهرة (مناصرة) المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قولُه تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. راجع رسالته: العقيدة الصَّحيحة ونواقض الإسلام (٢٩) دار الوطن ـ الرياض ـ (١٤١٠ هـ).

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[1].

وما كان لأهل التَّحقيق من الأعلام المتأخِّرين أن يخرجوا عن مُراد الله ـ عز وجل ـ بعد أن أكَّده الأعلام المتقدِّمون: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ يقول الشيخُ سيد قطب ـ رحمه الله ـ[2]: فأما ما ظَهَر من الزينة في الوجه واليدين، فيجوزُ كَشْفُه؛ لأنَّ كَشْف الوجه واليدين مباح»[3]. واحتج بحديث أسماء مرفوعاً: «إنَّ المرأةَ إذا بلغتِ المحيضَ لم يصلحْ أن يُرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه. وسيأتي توجيهُ الحديث سنداً ومَتْناً.

وفي قوله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ يقول سيد قطب:

«والجيب: فتحةُ الصَّدر في الثوب، والخِمار غطاءُ الرأس والنحر والصَّدر؛ ليداري مفاتنهن، فلا يعرضها للعيون الجائعة، ولا حتى لنظرة الفجاءة التي يتَقي المتَّقون أن يطيلوها أو يعاودوها، ولكنَّها قد تترك كميناً في أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تركت مكشوفة، إنَّ الله لا يريدُ أَن يُعرِّضَ القلوبَ للتجربة والابتلاء في هذا النوع من البلاء. والمؤمنات اللواتي تلقَّيْنَ هذا النهي وقلوبهن مشرقةٌ بنور الله، لم يتلكأن في الطَّاعة على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهرو بالزِّينة والجمال».

فيا أهل الإفراط:

ليس من الدِّين تحريمُ إبداء الزينة الظاهرة (الوجه والكفين﴾ أمام نوعِ

---

(١) النساء: ٢٨.

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٥١٢) دار الشرق ـ الطبعة العاشرة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

(٣) سار في ركب الجمهور ـ الذين قالوا بهذا القول ـ من المعاصرين: الدكتور يوسف القرضاوي: الحلال والحرام (١٥٣).
الشيخ محمد الغزالي: الغزو الثقافي (٦٥، ٧٢).
والشيخ عبد الحميد كشك: في رحاب التفسير (٤/ ٣٠٥٩).

من الأجانب، وهو كلُّ رجلٍ يقتضي الأمرُ التعاملَ المشروع معه.

ويا أهل التفريط:

ليس من الدِّين إباحةُ إبداء الزينة الخفية (الشعر، وأقرطة الأذنين، والسوارين) أمام نوعٍ آخر من الأجانب مثل قريب الزوج، وزوج الأخت، والسائق، والخادم، ومَن في حكمهم، أو تمكين هؤلاء من الدخول على النساء والخلوة بهن.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إيَّاكُم والدُّخول على النِّساء» فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيتَ الحمو؟ قال: «الحمو الموت». متفق عليه وزاد مسلم: «الحمو: أخو الزوج» وما أشبهه من أقارب الزَّوج: ابن العم ونحوه(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مَن كان يُؤمِنُ بالله واليوم الآخر فلا يَخلوَنَّ بامرأةٍ ليس معها ذو مَحْرَم منها؛ فإن ثالثهما الشَّيطان»(٢).

ليس من الدِّين المبالغة في إبداء الزِّينة الخفيَّة بين المرأة وغيرها من النساء في الزيارات والحفلات والسَّهرات، بخلع الثِّياب الساترة، وليس ما يصفُ ويشفُّ ويحدِّد، ويكسو ويعري في آن واحد، بحجَّة أنَّ المجتمعَ نسوي، فالمرأةُ تحملُ رسالةَ الدعوة إلى الدِّين، وليس الدعوة إلى البدع (الموضة).

وما أجمع أن تحتفظ المرأةُ بخمارها ووقارها ولو في مجتمع

---

(١) متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: لا يخلون بامرأة إلا ذو محرم، وأخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد من حديث عامر بن ربيعة.
انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (١٣١)، خرَّج الأحاديث محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

النساء؛ حتى يكون الجوّ مُهيّأً لمدارسة العلم والدَّعوة إلى الخير، والإنفاق في وجوه البر. قال رسولُ الله ﷺ: «ما من امرأةٍ تضعُ ثيابها في غير بيت زوجها، إلا هتكتِ الستر بينها وبين ربها»(١).

نصيحـة للأمهـات

تقول إحدى السيدات نصيحة للأمهات:

إن حب الزينة من العيوب التي تخلّ بآداب المرأة ويصعب التغلب عليها، فكم من العذارى الطاهرات السيرة، المتحليات بجواهر الآداب، المشهورات بالعفة والصيانة، المتسربلات بحلل الكمال والفضل، قضى عليهن حب الحلي والحلل مع أنه من الأباطيل الفاسدة. وجرّهن إلى الإسراف والتبذير وضياع الثروة، والوقوع في أسر الفاقة والعوز كما أن المرأة المتبرّجة تسوّد وجهها بتبرجها، وتفقد بهجة محاسنها الطبيعية، وتدل به على صغر عقلها، وتعرض نفسها للإحتقار، هذا إذا كانت جميلة أما إذا كانت دميمة الخلقة لا محاسن فيها، فأقل ما يقال فيها إذا تبرجت:

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

قال أحد الأدباء:

زينـة البنـت الأدب لا بِحُلـيّ ولا ذهب
كـل حلـيّ ذاهـبٌ مثلَ تـذهيـب اللّبب

* * *

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ وانظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص(١٣٦). الحجاب بين الإفراط والتفريط د. صبري المتولي المتولي ط دار ابن كثير.

المبحث التاسع في

الملابس والأزياء

ملابس النساء

من تأمل بعين البصيرة إلى ملابس النساء وأزيائهن في هذا العصر لوجد أنها خرجت عن الحد المألوف، وأن المرأة خرجت بالثوب الخفيف المكشوف، وأصبحت في هذه الحالة المخجلة خارجة على الفضيلة والشرع المنيف المعروف، وصار السكوت عليها خيانة لشرفنا وآدابنا وتقاليدنا وعاداتنا التي كان يضرب بها المثل الأعلى بين الشعوب والأمم الراقية.

قال الشاعر رمزي أفندي نظيم في وصف المرأة المتبرجة:

إن فوضى الأزياء بين النساء   جعلتهن ضحكةً للرائي
كل يوم تبدو بشكل جديد   من خليع الأثواب والأزياء
أين زيُّ البلاد يا بنت مصر   أين زي الأجداد والآباء
ما لتلك الزنود والصدر يبدو   عارياً في العواصف الهوجاء
ولكعب الحذاء قد طال حتى   رُحتِ تمشين فيه كالعرجاء
اتق الله في الحياء قليلاً   أيّ شعب يسمو بغير حياء
قد جذبتِ العيون نحوكِ لكن   باحتقار لما ترى وازدراء
لا تقولي في مصر سفهاء   ذلك الزي موجد السفهاء
في وقار السفور ما هو خير   من حجاب الخليعة الحمقاء
إن أخلاق مصر في أنواء   فأنقذيها من هذه الأنواء
لا تكوني على بلادك حرباً   ومعيناً في الشر للأعداء
واتركي خدعة الغرور بعيش   طائش لا يليق بالأحياء
أنت آمالنا وأمُّ نبينا   فاستحي واحرصي على الأبناء
واحجبي الصدر والزند احتشاماً   عن عيون الورى وبرد الشتاء

قال الأستاذ علي فكري:

قد أمر الله النساء بلبس الملابس التي تغطي أجسامهن، وتحفظهن من أنظار الفساق، فلا يتعرّضون لهن ولا يؤذونهن. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

الجلابيب: جمع جلباب: وهو ما تلبسه المرأة فوق الخمار، والقميص يستر البدن كله، ويسمى في مصر (بالتطريحة وبالملاءة والبالطو).

ومعنى الآية: قل يا محمد للمؤمنات يرخين على وجوههن الجلباب إلا عيونهن للإبصار يبصرن بها إذا خرجن لحاجة ليعرفن أنهن حرائر فلا يتعرّض لهن المنافقون الذين كانوا يتعرّضون للإماء، فهذا حكم من الله تعالى بستر المرأة جميع بدنها، وتعميم هذا الحكم على جيمع النساء في جميع الأوقات.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاقٌ فأعرضَ عنها وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض[2] لم يَصلح لها أن يُرى منها إلا هذا وهذا) وأشار إلى وجهه وكفيه: أي إذا كانت المرأة في سن البلوغ لا يصح أن يرى منها إلا الوجه والكفين.

ففي هذه الآية الكريمة والحديث الشريف ما يدل على أن المرأة يجب عليها ستر جيمع بدنها لأنه عورة إلا الوجه والكفين فلا يجب سترهما، ويجوز للأجنبي أن ينظرهما إذا أمنت الفتنة وهذا هو مذهب المالكية وقول

---

(١) الأحزاب: ٥٩.

(٢) أي سن البلوغ.

الشافعية. وهناك قول آخر يحرّم النظر إليهما لأنه مظنة الفتنة، وهو الراجح للإحتياط.

أزيــاء النســاء

هذا وإن كانت حرارة الصيف تدعو النساء لاستعمال الملابس الخفيفة فلا تدعوهن لاستعمال ملابس الخلاعة والتبرج والزينة التي تظهر منها أجسامهن، فقبيح بالمرأة العاقلة أن ترى عارية الذراعين، مكشوفة الصدر والظهر والساقين، إلى غير ذلك مما هو خارج عن حد الحشمة والأدب والوقار.

فلتحذر النساء من التشبه ببعض النساء الافرنج اللواتي يكشفن صدورهن وأذرعهن وأرجلهن، فإن عوائدهنّ تسمح لهن بذلك، ويجب عليهن الاتباع لأمر الدين وشريعة سيد المرسلين.

ومع هذا فلنقص عليكم بعض حوادث وقعت من النساء الافرنجيات وما فعله رجال الدين المسيحي بسبب أزيائهن:

١ ـ احتفل بتكليل عروسين في إحدى الكنائس فأضيئت الشموع واستعد القسس والكهنة لاستقبال العروسين، فلما وصل موكبهما تطاولت إليه الأعناق ولكن لم تبلغ العروس المكان المعين لصلاة الإكليل حتى رأى الكاهن أن ثوبها رقيق جداً يشفّ عما تحته ولم تتوفر فيه أسباب الحشمة والحياء، فأمر بإطفاء الشموع والمصابيح الكهربائية وقال للعروس: عودي إلى بيتك واخلعي هذا الثوب الرقيق والبسي ثوباً لائقاً محتشماً وعودي إلى الإكليل، فاضطرت إلى الإذعان والخضوع لأمره وأصلحت حالها وغيرت ثيابها ثم عادت إلى الكنيسة وعقد عليها، وأصدر رئيس الأساقفة أمراً عُلِّق على مدخل الكنائس نهى فيه السناء اللاتي يلبسن ثياباً لا تطابق قواعد الحشمة والوقار، وأمر الخدم بمنعهن من دخول الكنائس حتى لا تسرى العدوى منهن إلى غيرهن المحتشمات.

فلماذا أطفئوا الشموع والمصابيح الكهربائية؟ ولماذا أمر الكاهن العروس بالعودة إلى منزلها لتغير ثيابها ولتلبس ثوباً لائقاً؟ ولماذا أمر رئيس الأساقفة بمنع دخول النساء غير المحتشمات إلى الكنيسة؟

أليس للدين دخل في ذلك؟ أو ليس في النهى عن هذا التبرج دفع للرذيلة ومقاومة للفتنة؟

أمّا في مصرنا فمن لنا بمن يطفىء شمس النهار، ومصابيح الليل حتى لا ترى الأعين النساء المتبرجات المتهتكات؟ ومن لنا بمن يأمرهنَّ بالعودة إلى منازلهنَّ لتغيير أزيائهنَّ، حتى إذا خرجن إلى قضاء حاجاتهنَّ حافظن على الحياء والحشمة والوقار؟

٢ ـ رأت الملكة (ماري) عقيلة ملك الإنجليز التبذير والإسراف اللذين تمادت فيهما الفتيات الإنجليزيات في شراء ملابس الخلاعة والبهرجة والزينة، فأرادت أن تعلمهنّ الاقتصاد وأن تكون قدوة لهنَّ في ذلك، فأصدرت أمرها بألا يدخل إلى بلاطها إلا السيدات المحتشمات المعتدلات في طلب الملبوسات، ثم أصدرت أمراً آخر قالت فيه: إنها لا تأذن في الدخول إلى بلاطها لسيدة ترتدي ثوباً ضيق الأطراف والحواشي يكشف فيه قسم كبير من أعلى الصدر والظهر حول العنق، وتضع على رأسها قبعة كبيرة، وأنها تستاء من كل سيدة لاتدل ملابسها على الحشمة والاقتصاد، ثم إنها ظهرت بثوب بسيط جدّاً لتكون قدوةً للفتيات الإنجليزيات.

ثم حظرت الدخول إلى بلاطها على كل سيدة تدهن وجهها أو شفتيها أو بصبغ شعرها أو تزجج حاجبيها، وصرحت أنها لا تريد أن ترى بقربها سيدةً تدخل بهذه الحالة، وقد وافقها الملك على كل ما تقدم.

٣ ـ يحدثنا التاريخ بأن مطران (قادس بأسبانيا) أصدر أمراً حظر فيه دخول الكنيسة على النساء المتبرجات العاريات النحور المكشوفات

الأذرع، واللائي يكنّ لابسات فساتين قصيرة أو جوارب شفيفة (النهضة النسائية يوليو سنة ١٩٢٤).

٤ ـ وأصدر المجلس المحلى لولاية (بلاتين بسويسرا) الأوامر الآتية نقلاً عن الأهرام الصادر في ٢٢/ ٥/ ١٩٣٢:

١) يجب على جيمع الأهالي رجالاً ونساءً من الوطنيين والأجانب والسياح أن يرتدوا ملابس محتشمة ومطابقة للآداب في أثناء سيرهم في الشوارع.

٢) الملابس المحتشمة معناها أن تستر الصدر والساعدين والفخذين ستراً كاملاً.

٣) يجب ألا تكون فساتين السيدات أقصر من الركبتين.

٤) كل من تخالف هذه الأوامر يحكم عليها بغرامة تتفاوت بين ٥ فرنكات و٢٠ فرنكاً ويضاعف هذا المبلغ كل مرة تجددت فيها المخالفة.

٥) وقال الأستاذ جلال حسين النائب المحترم: إن هذا التشريع (أي التشريع المطلوب إصداره) ليس بدعة، ففي البرتغال قانون صدر سنة ١٩٣٩ خاص بأزياء السيدات وهو أشد من قانون (قرني بك) وفي فرنسا الدولة العظيمة رأى حاكمها العظيم أن من أسباب نكبتها النساء فقال: عودوا بالنساء إلى الدور، وفي ألمانيا قوانين صارمة.

فانظروا ـ رحمكم الله ـ إلى ما فعله رجال الدين المسيحي في مقاومة التبرج والتفنن في الأزياء في بلاد تمتعت بالحرية الشخصية (التي يقول بعضهم: إنها مكفولة في المادة الرابعة من الدستور) وكيف أن رجال الكنيسة هم من أقوى العوامل في المحافظة على الحشمة والآداب؟ وكيف أن الديانة الإسلامية والنصرانية متفقتان على النهى عن التبرج والزينة ولبس الملابس القصيرة كبحاً للرذيلة ومقاومة للفتنة، وصيانةً للأعراض والآداب.

وأذكر حادثة حصلت في عهد المرحوم الشيخ حسونه النواوي حينما كان مفتياً لعموم الديار المصرية وشيخاً للأزهر الشريف أنه استصدر أمراً من الحكومة بمنع خروج النساء المتبرجات، وضبط كل امرأة متبرجة وحبسها وتغريم زوجها أو وليّ أمرها، وقد قام بتنفيذ هذا الأمر المرحوم محمد ماهر باشا محافظ العاصمة فلم تخرج امرأة متبرجة من بيتها، وكان لهذا الأمر تأثيره الحسن في نفوس كثير من السيدات، وكان أكبر رادع وزاجر للنساء المستهترات، وحقّاً ما قيل: إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزغ بالقرآن..

وختاماً نرجو من حضرات علماء الدين القيام بحركة في هذا السبيل تدل على غَيرتهم على الشريعة ومحافظتهم على الآداب الإسلامية.

ونرجو أن توفق لجنة الشؤون التشريعية بمجلس النواب لسنّ لائحة تقضي على هذه البدع وتحفظ البلاد من هذا الفساد.

ولتعلم الفتيات والسيدات بأن الجمال الذي يحل من قلب الرجل المحل الأسمى إنما هو الجمال الطبيعي الذي يزيده حسناً نبالةُ الأخلاق وطهارة القلوب؛ وأما الجمال الصناعي المزيف فجمال كاذب وغش زائل لا يخفى على عقلاء الرجال وما أصدق قول الشاعر:

ليس الجمال بأثواب تزيننا ... إن الجمال جمال العلم والأدب

نسأل الله صلاح الحال وإصلاح النساء والرجال في الحال والاستقبال إنه سميع مجيب.

من كتاب مرشد الأنام لمعرفة الحلال والحرام لمؤلفه علي فكري المطبوع سنة ١٩٥٠ بمطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الواجب على المرأة المسلمة تجاه المدنية

فالمرأة المسلمة تلتزم الحجاب الشرعي عند خروجها من البيت، وهو الزّيّ الإسلامي المتميّز الذي حددت معالمه النصوص القاطعة من كتاب

الله وسنة رسوله، فلا تخرج من بيتها، أو تظهر أمام الرجال غير المحارم متعطِّرةً متبرِّجةً بزينة؛ لأنها تعلم أن ذلك حرام بنص القرآن القاطع:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

فالمرأة المسلمة الواعية إذنْ ليست من النساء الكاسيات العاريات اللواتي تغصّ بهنّ المجتمعات المعاصرة الشاردة عن هَدْي الله وطاعته، بل إن المرأة المسلمة لترتعد فَرَقاً[2] من الصورة المخيفة التي رسمها رسول الله ﷺ لأولئك النسوة المتبرّجات الغاويات الضّالاّت المفسدات:

«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النّارِ لَمْ أَرَهما، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْربونَ بِها النّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤوسُهنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ[3]، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْن ريحَها، وإنَّ ريحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسيرَةِ كذا وكذا»[4].

والمرأة المسلمة الراشدة التي نهلت من معين الإسلام الصافي، ونشأت في جوّه الوارث الظليل، لا تلتزم الحجاب الشرعي تقليداً وعادةً درجت عليها الأمّهات والجدّات، فورثتها عنهنّ، كما يحلو لبعض الفارغين والفارغات أن يصوروا الحجاب، من غير سند من علم، أو حجّة

---

(١) النور: ٣١.

(٢) أي خوفاً.

(٣) أي ضخمة كأسنمة الإبل من الزينة المتصنّعة.

(٤) رواه مسلم وغيره.

من منطق، أو هَدْي من كتاب منير. بل تلتزمه وقلبها مطمئن بالإيمان أنه أمر من الله عز وجل، ونفسها مفعمة بالقناعة أنه دين أنزله الله لصيانة المرأة المسلمة وتمييزاً لشخصيتها، وإبعاداً لها عن مزالق الفتنة ومرتكسات الرذيلة ومهاوي الضلال. ومن ثَمّ تتقبّله بنفس راضية، وقلب مطمئن، وقناعة راسخة، كما تقبلته نساء المهاجرين والأنصار، يوم أنزل الله فيه حكمه القاطع وأمره الحكيم:

فعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فيما رواه البخاري عنها، قالَتْ: «يَرْحَمُ اللهُ نِساءَ المُهاجِراتِ[1] الأُوَل، لمّا أنزلَ اللهُ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُروطَهنَّ[2]، فَاخْتَمَرْنَ بِها[3]. وفي رواية للبخاري أيضاً: «أَخَذْنَ أُزُرَهُنَّ فَشَقَقْنَها مِنْ قِبَلِ الحَواشي فَاخْتَمَرْنَ بِها».

وفي رواية عن صفيّة بنت شَيْبَة، قالت: «بَيْنَا نحن عندَ عائِشَة رضي الله عنها ذكَرْنا نساءَ قريش وفضلَهنَّ، فقالَتْ عائشةُ رضي الله عنها: إنَّ لِنساءِ قريشٍ لفضلاً، وإنّي واللهِ ما رأيتُ أفضلَ من نساء الأنصار، ولا أشدَّ تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل! لقد أُنزِلَتْ سورةُ النُّور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، فانقلبَ رجالُهنّ إليهنّ يتلون عليهنّ ما أنزلَ الله إليهمْ فيها، ويتلو الرجلُ على امرأته وابنته وأخته، وعلى كلّ ذي قرابة، فما منهم امرأةٌ إلاَّ قامَتْ إلى مِرْطها المُرَحَّل[4]، فَاعْتَجَرَتْ بِهِ[5]، تصديقاً وإيماناً بما أنزلَ اللهُ من كتابه، فأصبحنَ وراءَ رسول الله ﷺ مُعْتَجِراتٍ، كأنَّ على رؤوسهنَّ الغِرْبان»[6].

---

(١) أي النساء المهاجرات.

(٢) أي أزرهنّ.

(٣) أي تَقَنَّعْنَ.

(٤) هو كساء من صوف نقشت فيه تصاوير الرِّجال.

(٥) أي تلففت به.

(٦) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب التفسير.

رحم الله نساء المهاجرين والأنصار، ما أقوى إيمانَهنَّ! وما أصدقَ إسلامَهنَّ! وما أجملَ انْصِياعَهنَّ للحقّ حين نزوله! وإن كلَّ مؤمنة بالله ورسوله حقَّ الإيمان، لا يسعها إلاَّ أن تتأسَّى بهؤلاء الفضليات من النساء، فَتَلْزِمَ نفسَها الزِّيَّ الإسلاميَّ المُتَميِّز، غير عابئة بما يحيط بها من عُرْي وتكشّف وتبرّج. وإني لأذكر موقف فتاة جامعية مسلمة متحجِّبة، لا يقلّ روعة عن موقف نساء المهاجرين والأنصار رضي الله عنهنَّ: إذ سألها مراسل صحفي زار جامعة دمشق عن حجابها وعما يصبّرها عليه في حرّ الصيف القائظ، فأجابته: ﴿قل نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَراً﴾.

بمثل هؤلاء الفتيات المسلمات الواعيات الطاهرات تعمَّر البيوت المسلمة، وتُرَبَّى الأجيال على الفضيلة، ويزخر المجتمع بالرجال الأبطال العاملين البُناة، وإنهنَّ اليومَ لَكَثِيراتٌ والحمد لله.

ولم يكن الحجاب الشرعي للمرأة بدعاً في شريعة الإسلام، بل كان في شرائع الله جميعاً قبل الإسلام، يشهد لذلك البقيّة الباقية من تلك الشرائع في الكتب المحرَّفة، نراها في لباس الراهبات المحتشم عند النصارى المقيمين في البلاد الإسلامية وفي سائر ديار الغرب، وفي تغطية المرأة الكتابيّة رأسها عند دخولها الكنيسة. وإن التنكّر الصفيق اليوم لفكرة تستّر المرأة واحتشامها إنما هو خروجٌ على الشرائع السماوية قاطبة، من ملَّة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام إلى الحنيفية السمحة التي جاء بها الإسلام، وتحلّلٌ من دين الله الواحد الذي أرسله الله للإنسانية على مدى الأزمان، تحمله الرسل جيلاً بعد جيل، لبناء النفس الإنسانية على الحق والفضيلة والخير، بحيث تغدو الإنسانية المهتدية بهَدْي السماء أمّةً واحدةً، منصاعةً لربٍّ مَعْبودٍ واحِدٍ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً

فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[2].

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[3].

وإن إصرار كثير من التجمّعات البشرية المعاصرة على تكشّف المرأة وعُرْيها وتبذّلها دليل الانحراف والشُّرود والابتعاد عن هَدْي الله، لا في بلاد المسلمين فحسب، بل في بلاد العالم قاطبةً. وإذا كان الغربيون لا يكترثون لهذا الانحراف، ويمضون قُدُماً في ابتكار أساليب العُرْي والغِواية والانحلال، دون أن يجدوا رادعاً من كتبهم المحرَّفة، فإنَّ المسلمين الذي يتعبَّدون بتلاوة كتاب ربهم الثابتِ المُحْكَمِ المحفوظ آناء الليل وأطراف النهار، لا يمكن أن يرضوا بهذا الانحراف، مهما غشيتهم غواشي الغفلة والضعف والتقصير في حق دينهم؛ لأن نصوصه القاطعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تقرع أسماعهم دوماً، محذِّرةً المخالفين عن أمر الله ورسوله، متوعّدةً إياهم بالفتنة في الحياة الدنيا، وبالعذاب الأليم في الآخرة:

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) يونس: ١٩.
(٢) المؤمنون: ٥١، ٥٢.
(٣) الأنبياء: ٩١، ٩٢.
(٤) النور: ٦٣.

ومن هنا باءت دعوات المنهزمين والمنهزمات في دعوة المرأة إلى التكشّف ونزع الحجاب بالإخفاق الذريع أمام صمود المؤمنين والمؤمنات من أبناء الصحوة الإسلامية المنتشرين في أنحاء العالم، وعادت المرأة المسلمة الواعية المثقفة الراشدة إلى زيّها الإسلاميّ المتميّز، وحجابها الشرعيّ المَصون، وحشمتها الرصينة المحبَّبة، في كثير من الأقطار الإسلامية التي شهدت دعوات تغريب المرأة المسلمة بنزع حجابها والتخلّي عن تصوّنها وحشمتها وتستّرها، رغم أنف دعاة التغريب والشرّ والفساد، من أمثال أتباع أتاتورك في تركية، ورضا بهلوي في إيران، ومحمد أمان في أفغانستان، وأحمد زوغو وأنور خوجا في ألبانيا، ومرقص فهمي وقاسم أمين وهدى شعراوي في مصر. وتراجع عدد من أنصار تحرير المرأة من حجابها وحشمتها عن آرائهم القديمة في تبذُّل المرأة وتكشُّفها واختلاطها الأهوج بالرجال.

تراجع دعاة هدم الحجاب

فهاهي ذي الدكتورة نوال السعداوي التي وقفت تهاجم الحجاب والمتحجبات زماناً طويلاً، وتدعو إلى نزع الحجاب بشراسة وعنف وإصرار، هاهي ذي تقف اليوم لتنتقد تبذّلَ المرأة في الغرب وعُرْيَها الفاضح، فتقول: «إنني في شوارع لندن.. أرى نساء شبه عاريات، وهؤلاء يعرضنَ أجسادهنَّ كالبضاعة. الملابس لها وظيفة، وهي وقاية الجسم من العوامل الطبيعية، ولا ينبغي أن تقدِّم رسائل إغراء. لو نظرت المرأة لنفسها كإنسانة، وليس كبضاعة، لما احتاجت أن تتعرَّى»[١].

وتبين لنوال السعداوي بعد حين أن رفع الحجاب كان ينبغي أن يكون عن العقل، وخصوصاً عند المثقفين والمثقفات؛ فكم من نساء محجبات متوسطات التعليم يملكن عقولاً نيِّرة متفتِّحة، تزن عشرات من عقول بعض

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية: العدد ٩٣٢.

المتعلمات الرقيعات[1] المتبرجات، كاشفات الوجوه والرؤوس والأجساد، محجّبات العقول والفِطَر والأفهام؛ ولذلك فهي تقول عن خطّتها القريبة: «رفع الحجاب عن العقل عند المثقفين والمثقفات»[2].

وتقول أيضاً: «أنا أعرف أستاذات وطبيبات ومهندسات يعانين من أمية سياسية واجتماعية وثقافية»[3].

وهاهو ذا الكاتب الروائي الشهير إحسان عبد القدوس الذي أغرق السوق الأدبية برواياته الداعية إلى خروج المرأة من البيت والاختلاط بالرجال ومراقصتهم في الحفلات والنوادي والسهرات، يقول في مقابلة أجرتها معه جريدة الأنباء الكويتية في عددها الصادر بتاريخ ١٨/ ١/ ١٩٨٩: «اعتبر أن أساس مسؤولية أي امرأة هو البيت والأولاد. وهذا ينطبق عليّ بالدرجة الأولى، فلولا زوجتي ما كنت أستطيع تحقيق الأسرة والاستقرار والنجاح، لأنها متفرغة للبيت والأولاد..».

ويقول أيضاً في تلك المقابلة: «لم أتمنَّ في حياتي مطلقاً أن أتزوج امرأة تعمل، فأنا معروف عني ذلك، لأنني أدركت من البداية مسؤولية البيت الخطيرة بالنسبة للمرأة!!»[4].

أقوال بعض المنصفين الأجانب

ومما يذكر هنا للإعتبار أن المنصفين الأجانب نظروا إلى موضوع الجمال في الإسلام نظرة التقدير والإستحسان والإعجاب، مما يجب وينبغي للمتطرفين من الشباب أن يعتبروا به. فمنهم (هملتن) من كتاب الغرب المعروفين فقد قال فيما كتبه بشأن الحجاب:

---

(١) أي الحمقاوات.

(٢) مجلة المجتمع: العدد ٩٣١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شخصية المرأة المسلمة د. محمد علي الهاشمي.

إن أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في وفرة العناية برقابتها من كل ما يؤذيها ويمسّ بكرامتها ويتناول سمعتها، ولم يضيّق الإسلام في الحجاب كما يزعم بعض الكتاب (يريد الغربيين) بل إنه يتمشى مع مقتضيات الغيرة والمروءة.

ومنهم بروفيسور (فوند همر) فإنه قال:

والحجاب في نظر الإسلام وتحريم اختلاط النساء بالأجنبي ليس معناه انتزاع الثقة بهن، وإنما هو وسيلة إلى الإحتفاظ بما يجب لهنّ من الإحترام والإحتشام وعدم التبذّل، فالحق أن مكانة المرأة في الإسلام قمينة بأن تغبط بها.

ومنهم (هيلسيان ستانسبري) فقد نقل محرر (الوعي الإسلامي) من رسالتها في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٩ ما يلي:

إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتّم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم.. وتحتّم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا ولذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة (وأقصد ما تحت سن العشرين) هذه القيود صالحة ونافعة لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الإختلاط، وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا[١].

---

(١) مبشر الطرازي: المرأة وحقوقها في الإسلام.

النســاء العاريــات وتصويرهن

إن من الفضائح المخزية في هذا العصر أن بعض الجرائد والمجلات تنشر صور النساء وهنّ عاريات الصدور والظهور والأطراف، وبعضهن يجلسن على شواطىء البحار وهنّ شبه عاريات للإستحمام والسباحة، والكثير منهن يجالسن الشبان والرجال بزيهن العاري المشين بلا خجل ولا حياء.

وثم تأتي بعد ذلك الصحف والمجلات تنشر صور تلك النساء وتعرضها لأنظار العشاق مع نشر أسمائهن وأسماء أزواجهن. إن في نشر هذه الصور بهذه الطريقة دعوة للفساد والجريمة.

ولقد وصف رسول الله ﷺ حالة النساء العاريات وأنذرهن بعدم دخول الجنة وأنهنّ من أهل النار فقال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بَعْدُ: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد على مسيرة كذا وكذا» رواه أحمد عن أبي هريرة.

فقوله ﷺ: «قوم معهم سياط كأذباب البقر يضربون بها الناس» هم القوم الظلمة المستبدون الذين يضربون الناس بالكرابيج المصنوعة من أذناب البقر.

وقوله ﷺ: «نساء كاسيات عاريات» أي كاسيات أجسامهن بالثيات الرفيعة وهنّ عاريات في الحقيقة لعدم ستر الثياب لهن، إذ هي شفافة لا تحجب ما وراءها. (وهي التي سبق ذكرها).

وقيل: إنهن كاسيات بالأثواب عاريات من لباس التقوى والصلاح وقوله ﷺ: «مائلات مميلات» أي مائلات بأجسامهن متبخترات في

مشيتهن، وقيل: يُملن قلوب الرجال والشبان، مميلات غيرهن إلى الفساد.

وقوله ﷺ: «رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة» الأسنمة: جمع سنام وهو ما علا ظهر الجمل، والبخت: جمال خاصة.

والمعنى: أنهن يضعن على رؤوسهن لفائف كالعمائم حتى تصير كأسنمة الجمال المائلة.

ثم ذكر رسول الله ﷺ: «أنهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» يريد أنها توجد من مسافة بعيدة، وقد سبق شرح بعض هذا الحديث في التبرج وأعدنا شرحه بعبارة أخرى لأهميته في هذا الموضوع.

فأي مسلم غيور لا يتكدر؟ بل أي حر شريف لا يتحسر، عند رؤية النساء العاريات في حالة يحمر لها وجه الحياء خجلاً، وتذوب بها قلوب الأحياء أسفاً وحزناً!

* * *

المبحث العاشر في

الإختلاط

النهي عن اختلاط الجنسين والتحذير منه

اختلاط الرجل بالمرأة هو من أعظم الأمور خطراً، وأكثرها ضرراً، وأكبرها إثماً، لأنه بسببه هتكت الأعراض، وفجرت البنات قبل النساء، وعم الفساد بين العباد في جميع البلاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد انتشر الإختلاط بين الرجال والنساء حتى أصبحت عادة متبعة أصبحت العادة المتبعة في الزيارات أن يزور الصديق صديقه ومعه زوجته وابنته وأخته يختلطون ويتمازحون ويغمز بعضهم بعضاً ويضحك الرجل مع المرأة وتقعد زوجة صديقه إلى جانبه بأبهى زينة وأجمل منظر كأنها في ليلة زفافها.

شاعت هذه العادة في العائلات خصوصاً بين طبقة المتعلمين، وفضلاً عن ذلك صار الرجل يخرج إلى الأسواق والمتنزهات والمجتمعات والإحتفالات متأبطاً ذراع زوجته، سافرة الوجه، محمرة الخدين والشفتين، بارزة النهدين، عارية الذراعين والساقين، وهو لا يرى في ذلك حرمة ولا عيباً أو ضرراً، ولا يغار عليها من نظر فاسق أو كلمة فاجر.

بل ربما وجد في هذا التبذل والإستهتار شرفاً وفخراً، وسروراً وحبوراً، تقليداً للإفرنج في عاداتهم وتمسكاً بمدنيتهم، ونبذاً لدينه وعوائد بلده وتقاليد أهله.

على أن بعض نساء الإفرنج يخرجن مع أزواجهن وأولادهن في حالة الحشمة والوقار.

لقد سلبتنا تلك المدنية الكاذبة والعادات الخاطئة صفة الشهامة العربية

والغيرة الدينية، وأضعفت قوة التمييز والإدراك، فجعلتنا نسوّي بين الأجنبي من المرأة وبين محرمها فنبيح للأول الإختلاط بها والمحادثة معها بل ومرافقتها.

النســـاء والخـــدم

وفضلاً عن ذلك نختار لخدمة منازلنا من الشبان والرجال من هو جميل الصورة، مفتول الساعد، معتدل القامة، ونسمح لهم بأن يدخلوا بيوتنا، ونساؤنا أمامهن سافرات حاسرات، وربما كنّ بملابس النوم الشفافة وربما كنّ في مضاجعهن.

والمصيبة العظمى والطامة الكبرى أن نسلم لهؤلاء الأتباع بأيدينا نساءنا وبناتنا تسليم المتاع، ليذهبوا بهن في العربات والسيارات في الحدائق والمتنزهات لكي يتريضن ويستنشقن الهواء، ويمروا بهن على قصور مشيدة وفنادق متسعة أعدت ويالّلأسف للرقص فيرقصن مع الرجال والشبان، ويسمعن فيها من الأغاني الغرامية والهزلية المنحطة ما يحمر له وجه الحياء.

وهناك في عرف أهل هذا الفن يباح الرقص رقص الرجل مع امرأة أجنبية منه ولو بدون سابقة تعارف بينهما، وهذا ما يسمونه عندهم (بالتعارف العائلي) المطلوب، تنشده الحياة الإجتماعية الحاضرة، وهناك لا تسل عما يجري بين الرجال والنساء مما لا يصح ذكره مراعاة للأدب والحياء.

وبعد هذا كله يرجع بهن الخادم والسوّاق بعد مضي شطر كبير من الليل، وبعولتهن أو أولياء أمورهن في البيوت نائمون، وإن شئت قل؛ بمحلات اللهو يتمتعون ويلهون.

وكثيراً ما تتزوج بعض فتيات العائلات الكبيرة والوسطى من سائقي السيارات، وبعض الخدم، خروجاً على عادة أسرهن.

أو يسطو عليها السائق أو الخادم فيجلب لها العار ويدنِّس شرفها وسمعتها.

المسلم والأجنبيــة

وكثيراً ما يتزوج بعض الشبان المسلمين بالأجنبيات من أوربا أو أمريكا أو غيرهما يتزوج بها وهي على غير دينه وملته يتزوجها نتيجة لاجتماعه بها واختلاطه معها.

وبعد أن يتزوجها تحصل المشاكل التي لها أول وليس لها آخر نتيجة لاختلاف العادات والتقاليد بينهما فلا تبقى عنده مدة حتى يطلقها أو تهرب إلى بلادها.

الأمــان في عــدم الإختــلاط

فاحتجاب النساء ومنعهن من الإختلاط بالرجال أصح وأصلح، لأن ذلك يوجب زيادة الألفة من المرأة وأهلها، ويؤكد إرتباطها بزوجها وارتباطه بها، وأمنه عليها ورضاها بحالته، بخلاف ما إذا كانت تنظر لغيره وتطلع لأحوال الناس المختلفة الأجناس فإن ذلك يحرك عندها الشهوات ويوقعها مع زوجها في المنازعات والمخاصمات التي تؤدي للفراق ثم إلى الطلاق وخراب المنزل وانقسام الأسرة، وفي ذلك الخسران المبين.

ولقد صدق الشاعر:

لاتـأمـن علـى النسـاء ولـو أخـاً   ما في الرجال على النساء أمين

بعض الرجال وإن تعفف جهده   لا بـــدّ أنَّ بنظـــرة سيخـــون

ولو نظرنا إلى الحوادث التي تقع في الأسر لوجدنا سببها الإختلاط بين النساء والرجال.

لماذا أمر الــــدين بعــدم الإختــلاط

وقد أمرنا الدين الحنيف باحتجاب النساء وعدم مخالطتهن للرجال لعدة أمور:

منها: أن الطبع البشري لا يسمح أن يطلع أحد على حرم غيره فضلاً عن حرم نفسه.

ومنها: أن النساء عند الرجال كالأسرار، ولا تسمح النفس باطلاع غيرها على سرها.

ومنها: أن مباديء ميل النفس إلى الشهوات إنما هو الإختلاط والإجتماع، والميل للشيء لا يكون إلا بعد رؤيته، لاستحالة الإختلاط مع غض البصر المنهي عنه شرعاً.

فلذلك منعت الشريعة الغراء النساء من الكشف بحضرة الأجانب، وأمرتهن بالإحتجاب عنهم غيرة عليهن، ودرءاً للمفاسد والشرور ومحافظة على العفّة وطهارة النفس كما قال أحد الأدباء:

(العفة حجاب يمزقه الإختلاط)

وليس المنع من الإختلاط خاصاً بالنساء دون الرجال، بل الرجال أيضاً ممنوعون من رؤية النساء الأجانب أيضاً والخلوة بهن.

ورب معترض يقول:

إن في اختلاط الجنسين فائدة تبادل الأفكار والمعلومات، وانتشار الجماعات وغيرها، كما هو حاصل الآن في الجامعات والمدارس وغيرها.

فالجواب: أنه لا يعود من اختلاط البنت بالشاب أو المرأة بالرجل إلا تضررها بزوجها، وتضرر زوجها منها، لأنه لو فرض أن زوجها كان فقيراً أو متقدماً في السن، واجتمعت بمن هو أغنى منه أو أصغر سنّاً لبطرت

معيشتها مع زوجها وكرهت الإقامة معه.

وكذلك الزوج ربما عرضت له خواطر نفسية باجتماعه واختلاطه بمن هي أغنى منه أو أصغر سنّاً فينتهي الأمر إلى الفراق ثم إلى الطلاق وخراب المنزل.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على وجوب احتجاب النساء، ومنعهن من مخالطة غير محارمهن كثير.

مضـــار الاختـــلاط

والمرأة المسلمة الراشدة تتجنَّب الاختلاط بالرجال ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، فلا تسعى إليه، ولا تشجع عليه، متأسِّية بذلك بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأمهات المؤمنين، ونساء السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ وسار على طريقهم الهادي المستقيم.

ولا يخفى على المرأة المسلمة الحصيفة ما للاختلاط المطلق من مضار وخيمة على الجنسين، لمسها الغربيون الذين يمارسونه على أوسع نطاق في تدنّي سوية التعليم، فعمدوا إلى عزل الفتيات عن الشبان في كثير من الجامعات ومعاهد التعليم. وقد شاهد هذا العزل عدد من كبار رجال التربية المسلمين الذين زاروا أوروبا وأمريكا وروسيا، ومنهم الأستاذ المربّي أحمد مظهر العظمة، فقد أوفدته وزارة التربية السورية إلى بلجيكا في رحلة علمية، زار فيها المدارس البلجيكية. وفي إحدى زياراته لمدرسة ابتدائية للبنات سأل المديرة: لماذا لا تَخْلِطون البنين مع البنات في هذه المرحلة؟ فأجابته: قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سنّ المرحلة الابتدائية.

وحملت الأخبار أن روسيا قد وصلت إلى شيء من هذه القناعة، فأقامت فروعاً جامعية منفردة، لا يختلط فيها الطلاب بالطالبات.

وفي أمريكا فروع جامعية تزيد على (١٧٠) فرع، لا يختلط فيها

الطلاب بالطالبات، لما لمسه المربّون والمشرفون على هذه الجامعات من مضارّ الاختلاط في مجتمع تعوّد على الاختلاط في شتّى جوانب الحياة الاجتماعية.

والشواهد على مضار الاختلاط في العالم أكثر من أن تُحصَى، وكلها تقدم الدليل الناصع على حكمة الإسلام في حَدِّهِ من الاختلاط، وتجنيبه المجتمعات الإسلامية المستهدية بهَدْي ربها مضارَّه الوخيمة القاتلة، المُبَدِّدة للطاقات، المزلزلة للقلوب والمشاعر والضمائر.

قالت اللادي كوك: إن الإختلاط يألفه الرجال، ولذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى كثرة الإختلاط تكون كثرة أولاد الزنا وههنا البلاء العظيم على المرأة. ثم قالت: أما آن لنا أن نبحث عما يخفف ـ إذا لم نقل يزيل ـ هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية! أما آن لنا أن نتخذ طريقاً تمنع قتل الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب؟.

يا أيها الوالدان لا يغرّنكما بعض دُرَيهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا، علِّموهن الإبتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد.

لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال، ألم تروا إلى كثرة أمهات أولاد الزنا في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرّضات للأنظار، لولا الأطباء الذين يعملون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن. لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان، هذا غاية الهبوط بالمدنية[١].

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للسباعي.

الموضـة والإختـلاط

عندما يقوم مصمم الأزياء بتصميم موضة معينة، فإنه يحتاج إلى عمل تجارب وتعرف هذه التجارب باسم (بروفات) وما أدراك ما يحدث من أمور مشينة أثناء ذلك، حيث التبرج والإختلاط بلا وازع ولا رقيب، وما يستتبع ذلك من أمور محرمة، أدنى ما فيها هو اللمس لتنفيذ ذلك التصميم على أجساد العارضات، مما يستلزم الخلوة بهن منفردات أو الإختلاط بهن مجتمعات.

بل وكثيراً ما تعرض الصحف صورة المصمم لموضة معينة وحوله العارضات محيطة به ومتكدسات من حوله يطوقنه بالأذرع وكأنه زوج لهن كما يستلزم لعرض الموضة استنفار أكبر عدد ممكن من العارضات، ومن تلك الموضات، ما هي قمصان نوم شفافة، أو لباس للبحر (مايوه) تظهر بهن العارضات على الحضور من الرجال والنساء في أماكن العرض دون حياء ولا نكير. ولا يظنّن أحد أن تلك العارضات من الأوربيات فقط بل إن كثيراً منهن عربيات محسوبات على الإسلام (تعدادا) تُعرض أجسادُهن المتبرجة في صور مغرية. ويكنّ من قبل خَلَوْن بالمصمم أو المنفذ للأزياء.. ومن الملاحظ أن الغالبية العظمى من المصممين هم من الرجال!.

كما تقام حفلات لعروض الأزياء، فيختلط الرجال بالنساء المتبرجات عموماً ويجلسون جميعاً لمشاهدة العارضات يَخْطُرْن بالثياب المتنوعة بخطوات وحركات مدروسة ومغرية، وكأن هؤلاء القوم لا همَّ لهم إلا متابعة المجون والمحرّمات، والأفعال المحرّمة.

ولو رأى هؤلاء امرأةً ترتدي الحجاب فإنهم يقومون ولا يقعدون، ويرغون ويُزبدون، ويهب الأدباء لشجب تلك الظاهرة، واستنكار ذلك العمل القويم ويقول أحسنهم طريقة: إنه لا يجب على المسلم والمسلمة

أن يهتم بالمظاهر، فلا داعي لارتداء الحجاب، ولنهتمَّ بأمور أكثر إيجابية من تلك القشور!

فكيف بالله اعُتبرت الموضة قشور والتبرج من الأمور الهامة الإيجابية، بينما جُعل الحجاب من الأمور التافهة السلبية؟ ألا أنها الأحقاد المتراكمة والنوايا الخبيثة.

إن إنشاء دور للأزياء ما هو إلا شغلاً للناس في الأمور التافهة، وجمعاً لهم على الحرام، واستنزافاً لأموال الدولة الداعمة وميزانيتها، وتنفيذاً لمخطط إجرامي عدواني، وبعداً عن الشرع والدين فاق بُعْدَ أصحاب الجاهليات السابقة، وامتهاناً لكرامة المرأة، واعتبارها رقيقاً معروضاً للمتعة واللهو والنظر فحسب[1].

فتنــة الإختــلاط

لا نتصور أن الفعلة الشنعاء بين رجل وامرأة، يمكن أن تتم من أول وهلة.. بل تسبقها مقدمات، وإعداد واستعداد نظرة من هنا فابتسامة من هناك.. فسلام.. فكلام.. فموعد.. فلقاء.. ففضيحة ذات أجراس.

وكذلك دعاة الإلحاد والتحلل، فإنهم لا يسرقون الفضيلة من المجتمعات عنوة، ولكنهم ينتهجون سياسة الخطوة خطوة، كاللص الذي يحسب مواقع أقدامه حتى لا ينتبه له أحد.

فهم اليوم يدعون إلى تعليم المرأة، فإذا تم ذلك، فدعوة إلى السفور فإذا تم ذلك، فدعوة إلى اختلاط الجنسين، فإذا تم ذلك فدعوة إلى زواج التجربة، فإذا تم ذلك فدعوة إلى إباحة الجنس، ثم ملل من الجنس مع المرأة، فليكن التغير بإباحة الشذوذ الجنسي، وهكذا إلى أن تنتقض عرى الأخلاق عروة عروة حتى يصل المجتمع إلى الهاوية. وعبيد الغرب عندنا

---

(١) الموضة في التصور الإسلامي.

في ديار الإسلام، قد نجحوا في هذا المضمار نجاحاً لا نظير له، وشايعهم على ذلك الحكام الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ومن العمل الصالح إلا تمثيليات يجيدون حبكها أمام الجماهير في المناسبات ذراً للرماد في العيون.

نادَوْا بالإختلاط وقالوا: إنه ضرورة نفسية واجتماعية، وبالإختلاط تختفي العقد، ويتلاشى الشعور بالخجل في وجود الجنس الآخر، ويرفع الحياء من الوجوه. والإختلاط يؤدي إلى الإشباع العاطفي. . والإختلاط يعلم الذوق في حضور الجنس الآخر. إلى آخر الأوهام التي تعشش في أدمغة النوابغ من عباقرة أمتنا.

وكان الإختلاط. وطُبِّقَ على طول البلاد الإسلامية وعرضها ما عدا القلة القليلة ونظرنا إلى الإختلاط الذي سيحقق هذه المعاني، فإذا هو نار في الهشيم تحرق. نار وقودها الأجيال المسلمة تعيسة الحظ.

وتحت عنوان (حديث عن الحب) في جريدة الأخبار أرسل خطاب إلى زاوية (الجنس الآخر). يقول:

(وقعت خطابها باسمها الكامل، ولكنها طلبت الإشارة إلى الإسم بالحروف الأولى فقط وهي أ.أ.أ. بسبب الموضوع الشائك الذي طلبت عرضه ومناقشته، ولا شك أنه يعتبر شائكاً بالنسبة لطالبة جامعية في سنها الصغير، لأنه يدور حول الحب في الجامعات بين الزملاء والزميلات. وهذا ملخص الخطاب:

إن المشكلة التي أود عرضها هي مشكلة الحب داخل الحرم الجامعي، وإلى أي مدى يعتبر صحيحاً أو صالحاً لأن يكون بداية لمشوار ورحلة العمر.

هل يمكن أن يفتح زميل وزميلة قلبيهما للحب أثناء الدارسة، فيعيشا أربع سنوات مع الأحلام الحلوة، والآمال العريضة، لبناء بيت زوجية سعيد؟ وإذا حدث وتقدم للفتاة بعد ذلك عريس لقطة ـ على حد قول

الناس ـ هل تحاول أن تنسى حبها الأول وتفضل على زميلها العريس المستعد لدفع المهر وكتب الكتاب، أم تظل متمسكة بحبها القديم؟

هل كل قصص الحب التي نسمع عنها في الجامعة مجرد أحلام يمر بها الشباب في هذه المرحلة، ولعلها تعتبر من ضروريات هذه المرحلة؟ وما هو فارق السن المعقول بين الشاب والفتاة؟ إنني شخصياً والكلام لا يزال للطالبة أ. أ. أ. لا أشجع الحب في الجامعة، ولا أحاول الإرتباط بأي زميل. لقد باح لي أحد الزملاء بحبه، ورغم أنه يمتاز بعقلية ممتازة، وذكاء كبير، فقد أخبرته أن شعوري نحوه لا يتعدى الزمالة والأخوة. لقد رفضت أن أبادله الحب والأحلام لمجرد أنني لا أؤمن بالحب في فترة الدراسة. إن مشكلتي تواجه كثيرين من الزملاء والزميلات ونريد مناقشتها.

تقول المحررة: وتلقيت خطاباً من طالب لا يزال في سنته الأولى في الجامعة، والخطاب مكون من ثمان صفحات يقول فيه: إنه وقع في غرام زميلته الجميلة الأنيقة جداً، وإن حبه منعه من الأكل والنوم والإستذكار، وإنه لا يستطيع أن يبوح لها بحبه، لأنها لا تعرفه ولا تشعر بوجوده، ولذلك يفكر في الإنتحار.

وخطاب من طالبة تقول فيه: إنها وقعت في غرام أستاذها، وإنها تنتظر محاضراته بفارغ الصبر، ولكنها لا تفهم شيئاً، وإنها تعلم أنه متزوج ولكن لا تستطيع أن تنساه، وإنها أقسمت أن تظل مخلصة له طول الحياة[1].

وإلى محررة الزاوية نفسها أرسلت فتاة تبحث عن حل لمشكلتها.. فكتبت تقول: أنا في بداية دراستي الجامعية، وفي الثامنة عشرة، وعلى جانب كبير من الجمال والأناقة والذكاء ـ تصف نفسها ـ.

تقول: وقعت في غرام معيد شاب في كليتي، التقيت به في مدرج

---

(١) الأخبار في ١٤من ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

الجامعة في فصل غير فصلي.. تقول: وكأنني بفتى أحلامي يقف أمامي.. بهرني كل شيء فيه: شعره الغزير.. قوامه الممشوق.. بسمته الفاتنة.. عيونه الساحرة.. صوته الرخيم.. حتى جلسته ووقفته، وطريقة إلقائه المحاضرة.. طير عقلها.. وهي من ساعة أن رأته تحلم، وتفكر، وتسرح، وتسأل: كيف أستطيع الوصول إليه؟ كيف أبلغه إعجابي به؟ هل أكتب إليه خطاباً، أو أرسل إليه زميلةً أو زميلاً يشرح له حبي؟.

هذا هو الإختلاط (البرىء) الذي يخفف ضغط الغريزة، ويؤدي إلى الري العاطفي!!

فتاة تبدو متماسكة، وزميلها يفضي إليها بحبه، وفتى معجب من بعيد، ومحب من طرف واحد، وتحدثه نفسه بالإنتحار، وثالثة، تحب أستاذها المتزوج وتقسم أن تظل مخلصة له مدى الحياة، ورابعة أسرها قدُّه الممشوق وقامته الهيفاء، وطلعته البهية.. ولو كانت تخفي وراءها طباعاً سافلة..

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق

اختلاط (بريء).. وطوفان رهيب من الأزياء و(الموضات) تغص به صالات الجامعات، أقصد قاعات الجامعات المختلطة.

أين الفطرة التي فطر الله الخلق عليها من تجاذب بين الجنسين؟ أهي في غيبوبة؟ أين وقدة الجنس، التي تلتاع بين جوانح هذا الشاب المسكين؟ أهي في إجازة؟ أين الخلفيات التي يعرفها الجنسان عن الحب، والتي شحنتها وسائل الدمار من أغنية في الحب إلى مسلسلة في الحب إلى فيلم في الحب إلى قصة عن الحب. إلى..؟ ألا يحن الجنسان إلى تجربة؟ ما لكم كيف تفهمون؟

هل رأيت الأمان في مكان به أعواد الثقاب المشتعلة بجوار براميل البارود؟ هل رأيت إنساناً يغرق في البحر ثم لا يبتل؟

هل رأيت إنساناً يلقى في جهنم ثم لا يحترق؟.. نعم جهنم..

جهنم الأزياء، والأصباغ، والمساحيق، والألوان، الفاقعة، والبشرة اللامعة، والجمال الفاضح، والفتنة التي يحركها الشيطان!!

هذه الأسئلة سيجيب عنها دعاة الإختلاط بنعم، لأنهم يفكرون بلغة أجهزتهم السفلية الحيوانية، لا الأجهزة العلوية الإنسانية في رؤوسهم[١].

* * *

(١) مشكلات الشباب العاطفية والجنسية.

المبحث الحادي عشر في

الرقص

فتنــة الرقص

إن رقص النساء في الأماكن العمومية، كالشوارع والمقاهي والحفلات وكل مكان يوجد فيه الرجال، لهو من الأمور المخلة بالآداب المفسدة للأخلاق، وهو حرام في حرام.

إن هذا فعل فاحش مخل بالحياء والأدب إذ يدعو لإثارة الشهوة البهيمية في الرجال، ويجرهم إلى ارتكاب الفحشاء مع النساء.

فقد ورد في الحديث الشريف: «إذا فقد الحياء من النساء، والغيرة من الرجال، فقل على الدين العفاء».

إن نفس الفتاة الأبية لا تقبل أبداً ما يقتضيه الرقص من الحركات واختلاط الأمر الذي يقود إلى هدم أركان الفضيلة.

فلو ترك للفتاة العنان فلا بد أن تسوء العاقبة إلى أكثر من ذلك، وتلك هي الحال التي تسوق الشبان إلى التردد في الزواج.

يظن بعض الوالدين أن هذه خطوة ارتقاء تصحب الفتاة فلا تلبث أن يأتي الحال بالعكس، فحرية الفتاة لا تتعدى دائرة حفظ آدابها والحرص على كرامتها.

الرقص آفة محرمة

بين كل فترة وأخرى ترمينا المدنية الحديثة بواحدة من آفاتها المحرّمة، بل من قذائفها المهلكة التي تنفث فينا سمّاً زعافاً من سمومها القاتلة.

فهناك رقص منظم يحضره الرجال والنساء كل رجل يلف امرأة، ويتناجيان فيما بينهما ويكون الحديث عن الحب والحياة واللقاء.

يحتضن الرجل المرأة وتحتضن المرأة الرجل على إيقاعات الموسيقى الصاخبة، ولا يكتفي الرجل بالرقص مع امرأة واحدة، بل إذا أعجبته أية امرأة بالصالة يمكن أن يراقصها وتراقصه.

إنها عادة خبيثة ظهرت في بلاد أوربا نظراً للفراغ الأسري أما نحن المسلمون الذي نحترم الأسرة والعلاقة الزوجية فقد وقعنا في حبائل الغرب وأصحبنا نقلدهم بهدم مبادئنا وأخلاقنا وقيمنا ولو كان ذلك على حساب تقدمنا وازدهارنا ما دام ذلك ارضاءً لغرائزنا الحيوانية الشهوانية الشيطانية.

صــور مخجلــة

إن هذه الصورة المخجلة والمفزعة بآن واحد تعرض في كل يوم على شاشات التلفاز فيراها الكبار والصغار الأولاد والبنات لتغرس في نفوسهم، ولتعلق بأذهانهم.

بئست التربية تلك، وبئس ما قدمنا لأولادنا من آداب ترى الفتاة وقد ارتمت في أحضان الغريب عنها، والمرأة بين ذراعي رجل غير زوجها، فياله من منظر مؤلم لا يسكن إليه إنسان إلا بعد أن يروّض نفسه على الرضا بما لا يرضي الله، ولا يتفق مع قواعد الصون والعفاف. ووالله ما اجتمعوا إلا لخطف العاشق حبيبته من يد زوجها أو أبيها أو أخيها أو عشيقها الآخر، أو ليختطف الوالد عشيقاً لابنته حين أعيته الوسائل والحيل. أو تفتش الزوجة التي ملّت معاشرة زوجها وسئمته عن آخر جديد ترتمي بين ذراعيه، أو ليلقي الأب بابنته الطائشة الشوهاء إلى فتى من الأغرار، يرجو أن يعميه الشغف الحاضر بها عن النظر إلى عيوبها فيقع في حبائلها.

وما أوقعه إلا شهوته التي تسلطت على عقله وأسرته عبداً.

وأي رجل عاقل يخاف على دينه وعرضه، وتهمه مروءته وسمعته يترك ابنته أو إحدى قريباته تندس في مثل هذا الحفل، وأي رجل شريف موفور

الكرامة يقبل أن ترتاد ابنته أو امرأته تلك المحال.

إن الشرائع جمعاء تحرم كل ما يخلّ بالآداب، وما يوصل إلى طريق الفساد، والرقص من الأسباب المحرضة على ارتكاب الموبقات، وفيه إغراء بفعل المحرمات.

عبرة من الجامعة

يقول محمد المجذوب:

في صحيفة دمشقية قرأت أخباراً عن الجامعة السورية، لفت نظري منها حديث دار بين المحرر وبين طالبة جامعية في الصف النهائي من إحدى الكليات.. وهاأنذا أوجزه لك في هذه المحاورة:

- ما أحب الفنون إلى نفسك؟
- الرقص.. وأحبه إلي العنيف.. وقد أتقنت رقصة (الروك أندرول) في أيام.. وأنا اليوم أتدرب على (الرومبا).
- ستتخرجين هذه السنة لتكوني مدرسة في معهد ثانوي.. فهل تؤثرين ذلك على الزوج؟
- طبعاً.. لا.
- أي الرجال ترغبين أن يكون زوجك: الجميل.. القوي.. الجامعي..؟
- لا أشترط في من أريده إلاّ أن يكون رجلاً فقط.

أما الشهادة فشيء ثانوي.

- وإذا تم ذلك أفتفضلين الجمع بين الزوج والوظيفة؟
- ذلك له.. فإن شاء عملت، وإن شاء تركت.. وأنا شخصياً أرى أن مكان المرأة هو البيت. لا الشارع ولا المدرسة ولا أي مكان آخر.

من هذه المحاورة الغريبة: يستطيع كل منا أن يفهم الكثير من نفسية

المرأة، التي جعلتها الأقدار فريسة التنازع بين مختلف الأيدي الخفية من هنا ومن هناك. .

إنا كإبرة الميزان الفارغ يؤرجحها الهواء يمنة ويسرة، فهي تنتظر الثقل الذي يمسكها على أحد الجانبين، لقد جرفها تيار المجون حتى اتخذت من الرقص هواية. . ولعلك تحس كما أحسه أنا في إيثارها الضرب العنيف منه خاصة. .

ذلك أن انتشار هذا النوع من الهواية العنيفة إنما يعود ـ هنا وفي الغرب ـ إلى رغبة نفسية في الفرار من الواقع. . الواقع الذي يشحن النفوس بالفراغ والقلق والتشاؤم، فلا يجد صاحبه سبيلاً إلى الذهول عنه إلا بمثل هذه الحركات الصاخبة. . كما يفعل البائسون عندما يبحثون عن الدواء في جرع المخدرات. . ثم يقول:

إنني لا أفهم من هذا النزوع إلى الهواية العنيفة إلا أنه تعبير عن القلق، الذي يتجلى في الرقص، الذي تقبل عليه أولئك الفتيات في الأوساط الجامعية لقد أخرجت الجبرية المدنية هؤلاء المسكينات من طريق الأمومة إلى صحراء الدراسة الطويلة. . التي لا تنتهي إلا بعد انسلاخ عشر سنوات على الأقل من عمر الغريزة المتفتحة للتناسل.

وللغريزة سلطانها الحتمي، فهي إذا لم تجد المصرف الطبيعي في ظل العش الزوجي اضطرب سلوكها، واصطدمت بحاجز الظروف فارتدتْ عُقَداً عسيرة الحل.

وربما كان هذا الواقع الرهيب هو الذي أوحى إلى (برتراندرسل) بنظريته الإباحية، التي تدعو إلى إطلاق الغريزة الجنسية في الوسط الجامعي، حتى يتوفر لكل طالب وطالبة من متعة الجنس القسط الذي يدفع عنهما ضغط هذه الغريزة! ثم يقول:

وما ينبغي أن ننسى بقية حديث الجامعية. . فقد جاءت كلماتها

الأخيرة كحديث إنسانة تعبر عن أعماق الفطرة الأنثوية، التي تدرك أكثر من كل فلاسفة العالم: أنها خلقت لتكون زوجاً وأماً، لا موظفة وعاملة، وأنها كذلك في عطش إلى الرفيق الشرعي، الذي توليه ثقتها التامة، فتعمل إذا شاء وتدع العمل إذا شاء، دون أن تشترط فيه شيئاً سوى الرجولة.

وأي عاقل لا يستخرج من هذه الصراحة عِبْرتها الضخمة.. عبرتها التي تقول: إن مملكة المرأة الطبيعية هي الأمومة في بيت تظلله قوامة الزوج.

وما كان لهذه الشهادات العالية، ولا لتلك المرتبات المغرية أن تنسي المرأة هذه الحقيقة التي يذكرها بها كل شيء[١].

هل الرقص فن

يقول القرضاوي:

لا يقبل الإسلام احتراف الرقص الجنسي المثير، ولا أي عمل من الأعمال التي تثير الغريزة كالغناء، والتمثيل الماجن، وكل عبث من هذا النوع، وإنما سماه بعض الناس (فناً) وعده قوم (تقدماً) إلى غير ذلك من العبارات المضللة.

إن الإسلام حرم كل علاقة جنسية تقوم على غير الزواج وحرم كل قول أو عمل يفتح نافذة إلى علاقة محرمة. وهذا سر نهي القرآن عن الزنا بهذا التعبير المعجز ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٢] فلم يكتف بالنهي عن الزنا، بل نهى عن القرب منه.

وما ذكر، ويعرفه الناس من مثيرات إنما هو قرب من هذه الفاحشة، بل إغراء بها، وتحريض عليها. ألا ساء ما يفعلون[٣].

(١) تأملات في المرأة والمجتمع / ٩٠ ـ ٩٤/.
(٢) الإسراء: ٣٢.
(٣) الحلال والحرام / ١٢٧/.

بعض مآسي الرقص

وصف المستر سكوت الفتيات اللواتي يعملن في تلك الأندية بأنهن عادة من الفتيات القادمات من المناطق الريفية الصغيرة واللواتي يتعرضن في أوائل فترات الشباب إلى المشاكل ويضعن أطفالاً غير شرعيين.

وأعلنت الممثلة والراقصة الشقراء جوان غينسلي أمام لجنة مجلس الشيوخ أن مديري أحد النوادي الليلية في إحدى ضواحي شيكاغو حاولوا إرغامها على البغاء، وسألها مستشار اللجنة عما إذا كان النادي يتعاطى البغاء؟ فأجابت بالإيجاب، ثم سألها إذا كانت توجد غرف خلفية تستخدم للدعارة؟ فأجابت بالإيجاب أيضاً.

وقالت: إنها لم تسمع أبداً بأن المسؤولين كانوا يلجؤون إلى التهديد، وأضافت قائلة إن بعض العاملات في النادي لا يتعاطين الدعارة بمحض اختيارهن لأسباب معينة.

وأعلنت المسز كورين ستاين وهي راقصة أخرى أمام اللجنة أنه في أحد نوادي ميامي في فلوريدا كان يتوجب على الفتيات أن يبعن أنفسهن ثم يعدن بما حصلن عليه من نقود إلى رب العمل، وقالت: إن معظم الزبائن منحلو الأخلاق وهم يعلمون سبب مجيئهم إلى الأندية الليلية، ويعتقدون أن بإمكانهم معاملة الفتيات بفظاظة بحيث ينجحون في نيل مبتغاهم، وعادة يستطيعون ذلك. وأضافت قائلة إنني كنت أدعو منذ عدة سنوات إلى الحماية النقابية ولكنهم كانوا يردون علي بوصمي بأنني راقصة متعرية متعصبة! وقالت: لقد نجوت بنفسي لأنني نجمة سينمائية ورفضت ذلك[١].

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون.

من أمثلة الإنحلال الخلقي
عند الغربيين

نشرت «حضارة الإسلام» في عددها الرابع للمجلد الثالث ص ٤٤٣ مايلي:

في بعض الحفلات الخيرية! في بلاد الغرب تنظم مزايدات على «قُبَل» الكواكب المعروفات، وقد دفع أحد الأثرياء في انجلترا خلال الحرب العالمية الأولى في حفل خيري ١٢٠٠٠ جنيه مقابل تقبيل إحدى الممثلات المعروفات حينذاك، ودفع آخر منذ بعضة أشهر ١٥٠٠ جنيه في مناسبة مشابهة، وقد أوصى ثري في «مانشتر» بـ ٢٥٠٠٠ جنيه لفتاة «تقديراً لقبلةٍ منحته إياها أثناء إحدى حفلات عيد الميلاد (أي ميلاد السيد المسيح نبي الطهر والعفة والحياء)!

أقول: وما هذا ببعيد عن شرقنا المحافظ إذ كثيراً ما تقع مثل هذه المنكرات في الحفلات والرقص والموائد المحرمة ـ وخصوصاً عند المترفين والأغنياء فاللهم لطفك.

* * *

المبحث الثاني عشر في

وصف النساء للرجال

حفظ أسرار الزوجية

أثنى القرآن على الزوجات الصالحات أنهن ﴿قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[1].

ومن جملة الغيب الذي ينبغي أن يُحفظ ما كان بين الزوجة وزوجها من علاقة خاصة.

فلا يصح أن يكون حديثاً في المجالس، أو سمراً في الندوات مع الأصدقاء أو الصديقات.

وفي الحديث الشريف: «إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه المرأة ثم ينشر سرها»[2].

وعن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال: «مجالسَكم. هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث فيقول: فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا؟ فسكتوا..

فأقبل على النساء فقال: هل منكن من تحدث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها فقالت: إي والله.. إنهم يتحدثون، وإنهن ليتحدثن فقال عليه السلام: من تدرون ما مثل من فعل هذا؟ إن مثل من فعل هذا مثل شيطان وشيطانة لقي

---

(١) النساء: ٣٤.

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه»[1].

وكفى بهذا التشبيه تنفيراً من ارتكاب هذه الحماقة، وذلك الإسفاف. فليس يرضى مسلم لنفسه أن يكون شيطاناً أو كالشيطان[2].

نهي المرأة أن تصف المرأة لزوجها

قال ابن الجوزي في أحكام النساء:

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها، حتى كأنه ينظر إليها»[3].

واعلم أنه إنما نهى عن هذا، لأن الرجل إذا سمع وصف المرأة تحركت همته، واشتغل قلبه، والنفس مولعة بطلب الموصوف بالحسن فربما كانت الصفة داعية إلى تطلب الموصوف بالحسن، وربما وقع من اللهج بالطلب لذلك ما يقارب العشق[4].

إفشاء السر من الزوجين

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل، يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه».

وفي رواية: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها» رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

وعن أسماء بنت يزيد: «أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود عنده، فقال: لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والبزار.

(٢) الحلال والحرام ص١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) البخاري ٣/٢٨٦.

(٤) أحكام النساء /١٠٨/.

تخبر بما فعلت مع زوجها، فأَرَمَّ القوم، فقلت: إي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن، قال: فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها، والناس ينظرون» رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب. أرمَّ، بفتح الراء وتشديد الميم: أي سكتوا، وقيل: سكتوا من خوف ونحوه.

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: «ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله يغلق باباً، ثم يُرخي ستراً، ثم يقضي حاجته، ثم إذا خرج حدَّث أصحابه بذلك، ألا عسى إحداكن أن تغلق بابها، وترخي سترها، فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبها. فقالت امرأة سفعاء الخدين: والله يا رسول الله، إنهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون، قال: فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة على قارعة الطريق، فقضى حاجته منها ثم انصرف وتركها» رواه البزار، وله شواهد تقويه، وهو عند أبي داود مطولاً بنحوه من حديث شيخ من طفاوة، ولم يسمه، عن أبي هريرة.

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ، قال: «السِباع حرام» قال ابن لهيعة: يعني الذي يفتخر بالجماع. رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي، كلهم من طريق دراج[1]، عن أبي الهيثم، وقد صححها غير واحد.

السباع، بكسر السين المهملة بعدها موحدة: هو المشهور، وقيل: بالشين المعجمة.

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ، قال: «المجالس بالأمانة: إلا ثلاث مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق» رواه أبو داود من رواية ابن أخي جابر بن عبد الله، وهو مجهول، وفيه أيضاً عبد الله بن نافع الصائغ، روى له مسلم وغيره، وفيه كلام.

---

(١) حسن الأسوة ٥٢٨ ـ ٥٢٩.

حكم وصف النساء للرجال

جاء في الحديث:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[1].

قال القابسي:

هذا أصل لمالك في سد الذرائع، فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يُعجبَ الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الإفتتان بالموصوفة وفي رواية النسائي «لا تباشر المرأة المرأة ولا الرجل الرجل».

وفي رواية لمسلم وأصحاب السنن: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد».

قال النووي: فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة، وهذا مما لا خلاف فيه، وكذا الرجل إلى عورة المرأة والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع.

ونبه ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة على ذلك بطريق الأولى اهـ قول النووي.

فما بالك برجال ونساء اليوم. كيف يفعل النساء والرجال في هذا الزمان لا يتقيدون بحلال ولا حرام.

---

(١) فتح الباري جـ /٩/ ٢٥٠/ باب لا تباشر المرأة فتنعتها لزوجها.

فيظهر الرجل أمام الرجل وقد انكشفت عورته لا يردعه حياء ولا دين ولا ضمير، بل وتظهر المرأة أمام الرجل وكأنه أحد محارمها يتهامسون ويتضاحكون ويتقهقهون، نعوذ بالله من كيد الشياطين.

ثم قال النووي: ويستثنى الزوجان فلكل منهما النظر إلى عورة صاحبه، إلا أن في السوأة اختلافاً، والأصح الجواز، لكن يكره حيث لا سبب.

وأما المحارم: فالصحيح أنه يباح نظر بعضهم إلى بعض لما فوق السرة وتحت الركبة.

قال: وجميع ما ذكرنا من التحريم حيث لا حاجة، ومن الجواز حيث لا شهوة.

وفي الحديث تحريم ملاقاة بشرتي الرجلين بغير حائل، إلا عند ضرورة، ويستثنى المصافحة.

ويحرم لمس عورة غيره بأي موضع من بدنه كان بالإتفاق.

قال النووي: ومما تعم به البلوى، ويتساهل فيه كثير من الناس الإجتماع في الحمام فيجب على من فيه أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره.

ويجب الإنكار على من فعل ذلك لمن قدر عليه، ولا يسقط الإنكار بظن عدم القبول إلا إن خاف على نفسه أو غيره فتنة. اهـ[١].

الأسباب المانعة للوصف

فالنهي المحذر عنه بالنسبة لوصف المرأة امرأة غيرها لزوجها.

١ ـ خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور، فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الإفتتان بالموصوفة.

---

(١) فتح الباري جـ ٩ / ٢٥٠.

٢ ـ بسبب ما قد يحد من الضغائن عندما يقوم الزوج بتنبيه زوجته لخطأ يحدث منها، أو تقصير يكون في أحد الجوانب، ولكنه لا يجد مع مرور الوقت أي تحسن أو استجابة قد يلجأ إلى تذكيرها بإحدى النساء ممن تتميز بهذه الصفة ومع مرور الوقت، لا ينفك الزوج عن ذكر هذه المزية في هذه المرأة فتصبح كنوع من التعبير لها والإنتقاص منها. فيصبح كلما سمع بصفة جيدة في إحدى النساء ذكرها لها.

فهو يقول: كوني كفلانة في تربيتها لأولادها، وفلانة في تنظيمها لبيتها والعناية به، وكفلانة في عدم خروجها من المنزل.

وهكذا تقع بعض النساء في هذا الأمر المحظور من الوصف.

كأن تصف جمال امرأة أخرى، أو أفكارها، أو عقليتها وغير ذلك.

والأذن تسر لسماع الأخبار وخاصة إذا كانت من الجنس الآخر لأن الشيطان يجد مجاله هنا فيوسوس للمرأة بذلك ويوسوس للرجل بالسماع.

(والأذن تعشق قبل العين أحيانا)

وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تخشى من هذا الأمر، وكما جاء في الأثر عن هشيم قال: قال منصور عن ابن سيرين عن عائشة أنها كانت تقول للنساء: (ولا تَصُفنني لأزواجكن)[١].

وتناقل صفات النساء بين الرجال له أثره السيء في قلب الرجل من حيث إنه يقلل من شأن زوجته وقدرها.

وفي قلب المرأة من حيث إنها تنفر من زوجها وتحمل الضغينة في نفسها. وأيضاً فإنها تبغض هذه المرأة التي تكون إحدى قريباتها، مما ينتج

---

(١) إسناده صحيح رواه ابن أبي شيبة في مصنفه جـ٤/ ٤٥/ .

عنه عدم صلة الرحم. أو قد تكون زوجة أحد الأصدقاء، مما ينتج عنه مقاطعتها لأنها تراها أعلى منها.

ومما ينبغي التنبه له:

أن بعض الرجال يقع في محذور شرعي عند سؤاله لزوجته عن المجالس النسائية التي حضرتها. خوفاً عليها من المنكرات والمخالفات الشرعية أو من باب الفضول فتسترسل الزوجة في حديثها، حتى تتجاوز الحد الشرعي في الإجابة، بأن زوجة فلان ترتدي الملابس الضيقة والقصيرة، وزوجة فلان تقع في الكذب، وزوجة فلان ترقص في المجلس وزوجة فلان كذا وكذا..

فليس للرجل هذا الفعل، لأن المجالس بالأمانات؛ ولأنه من تَتَبُّع عورات المسلمين، والتماس عثراتهم وله أن يبين حكم هذه المحاذير، دون تتبع أحوال النساء ومعرفة أشخاصهن.

إن مما ينبغي التنبه له أن بعض النساء تقطع عهداً على نفسها أن تذكر كل شيء لزوجها ويعتبران ذلك من الحب والإخلاص والمودة.

فتصف المرأة لزوجها كل ما تقع عينها عليه.

فتذكر له أن المرأة الفلانية طويلة أو قصيرة أو سمينة أو لسانها ألثغ أو بارعة الجمال. أو نحيفة أو أو.. إلى ما هناك من الأوصاف.

أو تذكر كلامها في المجلس وتحتقرها أمام زوجها، وقد يكون احتقارها هذا سبباً لدخولها في ذهن زوجها فيفكّر فيها ويتمعّن في التفكير ويوسوس له الشيطان في ذلك ويقع المحظور.

فلتراقب الله تعالى تلك المرأة أن تقع في هذا المحظور.

إنها تخالف الشرع من عدة أمور.

فكأنها تكشف عورة تلك المرأة أمام زوجها وأنها تغتابها. أو تنم عليها.

فبسبب ذلك قد يذكر هذا الزوج تلك المرأة بهذه الأوصاف في مجالس الرجال فتفتضح تلك المرأة، ويحدث ما لا تحمد عقباه.

* * *

المبحث الثالث عشر في

الدخول في البيوت

الدخول على النساء

منعاً للفتنة وسداً للذريعة التي تنتهي للزنا نهى النبي ﷺ عن الدخول على النساء، من غير المحارم، لأن مقابلة الرجل للمرأة دون حجاب، ولا حاجز ينتج عنها من الفتنة الكثير، الذي يحلق الدين ويقضي عليه.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أرأيت الحمْو؟ قال: (الحمو الموت)[1].

والحمو: أخو الزوج وما شابهه من أقاربه، كابن أخيه وابن عمه وابن أخته، ونحوهم، ممن يحل للمرأة تزوجهم لو لم تكن متزوجة.

وكذلك أقارب الزوجة، كابن عمها وابن خالها وابن خالتها، ونحوهم.

قال القرطبي:

إن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الإستقباح والمفسدة، أي: فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عنه وتشبيهه بالموت، لتسامح الناس فيه من جهة الزوج لا لفهم ذلك، حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة، فخرج هذا مخرج قول العرب: (الأسد الموت) أي: لقاؤه يفضي إلى الموت، وكذلك دخوله على المرأة قد يفضي إلى موت الدين[2].

---

(١) أحمد / ٤ ـ ١٤٩/ البخاري ١١/ ٢٤٤ وقال الترمذي حسن صحيح قال: وإنما يعني كراهية الدخول على النساء على نحو ما روي عن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما».

(٢) فتح الباري ١١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦/.

وقال النووي رحمه الله: إن الخلوة بقريب الزوج أكثر من الخلوة بغيره، والشر يتوقع منه أكثر من غيره، والفتنة منه أمكن لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير نكير، بخلاف الأجنبي.

فالدخول على النساء حرام، والداخل على خطر عظيم.

وإذا كان دخول قريب الزوج على امرأته كالموت، فما بالك بدخول الأجنبي عليها.

فاحذر أيها المسلم من التساهل في دخول الرجال على أهلك فتتصف بالدياثة، وتعرض أهلك للفجور والفسوق.

وكما يجب عليك هذا نحو أهلك، كذلك يلزمك أنت أن تحترم بيوت الناس، فلا تدخل على امرأة غيرك.

عن عمرو بن العاص، أنه أرسل مولاه إلى علي يستأذنه على أسماء بنت عميس، فأذن له حتى إذا فرغ من حاجته، سأل المولى عمرو بن العاص عن ذلك، فقال: إن النبي ﷺ نهانا ـ أو نهى ـ أن ندخل على النساء بغير أزواجهن(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تأذن المرأة في بيت زوجها، وهو شاهد إلا بإذنه(٢).

فالحديثان يدلان على المنع من الدخول على النساء من غير أن يكون ذلك عن إذن أزواجهن وحضورهم.

ويؤخذ من مفهوم الحديثين جواز الدخول على المرأة بحضور زوجها، لكن دون اختلاط.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل رجل

---

(١) أحمد ٤/٢٠٣.

(٢) ابن حبان ١٩٦٦ ـ موارد الظمآن وسنده صحيح على شرط مسلم.

على امرأة ولا تسافر إلا ومعها ذو محرم، وفي رواية: لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم(١).

فالحديث نص في النهي عن الدخول على النساء والخلوة بهن، من غير وجود محْرم كالأب، والإبن، والأخ، والزوج.

ولذلك كان السلف يتقون الخلوة، حتى بالبهيمة.

وقال بعضهم: شيطانٌ مُغْوٍ، وأنثى حاضرة.

وفي التاريخ وقائع وفضائح، والسبب فيها: الخلوة، والدخول على النساء والإختلاط بهن.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن نفراً من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس رضي الله عنها فدخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهي تحته يومئذ، فرآهم فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقال: لم أر إلا خيراً. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد برأها من ذلك» ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مُغِيبة إلا ومعه رجل أو اثنان»(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يبيتنّ رجل عند امرأة ثيِّب إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم»(٣).

والثيب من النساء هي التي تزوجت، سواء كان لها زوج أم لا، وإنما خص الثيب بالذكر، مع أن البكر مثلها، لكونها مَظنّة الدخول، أما البِكْر فمصونة في العادة، مجانبة للرجال أشد مجانبة، فلم يحتج إلى ذكرها، ولأنه من باب التشبيه، لأنه إذا نهى عن الثيب التي يتساهل الناس في

---

(١) أحمد ١/ ٢٢٢ والبخاري: في الحج.

(٢) أحمد /٦٥٩٥/ مسلم ١٤/ ١٥٥ والمغيبة: هي التي غاب عنها زوجها والحديث يدل على المنع، إلا إذا كانت جماعة يبعد وقوع مواطأة منهم على ما يشين مروءتهم ويخدش عرضهم. وفي الحديث منقبة لأسماء حيث برأها

(٣) مسلم /١٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣/.

الدخول عليها ـ في عادة الجاهلية ـ فالبِكْر أولى[1].

والمقصود أن الدخول على النساء الأجنبيات والخلوة بهن حرام في الشريعة الإسلامية قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

وفي هذا الحديث.. تحريم الخلوة بالأجنبية، وإباحة الخلوة بمحارمها وهذان الأمران مجمع عليهما[2]...

الإستئذان قبل الدخول

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ أي تستأذنوا ﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ فيقول الواحد: السلام عليكم أأدخل؟ ﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي فتعملون به ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا ﴾ يأذن لكم ﴿ فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ﴾ بعد الإستئذان ﴿ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ ﴾ أي الرجوع خير لكم من القعود على الباب ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ من الدخول بإذن وبغير إذن ﴿ عَلِيمٞ ﴾ فيجازيكم عليه[3].

فرعاية لحرمة النساء وصوناً للأعراض، ومحافظة على حق المسلم في التمتع بما أباح الله له من الحرية في بيته. حرّم الله عز وجل على كل مؤمن أن يدخل بيتاً غير بيته قبل أن يستأذن أهله ويسلم عليهم، فإن أذنوا له بالدخول فيها، وإلا رجع.

والسبب في ذلك أن كل إنسان له في مسكنه حالات خاصة لا يجب أن يطلع عليها أحد من الناس ولو كان ألصق الناس به وأقربهم إليه.

فلو أتيح للإنسان أن يدخل البيت على أهله من غير استئذان لفاجأهم بما يكرهون وأصابهم بما يؤلمهم، وقد يقع نظره على ربة البيت وهي

---

(١) شرح النووي على مسلم /١٤/ ١٥٣/.
(٢) المرأة المتبرجة لعبد الله التليدي ص٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢.
(٣) سورة النور آية ٢٧ ـ ٢٨.

مكشوفة الرأس، عارية بعض أعضاء البدن، وفي ذلك إيذاء لها زيادةً على الفتنة له، ولإيذاء لصاحب البيت ما لا يخفى من العواقب السيئة، والنتائج المحزنة.

ولهذه الحكمة الجليلة حرّمت الشريعة الإسلامية الغرّاء على الإنسان أن يدخل في بيت غيره قبل الإستئذان لكيلا يقع نظره على أهل البيت ويطلع على أحوالهم والسرّ في إيجاب الإستئذان هو صيانة الأعراض، والمحافظة على العفة والحياء، وعدم الإختلاء بالنساء، لقوله ﷺ: «إياكم والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما» وفي رواية «إلا وكان الشيطان ثالثهما، ولأن يَزْحَمَ رجلٌ خنزيراً متلطخاً بطينٍ أو حمأةٍ خير له من أنْ يزحم مَنْكِبَ امرأةٍ لا تحلُّ له».

وقوله: «لأن يُطعنَ في رأسِ أحدِكُم بمِخْيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأةً لا تحل له».

وهذا الحديث الشريف صريح في منع اختلاط الرجال بالنساء، والإحتكاك بالمرأة الأجنبية مهما كانت حالتها.

لا يخفى على كل عاقل أن اختلاط الرجال بالنساء والخلوة بهن هما الداء العضال لكل مجتمع والسبب المباشر للزنا وكثرة اللقطاء من أولاد الزنا. فقد جاء في الأثر:

(ما اجتمع رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

وقال أيضاً: «اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء».

* * *

المبحث الرابع عشر في

التطييب

نهي المرأة عن التطيب أثناء خروجها من البيت

وبما أن التطيب يلفت انتباه الرجال نهى الرسول ﷺ عنه بالنسبة للنساء حتى إنه قرنه بالزنا.

فقال ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[1]. وقال ﷺ: «كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية»[2] والمراد أنها تتخلق بأخلاق الزانية التي تدعو الناس إلى نفسها. واستعطرت: استفعلت من العطر وهو الطيب فعلى المرأة أن لا تتعطر في خروجها ولو إلى الصلاة في مثل يوم الجمعة، قالت عائشة رضي الله عنها: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دخلت امرأة من مُزينة، ترفل في زينة لها في المسجد، فقال ﷺ: «يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يُلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد»[3].

نهي بعض الصحابة النساء عن التطيب أثناء الخروج

خرجت امرأة في عهد عمر رضي الله متطيبة فوجد ريحها فعلاها بالدرة ثم قال: تخرجن متطيبات فيجد الرجل ريحكن، وإنما قلوب الرجال عند أنوفهن أخرجن تفلات[4].

وأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأة مرت به وريحها تعصف،

---

(١) سنن أبي داود ٤/٤٠١ ـ ٤٠٢/ النسائي ٨/ ١٥٤ / مسند أحمد/ ١٥/ ١٨٣ تحقيق أحمد شاكر.

(٢) سنن الترمذي ٥/١٠٦ واللفظ له أبو داود ٤/ ٤٠٠ ابن خزيمة ٣/ ٩١ النسائي ٨/ ١٠٣ ـ مسلم ١/ ٣٢٨.

(٣) رواه ابن ماجة.

(٤) مصنف عبد الرزاق ٤/ ٣٧٠.

فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيبت! قالت: نعم، قال: فارجعي واغتسلي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل»(١).

وعن زينب امرأة عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمس طيباً»(٢).

طيب النساء

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن طيب الرجال ريح لا لون له، وإن طيب النساء لون لا ريح له» قال بعض الرواة أما إذا كانت عند زوجها فلتطيب بما تشاء أخرجه أبو داود. وفي رواية للترمذي والنسائي: طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه.

قال ابن الجوزي:

وإنما جعل طيبهن ما لا ريح له لئلا ينم عليهن، وبخاصة إذا خرجت المرأة من بيتها، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾(٣) قيل: هو الخلخال.

* * *

---

(١) مسند أحمد ١٣/ ٨٢ ـ ١٥/ ١٠٨ صحيح ابن خزيمة ٣/ ٩٢ سنن أبي داود ٤/ ٤٠١ ابن ماجه ٢/ ١٣٢٦ المصنف ٤/ ٣٧١.

(٢) مسلم ١/ ٣٢٨.

(٣) سورة النور: ٣١.

المبحث الخامس عشر في

وسائل التجميل

بعض الأدلة على حرمة وسائل التجميل

الدليل على تحريم فِعْل الواشمة والنَّامصة والمتفلِّجة:

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «لعن اللهُ الواشمات والمستوشمات، والنَّامصات والمتنمِّصات، والمتفلِّجات للحسن، المغيِّرات خلق الله» فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد، يقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلِّجات للحسن، المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: وما لي لا ألعنُ من لَعَنَ رسولُ الله ﷺ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأتُ ما بين لوحي المصحف، فما وجدتُه! فقال: لئن كنت قد قرأتيه فقد وجدتيه؛ قال الله عز وجل:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن. قال: اذهبي. فدخلت على امرأة عبد الله، فلم تَرَ شيئاً، فجاءت إليه فقالتْ: ما رأيتُ شيئاً، فقال: أما لو كان ذلك لم نُجامِعْها»[2].

«الواشمة»: فاعلةُ الوشم، وهو: أن تغرزَ إبرة أو مسلَّة أو نحوها في ظهر الكف، أو المعصم، أو الشفة، أو غير ذلك من بدن المرأة، حتى يسيل الدمُ، ثم تحشو هذا الموضع بالكحل أو نحوه فيخضَرّ. وفاعلةُ ذلك

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: المتنمصات، ومسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: الواشمة والمستوشمة.

واشمة، والمفعولُ بها موشومة، فإن طلبتْ فِعْل ذلك فهي مستوشمة.

«النَّامصة»: هي التي تُزجِّج (تنتف) شَعْرَ الحاجبين[1].

«والمتنمصة»: هي التي تطلبُ فِعْل ذلك بها.

«والمتفلجة»: هي التي تجعل فرجةً لطيفة بين أسنانها الثنايا والرباعيات، والمرأةُ العجوز ـ ومَن قاربتها في السِّن ـ هي التي تفعلُ (الفلج) إظهاراً للصِّغر وحُسْن الأسنان. وتُسمَّى هذه العملية (الوشر) إذا لجأت المرأةُ العجوزُ إلى إحداث تحدُّد ورقَّة في الأسنان؛ باستخدام مبرد ونحوه.

والمرادُ بقول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (أما لو كان ذلك لم نجامعها) أي: إذا فعلتْ زوجتي شيئاً من هذه الزينة المزوّرة لم أصاحبها، ولم أجتمع أنا وهي، بل كنتُ أطلِّقها وأُفارقها. ولعلَّ في قول هذا الصحابي الجليل النُّصْح للزَّوج صاحب المزاج المختلِّ الذي يفارقُ زوجته إن اكتفتْ بالمباح، ولم تفعل الحرام.

الدَّليلُ على تحريم فِعْل الواصلة:

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال:

قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الواصلةَ والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»[2].

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ عام حجَّ وهو على المنبر، وتناولَ قَصَّةً من شعر كانت في

---

(١) هذا الوعيد بالنسبة لنتف الشعر عن الحاجبين. فما بالك إذا كشفت المرأة عورتها المغلظة أمام من تفعل ذلك ونتفت لها شعرها فإن اللعن أكبر والحرمة واقعة على الناتفة والمنتوفة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: وصل الشعر، ومسلم في كتاب: اللباس، باب: تحريم فعل الواصلة.

يد حرسي ـ شرطي ـ يقول: يا أهل المدينة! أين علماؤكم؟ سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن مِثْل هذه، ويقول: «إنما هلكتْ بنو إسرائيل حين اتَّخذ هذه نساؤهم» وفي رواية: ما كنتُ أرى أن أحداً يفعله إلا اليهود، إنَّ رسولَ الله ﷺ سمَّاه الزّور، يعني: الواصلة في الشعر[1].

إذا كان اللعن حاصل للواصلة والمستوصلة إن فعلت ذلك عند امرأة مثلها. فما بالك بمن تذهب للكوافير الرجل وتجلس بين يديه ساعة أو أكثر يقص لها شعرها ويحدّق يها وتحدق به ويضع لها الماكياج على وجهها يلمسها ويضغط على جسمها وقد يكون منفرداً بها وقد تكون مع غيرها وهنالك يحصل مالا تحمد عقباه أعاذنا الله وأجارنا من ذهاب العقل وطيش الفكر وعدم التدبر. إن مجال الكوافير قد يكون وكالة أنباء لأسرار البيوت، وساعات من العمر ـ لا ترجع ـ تنفقها المرأة رخيصة تحت (السشوار) ولمسات فاجرة على شعرها ووجهها من رجل أجنبي عنها ـ وربما امتدت الأيدي بحجة التجميل إلى غير ذلك.

عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ أن امرأةً جاءتْ إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني أنكحتُ ابنتي، ثم أصابها شكوى ـ حصبة ـ فتمزَّق شعرها (وفي رواية: فتساقط شعرها) وزوجُها يَسْتَحِثُّني بها، أفأصل رأسها؟ فسبَّ رسول الله ﷺ الواصلةَ والمستوصلة[2].

«الواصلة»: هي التي تصلُ شعرَ المرأة الطبيعي بشعرٍ آخر مستعار ـ وهو المعروفُ بالباروكة ـ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: وصل الشعر، ومسلم في كتاب: اللباس، باب: تحريم فعل الواصلة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: وصل الشعر، ومسلم في كتاب: اللباس، باب: تحريم فعل الواصلة.

«المستوصلة»: هي التي تطلبُ أن يُفْعَلَ بها ذلك، ويقال لها: موصولة.

دليـلُ النَّهـي عن تطويـل الأظـافر:

وخاصة إذا عمدتِ المرأةُ إلى طلائها بمادة عازلة ـ المانكير ـ تكون سبباً في بطلان الوضوء، فبطلان الصَّلاة، فالوقوف على شَفَا حُفْرةٍ من النَّار.

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِن الفطرة: حَلْقُ العانة، وتقليم الأظافر، وقصُّ الشارب»[1].

إنَّ نظرةً موضوعيَّةً إلى وسائل التَّجميل المزوّر ـ الماكياج ـ كفيلةٌ بأن تؤكِّد للمرأة أنها تشاركُ الوسائلَ القديمة في علَّة التحريم، بل تزيدُ عليها، إنَّ الوسائلَ المعاصرةَ استوفَتْ كُلَّ آفاتِ التحريم المتعلِّقة بهذا الباب، وهي:

آفــات التحريم

١ ـ تغيير خَلْق الله. يقول تعالى حكاية عن حال الشَّيطان مع بني آدم:

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[2].

وقد جاء في تفسير الآية؛ أنَّ المرادَ بهذا التغيير: تغيير الفطرة التي فَطَر اللهُ النَّاسَ عليها[3].

٢ ـ التَّغرير، أي: التدليس، والغش، والخِداع.

يقول الحافظُ نقلاً عن الخطابي: إنَّما وَرَدَ الوعيدُ في هذه الأشياء؛ لما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: تقليم الأظافر.

(٢) النساء: ١١٩.

(٣) الشوكاني، فتح القدير (١/ ٥١٧). دار الفكر ـ الطبعة الثالثة (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

فيها من الغشّ والخِداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلةً إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخلقة[1].

٣ ـ التَّشبُّه، أي: التشبه بالكافرين في الهيئة الظَّاهرة، ولا سيما الزِّينة المزوّرة ـ الماكياج ـ ومعلومٌ أنَّ التشبُّهَ في الظَّاهر يورثُ التشبُّهَ في الباطن.

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»[2].

٤ ـ الابتداع، وأصلُ البدعة ما أحدثَ على غير مثالٍ سابق، وتُطْلَقُ في الشَّرع في مقابل السُّنَّة فتكون مذمومة.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أحدث في أَمْرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» أي: مردودٌ غير مقبول[3]. ومعنى: «من أحدث في أمرنا» أي: في شريعتنا[4].

يقول تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: اللباس، باب: لبس الشُّهرة، وهو في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٦١)، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فهو مردود، ومسلم في كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور.

(٤) ومعنى ذلك: أن ما أحدث في الجانب المادي ليس منهياً عنه، بل قد يكونُ واجباً مأموراً به. وما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب، وسيادةُ الأمة الإسلامية وعزَّتُها لا تتمُّ إلا بالتقدم العلمي، والتفوق في العلم التجريبي، وإعداد العدّة في المجال الحربي.

(٥) الجاثية: ١٨.

ولهذا يقولُ الحافظُ: والتَّحقيقُ أنَّ البدعةَ إن كانتْ ممَّا يندرجُ تحت مستقبحٍ، فهي قبيحةٌ، وإن كانت مما يندرجُ تحت مستحسن، فهي حسنة[1].

• - الضَّرر، لقد أرسى الكتابُ والسُّنَّةُ أصلين من أصول الدِّين الكبرى، حيث يقول الله - عز وجل -:

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[2].

ويقول النَّبيُّ ﷺ: «لا ضَرَرَ ولا ضِرار»[3].

فما ثبتَ أنَّه خبيثٌ بشهادة النقل الصحيح والعقل الصَّريح، وما ثبتَ أنَّه ضَرَرٌ بشهادة الأطباء المختصِّين، فإن الشَّرْعَ يُحرِّمه.

وسائل التَّجميل العصرية (الماكياج)

١ - **الدُّهون والمساحيق**: هي معاجين زيتية، يُذاب فيها مركباتُ معادن ثقيلة، مثل: الرصاص والزئبق، وتدخلُ في تركيباتها أكسيدات المشتقات البترولية، وكلها ضارَّةٌ بالجِلْد؛ لأنَّها تمتصُّ عن طريقه، وتحدثُ الالتهابات والحساسية، وتؤثِّر على الأنسجة المكوِّنة للدَّم والكبد والكلى، حيث إنَّ هذه الموادَّ لها خاصية الترسُّب الكامل، فلا يتخلَّصُ منها الجسمُ بسرعة.

٢ - **طلاءات العينين ورموشها (الماسكارا وغيرها)**: تتركبُ من مواد تسبِّبُ التسمُّمَ المُزْمِن مثل (هيكزات كلوروفين) و(فينيلين ثنائي لامين) وينتجُ عن ذلك التقرُّحات في القرنية، والالتهابات في العينين بسبب

---

(١) فتح الباري (٤/٢٥٣).

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وهو في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٩)، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني.

الأجسام غير المعقَّمة التي تحتوي على الجراثيم، ومن ثم تتساقطُ رموشها.

٣ ـ **أحمر الشِّفاه**: يتركَّب من محاليل عضوية منها: شحم الخنزير و(رابع كلور الفحم) و(الكلورفورم) وكلها تحملُ بين طيَّاتها أحد خطرين: التسمُّم المزمن، أو السرطان.

٤ ـ **مُزيِّف الشعر (الميش)**: وهو عبارةٌ عن أصباغ كاوية تسقطُ الشعر، وتغيِّرُ اللونَ الفطريَّ الأسود إلى ألوان أخرى، وقد يُكسِبُ الشعر جرماً دقيقاً عازلاً، يحول بين المرأة وبين الطهارة الكاملة.

٥ ـ **الكعب العالي**: انتعال الأحذية ذات الكعب المرتفع يؤدي إلى إرهاق القدمين وآلام الظهر، وقرّر بعض الأطبّاء: أن انتعال هذا النوع من الأحذية سببٌ من أسباب انقلاب الرحم، مما يؤدي إلى سقوط الحمل[١].

فهي بدعة ظالمة لم يعد الناس يلاحظون ما فيها من هوان وشر لطول ما ألفوها، والمألوف الشائع يسكت العجب، ويميت الإحتجاج، لأنه يتحول إلى عادة مقبولة. ولعمر الله كم امرأة في العالم قد سألت نفسها لماذا ألبس حذاء ذا كعب عال يضايقني في المشي ويضر باستقامة ساقي؟ وكم امرأة قد صنعت شيئاً في مقاومة هذا الطغيان المذل فللكعب العالي أضرار صحية، وجمالية، ونفسية، وقومية، وأخلاقية قال الأديب الكبير علي الطنطاوي في كتابه (مع الناس):

والنساء يتخذن هذه الأحذية الفظيعة ذات الكعوب العالية، مع أن المشي بها أصعب من المشي على الحبل، ومن لم يصدق من الرجال فليمش مئة خطوة على رؤوس قدميه، وهي فوق ذلك تصلب عضلات

---

(١) فتاوى هيئة كبار العلماء بالسعودية.

الساق وتشوه جمالها، وما للبسها معنى، وليس فيها جمال، ولكن هكذا يريد الناس. ثم روى حادثة طريفة عن امرأة استعبدتها هذه الأزياء الغربية الغريبة فقال: ورأيت مرة امرأة واقفة في الترام، والمقاعد خالية، وكلما دعوها لتجلس أبت، ثم تبين لي أنها تلبس إزاراً (خراطة) ضيقاً عجيباً، لا تستطيع معه المشي إلا كمشي المقيد بالحديد، ولا تستطيع صعود درجة الترام إلا بكشف رجليها، وإخراجهما منه، فلذلك لا تستطيع القعود! تتساءلون لماذا تعذب نفسها هذا العذاب؟ من أجل الناس.

تقول السيدة نعمت صدقي:

«ولو أن المتبرجةَ تأمَّلَتْ بعين بصيرتها، ولو كان لها قلبٌ يعي، لوجدتْ أنَّها ـ باصطناعها هذا الجمالَ المزوّر، ومبالغتها في التزيُّن ـ لن تكسبَ في الحقيقة جمالاً ولا محاسن، بل إنها تمسخُ وجهها، وتخفي ما حَبَاها اللهُ به من الجمال الفطري بقناع من الأصباغ الزَّاهية، التي تختلفُ وتشذُّ عن الطَّبيعة، ينبو عنها الذَّوقُ السليم، وهي لا تأبه لذلك، ولا تفطنُ لما صنعتْ بوجهها من التَّشويه والتَّقبيح.. فَلِمَ هذه المبالغة المشوِّهة للخَلْق؛ الذي جَعَلَه اللهُ في أحسن تقويم، فكلُّ شيء زادَ عن حدِّه انقلب إلى ضده، وإتقانُ الجمال إنما يكون بمحاكاة خَلْق الله سبحانه وتعالى الذي أتقن كلَّ شيء، وأحسن كلَّ شيء خَلْقَه، ولن يكون أحدٌ أحذقَ ولا أبدعَ منه تصويراً، ولا أدقَّ منه تجميلاً، ولا أحسن منه تنسيقاً؛ فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى».

يقول الدكتور وهبة أحمد حسن (كلية الطب جامعة الإسكندرية): إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ثم استخدام أقلام الحواجب وغيرها من ماكياجات الجلد لها تأثيرها الضار، فهي مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل الرصاص والزئبق تذاب في مركبات دهنية مثل زيت الكاكاو، كما أن المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية وكلها اكسيدات مختلفة تضر بالجلد، وأن امتصاص المسام الجلدية لهذه

المواد يحدث التهابات وحساسية، أما لو استمر استخدام هذه الماكياجات فإن له تأثيراً ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى، فهذه المواد الداخلة في تركيب الماكياجات له خاصية الترسب المتكامل فلا يتخلص منها الجسم بسرعة. إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ينشط الحلمات الجلدية فتتكاثر خلايا الجلد، وفي حالة توقف الإزالة ينمو شعر الحواجب بكثافة ملحوظة، وإن كنا نلاحظ أن الحواجب الطبيعية تلائم الشعر والجبهة واستدارة الوجه[١].

لمـن تتجمّـل المرأة؟

بقلم الصحفية الفرنسية (شارلوت تيري):

لاشك في أن الرجل يستعذب المرأة الجميلة، ولكنه يحب متى كانت هذه المرأة زوجته أن يكون جمالها لرجلها لا لكل غريب، والواقع أن معظم النساء العصريات يسرفن في التبرج إسرافاً يشعر الزوج أنهنّ لا يتجمّلن من أجله، بل من أجل كل من تقع عيونهن عليه.

والحقيقة أن المرأة المتزوجة متى أسرفت في التجمل فذلك لأغراض ثلاثة:

الأول: أن تتفوق على أترابها من النساء وتزهو عليهن وتكيد لهنّ.

الثاني: أن تصادف خطوةً لدى الشبان والرجال الذين ينظرون إليها.

الثالث: أن تكون محبوبة من زوجها حتى تحتفظ على الدوام بحبه لها.

فالمرأة المتزوجة تريد والحالة هذه أن تفوز بكل إعجاب. إعجاب النساء وإعجاب الرجال وإعجاب الزوج.

ولكن هل في وسع أي امرأة أن تظفر بهذه الأغراض الثلاثة دون أن

---

(١) المرأة المسلمة في وجه التحديات.

تحدث الشقاء لنفسها والشقاء لزوجها؟ مما لا يقبل الريب أن ظفرها بإعجاب صديقاتها وقد تصحبه نشوة تفقدها التوازن فتزداد رغبتها في الظفر بإعجاب الرجال أيضاً، وعندئذ يتحول ميلها لمرضاة زوجها إلى نوع من التبرم به، والتعالي عليه لا بد أن يفضي إلى شر الأخطار والمفاسد.

وهناك مسألة أخرى من الأهمية بمكان عظيم وهي: أن المرأة الكلفة بالتبرج الولوع بفنون الزينة هي امرأة تكره الإقتصاد، وتحب العطل والكسل، وحياة النعومة والرخاوة والتواكل والهمود، وهذه جميعها هي أبواب الرذيلة.

فمجرد التبرج لا يخيف الرجل، ولكن الذي يخيفه هو تلك العوامل الفاسدة الكامنة خلف التبرج والتي تغري وتدفع إليه.

ولربّ سيدة من القارئات تعترض عليّ وتقول: ولكني كيف أستطيع الإحتفاظ بحب زوجي لي إن أنا أهملت زينتي وتعطلت من كل حليه وجمال صناعي؟

وأنا أجيب على هذا الكلام بأن الجمال الحقيقي هو البساطة، وأن البساطة المقرونة بالفضيلة أحب إلى الزوج العاقل من كل جمال صناعي مجلوب من الخارج، ثم إني لا أطلب إلى السيدات المتزوجات أن يهملن كل زينة، ولكن أطلب إليهن أن يحذقن فن التجمل لأزواجهن فقط لا للأغراب، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ إلى آخر الآية.

وليس من شك في أن الزوج مدفوع بطبيعته ومركزه الزوجي إلى الإرتياب في كل جمال صناعي تسرف فيه زوجته وتنقطع له وتتهالك عليه. ولذلك وجب على الزوجة أن تتوسط وتعتدل فتفهم أنها أخذت بمبدأ البساطة وذلك خير لها وأفضل في إحكام وروابط العطف والحب بينها وبين قرينها.

نصيحــة للسيــدات

تقضي الشريعة الغراءُ، بأن تتجمل السيدة لزوجها لا لمن تريد أن يعجبوا بزينتها وزيها في الطرق العمومية، وفي مكاتب الوظيفة وكما أن الشريعة قضت بالتجمل، قضت أيضاً بألا يتجاوز الإنفاق فيه، الحد الذي يؤثر على الضروريات، وإلا كان بذاته حراماً.

وقد تجاوزت بعض النساء حد الاعتدال، وأخذت تجاري المرأة غير المسلمة في مضمار الأزياء الحديثة، فلا همَّ لها إلا اقتناء أدوات الزينة التي تجعل التكلف ظاهراً في جمالها، وياليتها تكتفي برضا الزوج عن هذا التكلف، بل كثيراً ما تبالغ فيه حتى ينتهي الأمر إلى وقوع المشاكل بين الأسرة من كثرة النفقات التي تتكلفها الزوجة لهذا الأمر.

لتعلم السيدة العاقلة أن الجمال الذي يحل من قلب الرجل المحل الأسمى إنما هو الجمال الطبيعي الذي يزين حسنها وليس ما تمتاز به المرأة عن الرجل في اللباس والتجمل بالحلي، وإلا كان الجمال الصناعي عادياً مزيفاً بل غشاً واضحاً فاضحاً.

التجمل بالأزياء والمودات والمساحيق

أصبح والحمد لله كثير من السيدات يعرفن مضار الأصباغ والمساحيق الكيميائية والأزياء المبتذلة. وضررها ليس فقط من الوجهة الصحية فحسب، بل من الوجهة الأدبية. ولذا فقد نبذن ذلك. حتى أصبحنا نعرف السيدة المهذبة بكمال زيها، وتجملها الطبيعي، ونشاط مشيتها، واعتدال حركتها.

على أن أجمل مظهر تبدو فيه السيدة هو ما يدل على كمال صحتها، وتمام عافيتها، وقوة عضلاتها، واعتدال قوامها. وأما الهزيلة الباهتة اللون المصابة بفقر الدم فهذه مهما بالغت في ستر هذه المظاهر بالألوان والأصباغ والمساحيق العديدة فلن يتأتى لها ذلك، وخير لها استشارة

الأطباء عوضاً عن سكوتها على فتك الأمراض بجمسها.

إن تلك الأصباغ فضلاً عن أنها لا تداوي أي عيب مرضي، أو تشويه بالخلقة فإنها تزيد التشويه وتظهر العيوب بجلاء.

تصور: أن سيدة مّا كانت شفتاها منضمتين أفلا يزيد صبغهما بالأحمر شناعة منظرها؟

أو سيدة كانت بارزة الخدين أفلا يزيد الأحمر بهما ظهور البروز عن ذي قبل. ؟

أو إذا كانت الجفون متورمة، ألا يزيدها الكحل وضوحاً في الورم. إننا لا نريد بذلك أن نجعل اليأس يدخل إلى قلب أي سيدة كان عندها أي تشويه طفيف بإمكان علاجها بالطرق المعقولة. بل نريد أن نظهر أن علاج التشويه أو اصفرار الوجه أو تغير لون الشفتين أو رمد العينين بهذه الوسائط التي ذكرناها لا يزيد النظر غير بشاعة. هذا فضلاً عن مضارها الصحية العديدة.

المضار الناتجة عن التجمل الصناعي

إن أول أضرار هذه المواد المستعملة في طلاء الوجه هي:

سد مسام البشرة التي ينتج عنها إفراز الغدد الجلدية فتضعف بذلك قوة الجلد الحيوية وتمتنع وظيفة المسام الفسيولوجية، وكثيراً ما ينشأ من ذلك بثور وحبيبات وضمور البشرة السطحية، فيؤدي هذا الضمور إلى تجعد الجلد قبل أوانه.

كذلك هذا الطلاء يمنع تأكسد الجلد من أوكسجين الهواء، ويحجب عن البشرة الحقيقة فوائد أشعة الضوء، فتكون نتيجة ذلك أن تفقد البشرة لونها الطبيعي.

وكذلك يفقد الجلد لمعته الطبيعية، وتضمر الأوعية الشعرية التي تحت سطح البشرة مباشرة فتفقد الحمرة الطبيعية واللمعة الشفافة التي

تشاهد في الوجوه النضرة الصبحة التي لم تلامسها تلك المساحيق والصبغات.

تلك هي مضار المساحيق والصبغات والألوان المستعملة في تزييف الوجوه بفكرة أن هذه المواد خالية من كل العناصر السامة التي يجوز امتصاصها من الجلد إلى دورة الدم.

على أن صانع هذه المساحيق والأصباغ لا يهمه في انتقاء هذه المواد حسن تلوينها للجلد وملاصقتها له غير ناظر من الوجهة الصحية إلى أضرار هذه المواد طالما هو يجني من أرباحه. لذا يعمد إلى صنعها من أي صنف كان ما دام يأتي بالغرض المقصود. فيستعمل (أوكسيد الزنك وكربونات الرصاص والكاثولين والتالك وأصباغ الكرمين العديدة).

وغير خاف أن امتصاص مثل هذه المركبات ينفذ من الجلد ومسامه الدقيقة إلى الأوعية الشعرية، ثم إلى الدورة الدموية، ويكون تأثيرها السامّ حسب ائتلاف، تركيبها، وحسب المداومة على امتصاصها.

وإن ضررها ليس فقط على الجلد، بل أيضاً على عموم الجسم.

خطر التـأنـق

وخلاصة القول إن التأنق شر عظيم يحيق بذهن المرأة، ويقتل روحها ويذل عقلها لأنه يمد مظهرها على حساب ذهنها، ويرجع بها إلى العصور الغابرة حين كانت المرأة تباع وتشترى في قصص ألف ليلة وليلة.

وقد تظن الفتاة أن تبرجها شيء ظاهري لا يمس عقلها، فهي تستطيع أن تكون حرة رغم إمعانها في الأناقة وإسرافها في التصنع، وهي في هذا مخطئة، فإن لكل عمل يقوم به الإنسان آثاراً فكرية وروحية بعيدة المدى.

إن أعمالنا تؤثر في عقولنا وأرواحنا وتعيد صياغتها، فإذا لم يتحكم العقل في سلوكنا تحكم سلوكنا في عقلنا.

وأول نتائج هذا التحكم أن التأنق يذل المرأة ويقتل كبرياءها. وأساس هذا الإذلال أن إقامة أسس الأناقة على كثرة الملابس، وعلى الحلاق، يُشعر المرأة بأن الجمال هو الشيء الذي ينقصها، لا الشيء الذي تملكه. فإذا أرادت أن تكون جميلة وجب عليها أن تكافح في سبيل ذلك، فتعمل ليل نهار في استكمال ذاتها الناقصة.

ومعنى ذلك أن مبدأ التأنق يقوم بدءاً على إقرار بأن المرأة لا تملك جمالاً، وإنما هي ناقصة، وعليها أن تصنع الجمال صنعاً لتجتذب به عيون الرجال.

فالتأنق إكمال لنقص، بخلاف الجمال الذي هو فيض من السحر والعذوبة يطفح ويتدفق ويغمر الحياة كلها. التأنق نقص، والجمال فيض، وذلك هو الفرق الفلسفي بين حالتين تفقد المرأة في أولاهما كل شيء، وتضطر إلى الكفاح، وتمنح في الثانية خصباً وعذوبة وكمالاً.

وفي ظل الأناقة يصبح الجمال الفطري عاطلاً من القيمة، فإن الجميلة كالقبيحة مضطرة إلى أن تكون أنيقة، وأن تضيع وقتها في هذه التوافه، فكم تخسر المرأة حين تطرح الجمال وتتمسك بالأناقة.

* * *

المبحث السادس عشر في

الخلوة

الخلوة بالأجنبي

يحرم على المرأة الخلوة برجل أجنبي.

والمقصود بالأجنبي:

هو كل رجل يحلّ له الزواج منها أصلاً، ولو كان من الأقارب، ولا سيما أخو الزوج ونحوه من الأقارب مثل ابن العم وابن الخال وزوج الأخت وابن العمة وابن الخالة، فهؤلاء جيمعاً تحرم الخلوة بهم لقوله عليه الصلاة والسلام:

«إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحَمْوُ الموت».

والحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج.

والمقصود بقول الرسول ﷺ: «الحمو الموت»:

أن توقع الشر منه أكثر من غيره، لسهولة دخوله على بيت أخيه، ولذلك وصِفَ بالموت تغليظاً وترهيباً وتخويفاً. وكأن الخلوة بالأحماء تؤدي إلى فساد وفتنة وزيغ وهلاك في الدين كهلاك الموت. والمرأة المسلمة الواعية التقية لا تقع في مثل هذه المخالفة الشرعية التي يقع فيها كثير من الناس المتساهلين في هذه الأيام.

والمآسي الكثيرة التي تحصل من الخلوة أكثر من أن تعد، إنها مصائب تحصل يومياً في مجتمعنا المليء بالشهوات والملذات، وفي ظل الموضة المتطورة أي المتغيرة من سيء إلى أسوأ. جاءني أحدهم يسألني هل يجوز لي أن أقتل زوج أختي، واستغربت من هذا السؤال العجيب.

قال لي: أعطيته المال، وبنيت له بيتاً وأنفقت عليه كثيراً، ورغم كل

هذا طعنني في ظهري، ولم يحافظ على عرضي.

كانت أختي الصغيرة تتردد على بيت أختي الكبيرة المتزوجة، وفي يوم مظلم انفرد بها في البيت وسقاها منوماً واغتصبها وأجرم في حق نفسه وحق زوجته وحق الطفلة البريئة وحقنا نحن والآن ماذا علينا أن نصنع، وكيف نفعل. يكلمني والدم يغلي في عروقه يريد أن يسافر إليه ليقتله ليريح الأرض منه ومن دنسه حاولته تهدئته، وأرشدته إلى ما ألهمني الله به.

إنها الخلوة.

التي يدخل معها الشيطان ويوسوس في النفس ويزين الجريمة لفاعلها يحسّن الحرام ويزهّد في الحلال، ويضيع الحقوق.

فلو أن هذا التزم شرع الله واكتفى بحلاله، لم يقدم على فعلته النكراء إن هذا له أمثال كثر، في عالمنا اليوم.

إن هذه الجرائم التي تحصل يومياً كلها من عدم التقيد بهدي سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

(ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما)[1].

بعض مآسي الخلوة

ومأساة أخرى:

تدخل محلاً لبيع الثياب، وتنتقي ثوباً أعجبها وتدخل غرفة القياس، ثم تنادي البائع ليرى هل ناسبها أم يوجد ما هو أكبر منه بنمرة واحدة. ولم يكن في المحل سواهما، وكانت متزينة بأحلى زينة، وهي شابة في مقتبل

---

(١) رواه أبو داود بلفظ «لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان».

العمر ورائحة العطر تفوح منها. وهو شاب لم يكن يردعه دين من الهجوم عليها ومواقعتها.

ماذا عساها تفعل أمام هذا، كانت بكراً فأصبحت عذراء، كانت تحلم بزواج سعيد ممن كانت تحلم به، فانهدم كل ما كانت تؤمله وترجوه.

تحطمت كل أمانيها، وذهبت كل آمالها. بسبب مخالفتها لأوامر ربها ندمت ولات ساعة مندم.

فلو أنها التزمت شرع الله لحصنت نفسها من أيدي العابثين، ولكن الشيطان هنا يجد مجاله، ويفرح فرحاً عظيماً لأنه انتصر بغوايته لها بالذهاب وحدها في أجمل حلة من العطر والمكياج، وانتصر بغوايته لذلك الشاب العاصي وزينها له.

وجريمة أخرى:

ابنة الجيران وما أدراك ما ابنة الجيران.

أحبها وأحبته منذ الصغر وتعاهدا وتواعدا على الزواج صالح لصالحة. وصالحة لصالح، هكذا قالت أمه وأمها. . وقال وقالت: إن أي قوة مهما كانت لا تستطيع أن تفرق بيننا لا يفرق بيننا إلا الموت.

وفي أحد أيامهما خرجا للنزهة بعيداً عن الأعين، على أن يعودا بعد ساعة من خروجهما. ولكن صالح وصالحة تأخرا كثيراً فوسوس الشيطان لصالح وضحك عليها بكلمات معسولة وافترس صالحة. ووقع المحظور. وعلم الأهل بذلك وقامت القيامة بينهم ولكن صالحاً كان نذلاً وحقيراً تخلّى عنها، ولم يتزوجها وبقيت على تلك الحالة تبكي لا يرقأ لها دمع، ولا يهدأ لها بال وضربت كفاً على كف وندمت وندم أهلها.

وهل ينفع الندم.

إنها الخلوة ـ شقيقة الشيطان ـ صاحبة الشيطان ـ والمآسي أكثر من أن تعد.

يا رسول الله وإن كانا صالحين؟ قال: «ولو كانت مريمُ بنت عمران ويحيى بن زكريا».

الخلوة من وسائل الزنـا

قال القرضاوي:

من الوسائل التي حرمها الإسلام - أي إلى الزنى - خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه. وهي لا تكون زوجة له ولا إحدى قريباته التي يحرم عليه زواجها حرمة مؤبدة، كالأم، والأخت، والعمة، والخالة وليس هذا فقداناً للثقة بهما أو بأحدهما، ولكنه تحصين لهما من وساوس السوء وهواجس الشر، التي من شأنها أن تحوك في صدريهما، عند التقاء فحولة الرجل بأنوثة المرأة، ولا ثالث بينهما. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلُوَنَّ بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان»[١].

وفي تفسير قوله تعالى في شأن نساء النبي: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[٢] يقول الإمام القرطبي: يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي أن ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله، وأحصن لنفسه، وأتم لعصمته[٣].

* * *

(١) رواه أحمد.
(٢) الأحزاب / ٥٣/.
(٣) الحلال والحرام نقلاً عن القرطبي جـ١٤/ ص٢٢٨.

المبحث السابع عشر في

السفر

سفر المرأة وحدها من غير زوج أو محرم

سفر المرأة وحدها، بلا محرم يعرضها لعبث العابثين، وقد تقع في حبائل الذئاب الجائعة، لا سيما في وقتنا الذي انتشرت فيه الرذائل، وعم الفساد وكثر الإنحلال من الأخلاق، وذهب الحياء والمروءة.

وما يذهب إليه البعض من جواز سفرها بلا محرم، هو من رقّة الدين، وتهوّر في الإفتاء. فالنهي عن السفر وحدها جاء صريحاً عن النبي ﷺ فلا يعارض بنصوص محتملة.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو مَحْرم منها»[(١)].
وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو مَحْرم»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة، إلا ومعها ذو محرم». وفي رواية «مسيرة ليلة» وفي أخرى «بريداً»[(٣)] قال النووي: كل ما يسمّى سفراً تنهى عنه المرأة بغير زوج أو محرم.

لأن المرأة مَظَنَّةُ الطمع فيها، ومظنة الشهوة، ولو كانت كبيرة وقد

---

(١) مسلم والترمذي وغيرهما.

(٢) أحمد والبخاري وغيرهما.

(٣) أحمد والشيخان.

قالوا: لكل ساقطة لاقطة[1] ويجتمع في الأسفار من سفهاء الناس وسقطهم من لا يرتفع عن الفاحشة بالعجوز وغيرها، لغلبة شهوته وقلة دينه ومروءته وخيانته[2].

والمرأة المسلمة بحق تطيع ربها، وتمتثل أمره، وتجتنب نواهيه، وترضى بحكمه وتلتزم بتعاليم دينها وشعائره وآدابه، تصبر على تكاليف الطاعة لله عز وجل ولو خالفت في كثير منها المفاهيم الإجتماعية السائدة، وكلها ثقة ويقين أنها الناجية الفائزة الرابحة. كما أكد ذلك القرآن الكريم.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

فتنــة سفر المرأة وحدهـــا

عن أبي قُلابة عن أنس قال: كان النبي ﷺ في سفر ومعه بعض نسائه، وكان غلام يحدو بهن ـ يُغني للإبل ـ يقال له: أنجشه، فقال النبي ﷺ: «ويحك يا أنجشه رويدك سوقك بالقوارير».. قال أبو قلابة: فتكلم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، قوله «سوْقك بالقوارير»[3].

أنجشه يغني، فتطرب الإبل لحدائه، فتسرع في السير، فيقول النبي ﷺ: «ويحك يا أنجشه رويدك» خفف وتمهل وارفق بالقوارير.. والقوارير كناية عن النساء.. شبههن صاحب الأدب العالي والذوق الرفيع بالزجاج في الرقة والصفاء والنقاء والضعف.

---

(١) يعتبره البعض حديثاً وليس بحديث وإنما هو من كلام السلف.
(٢) شرح مسلم /٩ ـ ١٠٤/.
(٣) أخرجه البخاري.

ويحس أبو قلابة كعربي بروعة التشبيه ورقته، كأنه نوع من المداعبة والمزاح، فيقول: فتكلم النبي بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، أي لعددتم ذلك نوعاً من الغزل الصريح بالنساء.

والإسلام بكل اللطف والذوق والرقة والصيانة يعامل القوارير، ويغار عليها أن تخدش، أو يذهب بصفائها يد تمتد إليها فتلوثها.

والمرأة هذه القارورة في ضعفها لا تستطيع وحدها أن تكابد مشقات السفر وتبعاته، فهي في حاجة إلى من يعينها ويحميها من سباع الطريق وذئابه[1].

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخْلونّ أحدكم بامرأة إلا ومعها ذو محْرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا، فقال الرسول ﷺ: «انطلق فحج مع امرأتك»[2].

أي دين هذا الذي يقدم حماية العرض على الجهاد في سبيل الله؟

إنه الإسلام حجة الله على خلقه إلى أن تقوم الساعة.

وقد يعترض على هذا الأدب بعض المتقدمين والعصريين و.. و.. فيقولون: إننا في عصر المساواة.. في عصر الأمن والأمان.. في عصر الطائرات والنفاثات و(الجامبو) و(الكونكورد).

وسأسمح لنفسي هنا بنقل هذه الواقعة كما هي، ولعلها تلقم المتنطعين حجراً. تحت عنوان: (فتاة وحيدة في المطار) كتبت محررة زاوية (أخبار حواء) تقول: جاءتني شابة صغيرة تنتفض من الغضب لتحكي

---

(١) اختار الإمام ابن تيمية القول بجواز سفر المرأة مع رفقة مأمونة.. وذلك عند عدم وجود المحرم.

(٢) متفق عليه.

لي ما حدث لها في مطار القاهرة الدولي. . اضطرتها ظروفها القاسية إلى العودة وحدها من الخارج مساء الجمعة ٢٢ من أكتوبر ـ دون أن ينتظرها أحد في المطار ولأنها أول مرة تسافر وحدها. . لم تعرف إجراءات السفر من ملء استمارات واستلام حقيبتها وغيرها من الإجراءات المعقدة أرجو أن يبحث المسؤولون تبسيطها.

وتستطرد المحررة فتقول: ورأى أمين الشرطة حيرتها ووحدتها. . فتقدم لها يساعدها في الإجراءات، وقبل أن تشكره همس في أذنها: متى أراك؟ ما رقم (تلفونك)؟ واندهشت الفتاة، وتركت له قلمها الذي استعاره منها، ولم تشكره، وسارت تبتعد عنه، فما كان منه إلا أن لحق بها وظل يضايقها ويلح عليها في اللقاء حتى خرجت إلى باب المطار وهي تحمل حقيبتها. ووسط هذه الحيرة. تقدم لها أحد الأشخاص هل تريدين تاكسي؟ فقالت له: نعم أرجوك، وحمل عنها حقيبتها، وسار أمامها، ولأن الساعة السادسة والنصف مساء فلم تلاحظ الفتاة أن السيارة خاصة وليست (تاكسي) ووضع الرجل الحقيبة على المقعد الخلفي، وتقدمت هي لتركب بجوار حقيبتها، ففتح لها الباب الأمامي لتركب بجواره. . فلما قالت له: شكراً سوف أركب بجوار الحقيبة قال لها: أنا لست سواق (تاكسي) أنا صاحب هذه السيارة الخاصة، وتنبهت الفتاة إلى أن السيارة ليست تاكسي، وإنما سيارة (سوداء) وقالت له والدموع تخنق صوتها: ألم تسألني إن كنت أريد (تاكس). . كيف تتصرف هذا التصرف المخجل؟ وجذبت حقيبتها وراحت تتعثر حتى وجدت تاكسي وركبته وهي تبكي.

وتعلق المحررة على هذه الواقعة ـ كما تعودنا من كتابنا ومفكرينا الأماجد ـ بتعليق سطحي ساذج فتقول: وأنا بدوري أقدم هذه الواقعة المخجلة للمسؤولين في المطار ورجال الأمن(١).

---

(١) الأخبار في ٣١/ أكتوبر/ سنة ١٩٧٦م.

إن المشكلة ـ هداني الله وإياك ـ في الإسلام ومنهجه في تربية الناس.. في هذا الدين المفترى عليه.. في هذا الدين الغريب في وطنه والمطارد من أهله.. ماذا يفعل المسؤولون ورجال الأمن في الضمائر الخربة، والذمم الميتة؟

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

ومن أظلم ممن يعطل شرع الله ويجتهد في عزله عن حركة الحياة؟ فحسبنا الله ونعم الوكيل[2].

* * *

---

(1) الروم: ٤١.

(2) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية.

المبحث الثامن عشر في

المصافحة ولمس البشرة

مس المرأة للرجل الأجنبي

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تمس شيئاً من الرجل حتى ما جاز لها رؤيته منه كالوجه والأطراف وغير ذلك، فلا يجوز لها وضع يدها في يده، ولا وضع يدها على وجهه، وكذلك لا يجوز له وضع يده في يدها ولا على وجهها[١] وهذا بخلاف المَحْرَم، فإنه كما يجوز فيه النظر إلى الوجه والأطراف وبعض الأعضاء مما ليس بعورة على رأي البعض، يجوز مس ذلك منها بغير لذة.

مصافحة النساء ولمس بشرتهن

ودرءاً للفتنة، وسدّاً لكل وسائلها. حرّم الشرع مباشرة المرأة ومصافحتها، فلا يحل للرجل مس أي جزء أو عضو من أعضاء المرأة الأجنبية عنه، كما لا يجوز لها هي ـ أيضاً ـ أن تمكنه من ذلك، أو تقصد لمسه ومباشرته، من غير عذر شرعي كالعلاج ونحوه، وذلك لأنّ مسّ أحد الجنسين للآخر أشدّ خطراً من النظرة وغيرها.

والذي يسود عصرنا هذا من مصافحة الرجل للمرأة والعكس، من بقايا الجاهلية التي عادت إلى الأمة، والإسلام كان شديداً في محاربتها والمنع منها، وقاية للأمة من خطوات الشيطان، ووسائل الفاحشة ومحركات الشهوة.

هدي الرسول ﷺ في المصافحة

والمرأة المسلمة الحقة هي التي تلتزم بشرع الله لا تصافح الرجال ولا تصافح منهم مَنْ كان من غير محارمها، متأسّية بذلك بقول الرسول ﷺ وفعله، فيما رواه الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله

---

(١) بدائع الصنائع ٥/ ١٢٢.

عنها، قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يُمْتَحَنَّ بقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ إلى آخر الآية. قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا من المؤمنات فقد أقرّ بالمحنة. وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهنَّ قال لهن رسول الله ﷺ: «اِنْطَلِقْنَ فَقَدْ بايَعْتكُنَّ»، ولا واللهِ ما مسّت يدُ رسولِ الله ﷺ يدَ امرأةٍ قَطُّ، غير أنه يُبايعُهنَّ بالكلام. قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قَطُّ إلاَّ بما أمره الله تعالى، وما مسَّت كَفُّ رسول الله ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن كلاماً».

وكان هدي الرسول ﷺ عدم مصافحة النساء، وهديه هو المثل الأعلى والقدوة لكل إنسان، في الأخلاق والفضائل والإستقامة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في حديث المبايعة:

«والله ما مست يدهُ يدَ امرأةٍ قط في المبايعة، ما بايعنه إلا بقوله: «قد بايعتكنَّ على ذلك»»[1].

وعنها قالت: (ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة ملكها)[2]. وعن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ في نسوة من الأنصار نبايعه، فقلنا: نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. قال: «فيما استطعتن وأطقتن». قالت: قلنا: الله ورسوله أرحم بنا، فهلم نبايعك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة»[3] فهذا هو هديه ﷺ،

---

(١) البخاري ١١/٢٦١.

(٢) أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أحمد ٦/٣٥٧ والترمذي ٢/٣٩٥ وقال: حسن صحيح.

أكرم به من هدي، فلنلتزم به، فإنه أبرأ لديننا وعرضنا، ولنحذر متابعة (الإفرنج) في عوائدهم، وتصرفاتهم، ولا نقلدهم تقليد العميان.

وقد ورد في مصافحة النساء ومباشرتهن ومسِّهن وعيد شديد:

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»(١).

فهذا الوعيد دالٌّ على أنه ﷺ لم يكن من شأنه مصافحة النساء، وليس من المستساغ أن يُحدِّث بمثل هذا الوعيد، ثم يخالفه ويصافح النساء.

قال الحافظ العراقي:

وزعْمُ أنه كان يصافحهن بحائل لم يصح. وإذا كان هو لم يفعل، مع عصمته وانتفاء الريبة عنه، فغيره بذلك أولىٰ.

وقوله في حديث معقل (بمخْيَط) آلة الخياطة كالإبرة ونحوها. فليتق الله المتفرنجون الذين بلوا بمصافحة النساء الأجنبيات، وليعلموا أنهم يأتون منكراً من الفعل لا يرضاه الله.

حجــج واهيــة في المصافحــة

يدعي بعض من يصافح النساء، بأن المرأة التي تمد يدها لتصافحك، إذا لم تمد يدك إليها تجرح شعورها وكبرياءها وتشعرها بخجل وتضعها في موقف لا تحسد عليه.

فمنعاً من إحراجها وخجلها فلا بأس من مصافحتها ويضربون بأحاديث رسول الله ﷺ عرض الحائط، هل مخالفة شرع الله أهون أم خجل تلك المرأة. قل نار جهنم أشد حراً.

وبعضهم إذا مدت له المرأة يدها يمسك يده عن مصافحته متذرعاً بقوله إنه على وضوء. وقد لا يكون متوضئاً فيقع في الكذب المحرم. لم

---

(١) الترغيب والترهيب رقم: ٣٧٩٩، وعزاه للطبراني والبيهقي. قال: رجال الطبراني رجال الصحيح.

لا تعلمها حكم الشرع في ذلك، لم لا تبين لها أن مصافحتها حرام قد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ.

إنك إذا بينت لهن حكم الشرع في ذلك ازددت إكباراً في أعينهن لأنهن يعتبرنك متمسكاً بشرع الله صاحب مبدأ وطريق مستقيم ثبتنا الله على التمسك بشرعه، والسيرة على هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام.

غيرة الإسلام على المرأة

فالمرأة تلك المخلوقة الناضرة التي تسبغ على الحياة جواً من السعادة والمتعة والبهجة والرحمة أماً أو أختاً أو زوجة أو ابنة.

هذه الجوهرة المكنونة. يغار عليها الإسلام من نظرة جائعة، أو لفظة جارحة، ويحيطها بسياج من الفضيلة فتبقى بمنأى عن الشبهات.

ليست كلأً لكل راتع، ولا متعة لكل ناظر، ولا نشوة لكل لامس. ومن هذا المنطلق حرم الإسلام على الرجل أن يلمس امرأة لا تحل له.

وهو بهذا لا يتهم المجتمع بأنه مكون من أناس يحملون نفوساً مريضة. ولكنه يهتم بالوقاية قبل العلاج، ويسد كل الطرق التي يمكن أن توصل في نهايتها إلى الفساد.

وهذا الخلق العالي يضرب فيه الرسول ﷺ المثل الأعلى، فعن أسماء بنت يزيد قالت: بايعت رسول الله ﷺ في نسوةٍ، فقال: (فيما استطعتن) فقلن: يا رسول الله بايعنا، فقال: «إني لا أصافحكن، إنما آخذ عليكن ما أخذ الله عز وجل»[1].

وفي حديث آخر عن أسماء قالت: (كان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء)[2] والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

---

(١) المطالب العالية لابن حجر. وقد مر الحديث بعدة روايات.

(٢) رواه أبو يعلى وفي البخاري أحاديث كثيرة بهذا المعنى.

وما يحصل من ازدحام بين الرجال والنساء في الباصات ووسائل المواصلات لأمر مخزٍ بعيد عن الأدب والأخلاق التي تطلب من المسلم العاقل.

يجلس الرجل بجانب المرأة وربما كانت كاشفة عن ساقيها، وبسبب الزحام فقد يلمس بشرتها بجسمه أو بيده، ويحصل ما لا تحمد عقباه، فيسرق منها حياءها. وقد يسرق منها فلوسها في هذه المعمعة الكبيرة. أعاذنا الله من الفساد وشره.

ما أجمل الإلتزام بأدب الإسلام

قال مدرسٌ: كنا عدداً من المدرسين والمدرسات نملأ القاعة المخصصة لتدقيق امتحان الأدب العربي، عندما دخل علينا الوزير ومعه بعض حاشيته، يتفقد أعمالنا، وحيَّانا، ثم أخذ يصافحنا واحداً فواحداً، ولما انتهى إلى المنضدتين الأخيرتين جعل يصافح من هناك مِن المدرسات، حتى صار إلى أخراهن، وكانت قد وقفت كغيرها، فبسط يده نحوها.. ولكن هذه رفعت راحتها إلى جانب رأسها ترد تحيته.. ولبثت كذلك.. حتى فطن الوزير لموقفه، فغادر الغرفة دون أن ينبس بكلمة شكر أو توجيه!. وكان ذلك على مشهد من أعين المصححين جميعاً، إذ كانوا يرقبون المشهد، ففي نفوسهم حب الإستطلاع لما سيكون عليه موقف الوزير من ردود الفعل!.

وعاد المدرسون إلى العمل في غمرة من الصمت، وعلى لسان كل منهم كلام يتهيب أن يقوله.. حتى تجرأ زميل بجانبي فأخذ يتمتم في همس لا يسمعه سواي: هذه فتاة تستطيع أن تقول: لم يَمْسَسْنِي بشر!

قلت: لعل المشهد لم يرقك!

قال: ولكنه يستحق إحترامي..

قلت له: غير أني على ثقة أن الفتاة لم تفكر باحترام أحد أو امتعاضه،

وإنما فعلت ذلك يقيناً منها بأنه الشيء الوحيد الذي تفعله امرأة تحترم تعاليم دينها في مثل هذا الموقف.

قال: أوفي الإسلام ما يمنع مصافحة المرأة!!

قلت: بالتأكيد إلا إذا كانت زوجة أو محرماً.

قال: هذا شيء كنت أجهله.

قلت: كما تجهل الكثير من الإسلام الذي تحمل هُوِيته.

وكانت هناك امرأة لم تكد ترى فعل زميلتها حتى تمالكها الإضطراب، وانتقعَ وجهُها المصبّغ، وبدت وهي مطرقة كأنها تشاجر وتشتم!

ولعلها كانت تعد ذلك التزمت من زميلتها ضرباً من العدوان الصارخ على طريقتها هي في الحياة.

والحق أن كل مفكر لا بد أن يرى في هذا المنظر نزاعاً بين فكرتين، بل بين حضارتين، إحداهما تحول المرأة إلى دُمية لا هم لها إلا العبث بوجهها وجسمها، تشدُّ من هنا وتطلقه من هناك، وتطليه من هنا بلون، وتصبغه هناك بلون.. ثم تجري متراقصة في حذاء لا أدري كيف تدربت على السير به، حتى إذا انتهت إلى مكان عملها راحت تمضي وقتها في (علك) لا ينتهي. تسمعه في كلامها، وفي مشيتها وفي حركاتها جميعاً.. كأنْ لا هم لها إلا أن تنصرف إليها أعين الرجال بأي ثمن! أما الثانية فلا تكلف المرأة إلا أن تظل إنساناً سوياً، تدرك في وعي عميق ضخامة المهمة التي تخيرها الله لها.. فتعرف أن قيمتها ليست في لحمها وعظمها، ولكن في روحها وأخلاقها. ولهذا تراها لا تختار لجسدها من الثياب إلا ما يساعدها على إعطاء هذه المعاني في جو الأنوثة المهيبة، الذي يفرض احترامه على كل شيء[١].

* * *

(١) تأملات في المرأة والمجتمع.

المبحث التاسع عشر في

الحمامات

حكم دخول المرأة الحمامات العامة

من أجل عناية الإسلام بحفظ العورات وسترها، حذر الرسول ﷺ من دخول المرأة الحمامات العامة، وتعرية جسدها أمام غيرها من النساء، اللائي يحلو لهنَّ أن يتخذن من الأوصاف البدنية لهذه وتلك حديث المجالس، ومضغة الأفواه.

كما حذر عليه السلام من دخول الرجل الحمام إلا بمئزر يستره عن أعين الآخرين. فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نهى عن دخول الحمامات ثم رخص للرجال أن يدخلوها بالمآزر»(٢).

واستثنى من ذلك المرأة يوصف لها دخول الحمام لعلاج لمرض ألمّ بها أو نفاس ونحوه. فعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال في شأن الحمامات: «فلا يدخلها الرجال إلا بمئزر، وامنعوها النساء، إلا مريضة أو نفساء»(٣).

وفي إسناد الحديث شيء من الضعف، ولكن قواعد الشرع في

---

(١) قال المنذري: رواه النسائي والترمذي وحسنه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أبو داود ولم يضعفه، واللفظ له، والترمذي وابن ماجه.

(٣) رواه ابن ماجه وأبو داود.

الترخيص للمريض والتيسير عليه في العبادات تقويه وتعضده. كما يشهد له الأصل المشهور: أن ما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة والمصلحة، ويؤيده أيضاً ما رواه الحاكم عن عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ قال: «اتقوا بيتاً يقال له الحمام قالوا: يا رسول الله! إنه يذهب الدرن وينفع المريض. قال: فمن دخل فليستتر»(١).

فإن دخلت المرأة الحمام بغير عذر ولغير حاجة فقد ارتكبت حراماً، واستحقت وعيد رسول الله ﷺ الذي رواه أبو المليح رضي الله عنه أن نساء من أهل حمص أو من أهل الشام دخلن على عائشة رضي الله عنها فقالت: أنتن اللاتي تدخلن نساءكم الحمامات؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها»(٢) وعن أم سلمة أنه ﷺ قال: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره»(٣).

وإذا كان هذا تشديد الإسلام في دخول النساء وهو بين جدران أربعة لا يدخله إلا النساء، فليت شعري ما الحكم في أولئك الخالعات الخليعات اللاتي يبدين عوراتهن للرجال الغادين والرائحين، ويعرضن أجسادهن على شواطىء البحار (البلاجات) للأعين الجائعة والغرائز الشرهة.

أما إنهن قد هتكن كل ستر بينهن وبين الرحمن، ورجالهن شركاء في الإثم لأنهم رعاة مسؤولون، لو كان يعلمون(٤).

قال ابن الجوزي: وقد أطلق جماعة من أصحابنا المنع للنساء من

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الترمذي واللفظ له، وقال حديث حسن وأبو داود وابن ماجه وقال صحيح على شرطهما.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم.

(٤) الحلال والحرام للقرضاوي ص١٥٣ ـ ١٥٥.

دخول الحمام، إلا من علة أو مرض، لا يصلحه إلا الحمام، أو لحاجة إلى الإغتسال لحيض، أو نفاس، أو لشدة برد، ويتعذر إسخان الماء في غيره، وما أشبه ذلك. وهذا يصعب على نساء هذا الزمان، لما قد ألفن وربين عليه، ولا يصعب على العرب، ومن لم يعرف الحمام. والصواب أن نقول: إنما جاء هذا التشديد لمعنيين. أحدهما: أنه دخول إلى بيت أجنبي، وفي ذلك مخاطرة. والثاني: أنه يتضمن كشف العورات، ولا يؤمن الاطلاع عليها. ومتى أتت المخاطرة، ورؤية العورات وكانت ثَمَّ حاجة، جاز من غير كراهية، وإن لم يكن ثم حاجة كره لها لما ذكرنا.

وإذا احتاجت المرأة إلى دخوله، وأمنت الخوف، فينبغي أن تدخل، ولا يحلّ لها أن ترى عورة امرأة، ولا أن ترى امرأةٌ عورتها.

وعورة المرأة في حق المرأة كعورة الرجل في حق الرجل، من السرة إلى الركبة. وعموم النساء الجاهلات لا يتحاشين كشف العورة أو بعضها والأم حاضرة، أو الأخت، أو البنت، ويقلن هؤلاء ذوات قرابة.

فلتعلم المرأة أنها إذا بلغت سبع سنين، لم يجز لأمها، ولا لأختها، ولا لبنتها أن تنظر إلى عورتها. وقد ذكر حدّ عورة المرأة مع المرأة.

ولا تباح خلوة النساء بالخصيان ولا بالمجبوبين، لأن العضو وإن تعطل أو عدم، فشهوة الرجال لا تزول من قلوبهم، فلا يؤمن التمتع بالقبلة وغيرها، وكذلك لا تباح خلوة الفحل بالرتقاء[١] من النساء لهذه العلة.

قال ابن عقيل: ووجدت لبعض المفرّعين من العلماء تفريعاً مليحاً، قال: وإذا كان الحيوان البهيم مما يشتهي النساء، أو تشتهيه النساء، فقد قيل: إن القرد إذا خلا بالمرأة أو رآها نائمة يطلب جماعها، وفي بعض النساء الشبقات[٢] من ربّما دعته إلى نفسها، فعلى هذا ينبغي أن تصان

---

(١) الرتقاء: المرأة التي لا يستطاع جماعها.

(٢) الشبقات: جمع شبقة مؤنث شبق من اشتدت عليه غلمته.

الدور التي فيها النساء عن إدخال مثل هذا الحيوان.

ما تراه الكافرة من المسلمة

وإن كانت الناظرة إلى المرأة ذمية فقد اختلفت الرواية عن أحمد فيما يجوز أن تراه الكافرة من المسلمة، فروي أنها كالرجل الأجنبي، ويروى أنها منها كالمسلمة،

وعن قيس بن الحارث قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة: أما بعد فإنه قد بلغني أن نساء من نساء المؤمنين يدخلن الحمامات مع نساء اليهود والنصارى فلينتهين أشدّ النهي، فإنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها.

أشار عمر رضي الله عنه بالعورة إلى ما ذكرنا، وأما الفرج فلا يجوز أن يراه أهل ملتها، ولا غيرهم، سوى الزوج.

فأما ذوات المحارم، فمباح أن ينظر ذوو قرابتهن المحرم منهن: إلى ما يظهر في العادة، كالوجه، والقدمين، وبعض الساق.

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: أنا أكره أن ينظر من أمته وأخته إلى ساقها وصدرها، وأما الحرة إذا ملكت عبداً، فإنه ليس بمحرم لها، ولا يجوز أن يرى منها ما يراه المحارم، ولا يخلو بها، ولا يسافر معها[١].

دخول المرأة الحمام لغير ضرورة

الحمّام تجتمع فيه الفاجرة والصالحة وقد تتخذه الفاجرات وسيلة للتمتع بأجساد النساء، ووصفهنّ لأزواجهن أو غيرهم، ولذلك جاءت نصوص الرسول ﷺ واضحة قاطعة في هذا الباب تمنع الفتنة، وتطارد الرغبات المتهتكة الآثمة.

---

(١) أحكام النساء لابن الجوزي.

فعن أبي المليح، قال:

دخل نسوة من أهل الشام على عائشة رضي الله عنها فقالت: فمن أنتن؟ قلن: من أهل الشام. قالت: لعلكن من الكورة التي تدخل نساؤها الحمام؟ قلن: نعم. قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَامِنْ امرأة تخلع ثيابَها في غير بيتها، إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى». وفي رواية: «إلا هتكت الستر بينها وبين الله تعالى»[1].

قال المباركفوري: إنها المرأة ـ مأمورة بالتستر والتحفظ من أن يراها أجنبي حتى لا ينبغي لهن أن يكشفن عورتهن في الخلوة، إلا عند أزواجهن، فإذا كشفت أعضائها في الحمام من غير ضرورة فقد هَتكت الستر الذي أمرها الله تعالى به.

قال الطيبي: وذلك لأن الله تعالى أنزل لباساً ليواري به سواءتهن وهو لباس التقوى، فإذا لم يتقين الله وكشفن سواءتهن، هتكن الستر بينهن وبين الله تعالى.

وعن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: خرجت من الحمام، فلقيني رسول الله ﷺ فقال: «من أين يا أمّ الدرداء؟» قلت: من الحمام. فقال:

«والذي نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحد أمهاتها، إلا هي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن»[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم

---

(١) أحمد ٦/ ١٧٣ الترمذي / ٤/ ٢١/ وحسنه، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وسنده صحيح وقد مر هذا الحديث.

(٢) أحمد ٦/ ٣٦١ ـ ٣٦٢ من طرق، وزاد الهيثمي: الطبراني في الكبير. قال: بأسانيد، ورجال أحمد رجال الصحيح.

الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر»[1].

فالحمام دخوله مباح للرجال فقط، بشرط التستر، وغض البصر من العورات أما النساء ممنوع إلا لعذر من نفاس أو مرض، وإنما منع النساء من الحمام لأن أمرهن مبني على المبالغة في التستر، ولما في وضع ثيابهن في غير بيوتهن من الهتك، ولما في خروجهن من الفتنة والشر.

قال المباركفوري: إنما لم يرخص للنساء في دخول الحمام، لأن جميع أعضائهن عورة، وكشفها غير جائز، إلا عند الضرورة، مثل أن تكون مريضة تدخل للدواء، أو تكون قد انقطع نفاسها تدخل للتنظيف، أو تكون جنباً والبرد شديد، ولم تقدر على تسخين الماء، وتخاف من استعمال الماء البارد ضرراً. اهـ

وأقول: إنما كان هذا قبل وجود الكهرباء والغازات التي يسهل بها تسخين الماء أو يكون الماء حاراً جاهزاً في غالب البيوت.

وإن كثيراً من البيوت مجهزة بحماماتها الخاصة التي يسهل فيها التغسيل وهذا في الحمامات الخاصة بالنساء، أما الحمامات والمسابح العمومية، والتي يرتادها الرجل والمرأة، فأمر لا يقول به مسلم، ولا يوافق عليه صاحبُ ضمير، وقد عمت بلواه وانتشر في سائر الأقطار الإسلامية، وصاروا يقيمون له المسابقات والجوائز والحوافز، وهذا خروج عن تعاليم الإسلام بل ومحاربة لها فاللهم أرنا الحق وألهمنا اتباعه، وأرنا الباطل وألهمنا اجتنابه.

عن عائشة رضي الله عنه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تنزع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين ربها»[2].

* * *

(١) أحمد ٣/ ٣٣٩ الترمذي ٤/ ٢٠ وحسنه، وصححه الحاكم على شرط مسلم.

(٢) رواه أبو داود وأحمد.

المبحث العشرون في

في الجنائز والقبور

اتباع الجنائز للنساء وزيارة القبور

دفعاً للفتنة بهنّ أرشدهن الشارع إلى التخلف عن اتباع الجنائز، ونهاهن عن تشييعها، لأنهن لسن من أهل تلك المواقف، ولا لهنّ الحق في حضور ذلك الموكب الرهيب، إذ خروجهن لتشييع الجنازة يعرض الرجال للإفتتان بهنّ في موقف أشد حاجة إلى الخشوع والتجرد عن شهوات الحياة والتفكر في الموت والبلى وأهل القبور.

فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: نُهينا أن نتبع الجنائز ولم يعزم علينا[1] وعن علي رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوة جلوس، فقال: «ما يجلسكن»؟ قلن: ننتظر الجنازة. قال: «هل تغسلن؟» قلن: لا. قال: «هل تحملن؟» قلن: لا. قال: «هل تدلين فيمن يدلِّي؟» قلن: لا. قال: «فارجعن مأزورات غير مأجورات»[2].

وكما نهاهن عن اتباع الجنائز، نهاهن أيضاً عن الإكثار من زيارة القبور وسجّل عليهن بسبب ذلك اللعنة والبعد عن منازل الأبرار ومواقع الرحمات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ زوّرات القبور[3] قال المناوي: لعن الله زائرات القبور. لأنهن مأمورات بالقرار في بيوتهن، فأي امرأة خالفت ذلك منهن، وكانت حيث يُخشى منها أو

---

(١) البخاري ٣/٣٨٧ مسلم ٢/٧ ولم يعزم علينا: أي نهاهن لكن ليس نهي منع وتحريم، بل نهي كراهة.

(٢) ابن ماجه رقم ١٥٧٨ وسنده ضعيف ومع هذا قال ابن الجوزي فيه: جيد الإسناد، أما السيوطي فصححه.

(٣) أحمد ٢/٣٣٧ الترمذي ٢/١٥٧ وحسنه وصححه.

عليها الفتنة فقد استحقت اللعنة، أي الإبعاد عن منازل الأبرار، ويحرم زيارتها أيضاً إن حملت على تجديد حزن ونَوْح، فإن لم يكن شيئاً مما ذكر فالزيارة لهن مكروهة تنزيهاً لا تحريماً عند الجمهور(١).

وقد ذهب جماعة من الأئمة إلى نسخ أحاديث النهي عن زيارة المرأة للقبور، بحديث بريدة ـ رواه مسلم مرفوعاً ـ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) وقالوا: إن النساء داخلات في هذا الحديث، كما دخل فيه الرجال، وذكروا أحاديث أخرى تدل على ذلك.

وقال آخرون: إن النسخ خاص بالرجال، وإن الرخصة وردت فيهم لا في النساء.

وعلى كل حال.. فزيارة المرأة للقبور ـ وإن قلنا بعدم نسخها ـ فقواعد الشرع تقتضي بمنعهن منها في هذه الأعصر، لما أحدثته النساء من التبرج والفجور. ثم إن قوله: (زوّرات) يدل على أن اللعنة لا تشمل كل زائرة، بل التي تكثر من الزيارة، لأن (زوّرات) من صيغ المبالغة التي تدل على الكثرة(٢).

النوح علـى الميت

النوح أمر زائد على البكاء. قال ابن العربي: (النوح ما كانت الجاهلية تفعل، كان النساء يقفن متقابلات يصحن، ويحثين التراب على رؤوسهن ويضربن وجوههن) اهـ نقله الأبي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»(٣).

---

(١) فيض القدير ٥/ ٢٧٤.

(٢) المرأة المتبرجة وأثرها السيء على الأمة لعبد الله التليدي.

(٣) رواه مسلم والبيهقي.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: (أخذ علينا رسول الله ﷺ مع البيعة ألا ننوح)[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب، ودعى بدعوى الجاهلية»[2].

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعاً فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برىء منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة»[3] ومعنى الصالقة: التي ترفع صوتها عند الفجيعة بالموت.

وعن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه: وأن لا نُخَمِّشَ وجهاً، ولا ندعو ويلاً، ولا نشق جيباً، وأن لا ننشر شعراً.

وحكى الأوزاعي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهم ضرباً حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، فقال: (اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي لشجوكم، إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم، وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم، وأحياءكم في دورهم، إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع، وقد نهى الله عنه»[4].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ على النساء حين بايعهن ألا ينحن، فقلن: يارسول الله إن نساءً أسعدننا في الجاهلية أفنسعدهن؟

---

(١) رواه الشيخان والبيهقي وغيرهما.

(٢) أخرجه الشيخان وغيرهما.

(٣) أخرجه الشيخان والنسائي والبيهقي.

(٤) الزواجر للهيثمي ١/ ١٦٠.

فقال رسول الله ﷺ: «لا إسعاد في الإسلام»[1].

والإسعاد: إعانة النساء بعضهن بعضاً في النياحة بموت الميت.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب، وفي أرض غربة، لأبكينه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تسعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال: «أتريدين أن تدخلي الشيطان ميتاً أخرجه الله منه؟ (مرتين) فكففت البكاء فلم أبك»[2] قولها: غريب في أرض غربة: معناه: أنه كان من أهل مكة ومات بالمدينة والمراد بالصعيد هنا: عوالي المدينة، وأصل الصعيد في اللغة وجه الأرض سواء كان عليه ترب أو لا[3].

عقوبة النائحة

عن أبي مالك الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها بعثت يوم القيامة وعليها سربال من قطران» أو قال: «درع من جرب»[4] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة»[5].

الترخيص في البكاء بغير نوح

إن الإسلام قد أباح للناس أن يشتفوا بالدمع، ويستريحوا إلى البكاء. فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حمل ابناً لابنته زينب قد حُضر، ونفسه تقعقع في صدره ففاضت عيناه، فقال له سعد بن عبادة رضي الله عنه ما هذا يا رسول الله وقد نهيت عن البكاء؟ قال: «إنما هذه

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) عودة الحجاب ص٨٥ ـ ٨٦ ـ ٨٧.

(٤) مسلم ٢/ ٦٤٤ ابن ماجه ١/ ٥٠٤.

(٥) أبو داود ٣/ ١٩٣ مجمع الزوائد ٣/ ١٤.

رحمة يضعها الله في قلوب من يشاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف وكان ظئراً[٢] لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله، وشمّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يارسول الله؟ فقال: (يا ابن عوف إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى، فقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله، وبكى حتى رأيت الدموع تسيل على وجنتيه[٤].

هدى الإسلام في الحداد على الميت

ولا ينافي الصبر أن تمتنع المرأة من الزينة كلها حداداً على وفاة ولدها أو غيره إذا لم تزد على ثلاثة أيام، إلا على زوجها فتحد أربعة أشهر وعشراً لغير الحامل،

عن حميد بن نافع قال: أخبرتني زينب بنت أبي سلمة قالت: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبو سفيان بن حرب (والدها)، فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت به جارية، ثم مست بعارضيها، ثم قالت: (والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي والإمام أحمد.

(٢) أي زوج مرضعة إبراهيم.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والبيهقي.

(٤) أخرجه الترمذي وصححه، والبيهقي وغيرها.

رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً». قالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فمّست منه، ثم قالت: (أما والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر» الحديث[١].

وإظهاراً لعدم التعرض للزواج، ومراعاة لحق الزوج في الوفاء له، أوجب الشرع على الحادة أن تجتنب ما يدعو إلى نكاحها، ويرغب في النظر إليها، ويحسّنها، وذلك أربعة أشياء:

١ ـ الطيب[٢]. ٢ ـ اجتناب الزينة في نفسها كالخضاب والتحمير والحف وما أشبهه مما يحسنها، كالإكتحال بالإثمد[٣] واجتناب زينة الثياب المصبغة للتحسين، وكذا اجتناب الحلي، فيحرم عليها لبس الحلي كله حتى الخاتم في قول عامة أهل العلم.

٣ ـ مما تتجنبه الحادة، النقاب وما في معناه: مثل البرقع ونحوه، وإذا احتاجت إلى ستر وجهها أسدلت عليه كما تفعل المحرمة.

٤ ـ المبيت في غير منزلها، فيجب على الحادة أن تحتد في المنزل الذي مات زوجها وهي ساكنه به، سواء كان مملوكاً لزوجها أو بإجازة أو عارية إلا لعذر[٤].

* * *

(١) رواه الستة.

(٢) إلا عند أدنى طهرها إذا طهرت من حيضتها بنبذة أو أظفار.

(٣) ولا تمنع من التنظيف بتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق الشعر المندوب إلى حلقه، ولا من الإغتسال بالسدر والإمتشاط به.

(٤) انظر المغني لابن قدامة / ٧ ـ ٥١٨ ـ ٥٢٢/ .

المبحث الحادي والعشرون في

الخروج من البيت

خروج المـرأة

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ. . . ﴾.

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾.

أي: لا تُلِنَّ القول عند مخاطبة الناس كما تفعله المريباتُ من النساء، ولا تُـرَقِّـقْنَ الكلام.

﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾.

أي: فجور وشهوة، أو شك وريبة، أو نفاق.

والمعنى: لا تقلن قولاً يجد المنافق والفاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن.

والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن.

﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

أي حسناً مع كونه خشناً بعيداً من الريبة على سنن الشرع لا ينكر منه سامعه شيئاً، ببيان من غير موضوع.

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾

أي الزمنها، قال محمد بن سيرين: نبئت أنه قيل لسودة زوج النبي ﷺ: لا تحجين، ولا تعتمرين كما تفعل أخواتك؟ قالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقر في بيتي فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت.

قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها.

آداب خـروج المـرأة

١ـ إذا خرجت المرأة لحاجة، فلا تمشي وسط الطريق وفي زحمة الرجال حتى لا يؤذيها أحد.

سمع أبو أسيد الأنصاري رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «استأخِرْن، فإنه ليس لكنّ أن تَحْقُقْنَ الطريق» أي اتركن حُقَّها ـ يعني وسطها ـ «عليكنَّ بحافّات الطريق» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به[١].

٢ـ وعليها أن تمشي متواضعة على أدب وحياء، لا تتخذ خلاخل ولا حذاء يضرب على الأرض بقوة، فيسمع الناس قرع حذائها، فيلتفتون وربما وقعت الفتنة. قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[٢] أي الخلاخل التي كانت تتخذها المرأة على ساقيها.

٣ ـ وإذا حادثت أجنبياً ـ غير مَحْرَم لها ـ تحادثه بصوت عادي، وتسعى جهدها أن يكون خالياً من الرقة والتكسر والإغراء.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[٣].

٤ ـ ولا ترفع النقاب عن وجهها في الطريق والأسواق ومجامع الرجال، إلا أن تضطرها إلى ذلك حاجة وعلى قدر تلك الحاجة.

جاءت أم خلّاد إلى النبي ﷺ ـ وهي منتقبة ـ تسأل عن ابنها وهو

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) النور: ٣١.
(٣) الأحزاب: ٣٢.

مقتول، فقال لها بعض أصحابه ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إنْ أُرْزَأَ ابني فلن أُرزأ حَيائي. فقال ﷺ: «ابنك له أجر شهيدين» قالت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: (لأنه قتله أهل الكتاب)[1].

٥ ـ وإذا ذهبت إلى دكان أو دائرة فلا تنفرد هناك برجل وقد أغلق الباب عليهما لأن ذلك خلوة. قال ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما)[2].

٦ـ ولا تصافح غير ذي محرم منها من الرجال «ما مسّ رسول الله ﷺ يد امرأة أجنبية قط إلا أن يأخذ عليها، فإذا أخذ عليها ـ أي العهد والبيعة ـ قال: اذهبي فقد بايعتك»[3] هذا ولا يفهم من تتمة الحديث أن النبي ﷺ كان يصافح النساء فقد كان يبايعهن بدون مصافحة، كما ثبت ذلك في البخاري وغيره.

٧ ـ وإذا دخلت على صديقة لها تزورها فلا تخفف عندها من ثيابها حتى تبدو مفاتنها، وما لا يُظهر للنساء عادة، فقد يكون في البيت رجل يسترق النظر، أو يكون في المجلس امرأة سوء فتصفها لمن قد يرغب فيها. قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل»[4] ودخلت نساء على أم سلمة رضي الله عنها فسألتهن من أنتن؟ قلن من حمص. قالت: من أصحاب الحمامات؟ قلن وبها بأس؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره»[5].

٨ ـ ولا تخرج من بلدها إلى مكان آخر يبعد أكثر من ثلاثين ك م إلا

---

(١) رواه أبو داود، وكان ذلك يوم بني قريظة.
(٢) رواه الترمذي والنسائي.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه أبو داود وابن حبان وهو حديث حسن.
(٥) رواه الحاكم في الأدب.

ومعها زوج أو محرم، ولا تخرج حتى لأداء نُسُك الحج دون زوج أو محرم،

٩ـ ولا تتشبه بالرجل في لباس ولا غيره مما هو خاص به، ولا تلبس لبس الفاسقات المستهترات فتغري الرجال بها من حيث تريد أو لا تريد.

شروط خروج المرأة من البيت:

١ ـ إذن وليها من أب أو زوج.

٢ ـ سلامة الخروج من الإختلاط والخلوة بالأجنبي.

٣ ـ تخرج على الزيّ الإسلامي من جلباب سابغ، وستر للوجه والكفين وأن لا يكون الجلباب مما يثير الإنتباه بل يكون أسود أو بُنياً غامقاً وما شابه ذلك.

محاذير الخروج للعمل

١ ـ إهمال الأطفال من العطف والرعاية.

٢ ـ المرأة التي تخرج للعمل لا بد أن تخالط الرجال عادة، وقد تخلو بهم وذلك أمر محرم، وأضرار ذلك على سمعتها وأخلاقها معلوم غير مجهول.

ويكفي أحدنا أن يدخل دائرة من الدوائر أو الدوام ليرى جلسات الموظفين والموظفات على غير ما يرضي الله تعالى، إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

فهل يوازي ما تخسره المرأة من سمعتها وربما شرفها ما تعود به آخر النهار من دريهمات.

٣ ـ إن المرأة التي تعمل خارج البيت تحتل في كثير من الحالات مكان الرجل ـ وقد يكون زوجها أو أخاها ـ وتدع في بيتها مكاناً خالياً لا يملؤه أحد.

قال جون سيمون: المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي عمل عامل

بسيط ولكنها لا تؤدي عمل امرأة! فما فائدة مزاحمتها للرجل في عمله وتركها عملها ليس له من يقوم به.

٤ - إن المرأة التي تعمل خارج البيت تفقد أنوثتها، ويفقد أطفالها الأنس والحب.

٥ - إذا خرجت المرأة من بيتها للعمل فتعتاد الخروج من البيت ولو لم يكن لها عمل كما هو ملاحظ، وبالتالي سيستمر انشطار الأسرة وانقطاع الألفة بين أفرادها.

٦ - المرأة مطبوعة على حب الزينة والتحلّي بالثياب وغيرها.

فإذا هي خرجت لتعمل خارج البيت فإنها ستنفق الكثير من المال الذي تأخذه على ثيابها وزينتها وتصفيف شعرها، ودول الآخرين تشكو من الملايين التي تذهب في تفاهات الزينة التي تتزين بها النساء.

٧ - إن المرأة كما يقول الآخرون والخبراء أقلّ عملاً وإنتاجاً من الرجل وأقل منه رغبة في الطموح، والوصول إلى الجديد. إن لها من العادة الشهرية وأعباء الحمل، والفكر في الأولاد وفي الأنوثة ومطالبها، ما يشغلها حقاً أن توازي الرجل في عمله، ويعوقها عن التقدم بالعمل. والنادر من النساء لا ينقض القاعدة[١].

أقوال حول عمل المرأة خارج البيت

قال الفيلسوف برتراندراسل: إن الأسرة انحلّت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الإختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبىٰ أن تظل وفية للرجل إذا تحررت اقتصادياً[٢] وقالت (أني رود) الإنكليزية: لأن تشتغل بناتنا خوادم أو كخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق

---

(١) المرأة المسلمة للغاوجي.

(٢) الحجاب للمودودي.

حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة.

نعم إنه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بمخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال لسلامة شرفها[1].

قال اللورد بيرون: لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة يقبلها العقل، ولعلمت أن الحالة الحاضرة ـ حالة المرأة ـ لم تكن غير بقية من همجية القرون الوسطى، حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة، ولرأيت معي وجوب اشتغال المرأة بالأعمال المنزلية، مع تحسين غذائها وملبسها فيه، وضرورة حجبها عن الإختلاط بالغير وتعليمها الدين[2] بل إن هتلر وموسوليني. أخذا يقدِّمان جوائز مغرية للنساء اللاتي يتركن أعمالهن خارج البيت ليعدن إلى بيوتهن يعملن فيها، فهل من مُدَّكر؟

وقال (أوغست كونت) يجب أن يغذي الرجل المرأة. هذا هو القانون الطبيعي لنوعنا الإنساني، وهو قانون يلائم الحياة الأصلية المنزلية للجنس المحب (النساء) وهذا الإجبار ـ إجبار الرجل على تغذية المرأة ـ يشبه ذلك الإجبار الذي يقضي على الطبقة العاملة من الناس بأن تُغَذِّيْ الطبقة المفكرة منهم لتستطيع هذه أن تتفرغ باستعداد تام لأداء وظيفتها الأصلية. غير أن واجبات الجنس العامل المادية نحو الجنس المحب هي أقدس من تلك، تبعاً لكون الوظيفة النَّسوية تقتضي الحياة المنزلية، ولكن بالنسبة

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للسباعي.
(٢) المرأة بين الفقه والقانون للسباعي.

للمفكرين فإنه هذا الإجبار يكون تضامنياً فقط، بخلافه بالنسبة إلى النساء فإن ذاتي[1].

تقول الكاتبة يمان السباعي:

ويل لأمةٍ تفخر بنسائها في كليات الهندسة، ورجالها على الأزقّة لا يجدون عملاً، ولا يفكّرون في قضية، ولا يحملون مسؤولية، ويلٌ لأمة أهانت رجالها لتثبت ذاتية نساءٍ ضائعات[2].

هذا قول امرأة منصفة تعرف قدر نفسها، تعرف حقها وحق غيرها، تسير على هدي الإسلام بغير تشنج أو جهل.

تعرف ما يكيد أعداء الإسلام للإسلام:

تقول الأخت سهاد عبد المجيد محمد لفتاة اليوم:

فعودي والبسي ثوباً طهوراً ... وشأن الدار أولى من سواها
وكوني في الحياة مَلاكَ سلمٍ ... تبلغك السعادة منتهاها

إنه ليس كالبيت يحفظ على المرأة كيانها وشخصيتها وكرامتها يخدمها زوجها وابنها وأخوها.

فإن كانت أماً. الابن مأمور ببرها.

وإن كانت زوجة فالزوج مأمور بالإنفاق عليها.

وإن كانت أختاً فالأخ مأمور بصلة رحمه بها.

فالإسلام احترمها في كل أمورها وفي شتى مناحي حياتها.

تحذير المرأة من الخروج

قال ابن الجوزي:

ينبغي للمرأة أن تحذر من الخروج مهما أمكنها، إن سلمت في نفسها

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الراقصون على جراحنا ص٥٩.

لم يسلم الناس منها. فإذا اضطرت إلى الخروج خرجت بإذن زوجها، في هيئة رثّة وجعلت طريقها في المواضع الخالية، دون الشوارع والأسواق، واحترزت من سماع صوتها، ومشت في جانب الطريق لا في وسطه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس للنساء وسط الطريق»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو أن رسول الله ﷺ رأى النساء اليوم لنهاهن عن الخروج أو حرم عليهن الخروج»(٢) وعنها رضي الله عنها قالت: لو رأى رسول الله ﷺ من النساء ما نرى لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان نساء الأكابر وغيرهن يحضرن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان العيد، فلما كان سعيد بن العاص سألني عن خروج النساء، فرأيت أن يمنع الشواب الخروج، فأمر مناديه ألا تخرج يوم العيد شابة فكان العجائز يخرجن(٤).

أعيدوا المرأة للبيت

جميل أن يكون الغرب الوثني قد بدأ يتنبه ـ ولو متأخراً ـ لهذا الخطر، فأخذت أصوات الإجتماعيين في أوربة وأمريكة تتصاعد هاتفة في حرارة ووجل: (أعيدوا المرأة إلى البيت).

ولكن المحزن أننا في هذا الشرق العربي بخاصة والإسلاميّ بعامة قد خسرنا شخصيتنا المميزة، فبات كل ما نستطيعه هو تقليد هذا الغرب الذي

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٥٣٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو داود وأبو عوانة في مسنده.

(٤) أحكام النساء ابن الجوزي باب في ذكر أنه إذا خيف من المرأة الفتنة نهيت من الخروج.

آمنا بتفوقه، وأقبلناتعدو وراءه دون وعي، فإذا نحن أسرع منه هبوطاً إلى أسفل، وإذا نحن نتلقى كل أخطائه الإجتماعية بالقبول والتطبيق، لا نشك في أنها خير ما أبدعه التقدم البشري!.. حتى إذا وجد من كبار رجال الغرب من يكشف فضائح هذه الأخطاء أغلقنا أسماعنا دون صوته!.. ولا عجب في ذلك، فالإنحدار أيسر من الصعود، وليس من السهل أن تكلّف الهاوي في السفح أن يتماسك فجأة عند نقطة الخطر..

وقديماً صور المعري ذلك خير تصوير حين قال:

سُبُـل الغـيّ سهلـة واسعـات　　　وطريق الهدى كسَم الخياطِ
مصعـد شـقّ لا تكلّفـه الضُّمَّـر　　　إلا مضـروبـة بـالسيـاطِ

ولهذا كان إصلاح الأمم المتخلفة موقوفاً بالدرجة الأولى على قادتها السياسيين، الذين بيدهم مقاليد التشريع[1].

طبيب يعلن النفير العام للأطباء لإنقاذ العاملات

نشرت مجلة (ده كستيل به كلايدونغ) Dextil Bekleidung الصادرة في مدينة Dusseldorf في عددها الصادر في شهر آب ١٩٦٢ المقال التالي، ترجمة السيد: ر. سعيد، أحد طلابنا في جامعات ألمانيا، وهو الذي أرسل إلينا هذه الترجمة:

قال البروفسور دكتور Kleine رئيس أطباء المستشفى الحكومي للنساء في مدينة Ludwiksbuven في مؤتمر الأطباء هناك:

إن ثلاثين في المئة من النساء في مجتمعنا لسن سعيدات في حياتهن، والسبب في ذلك هو المتطلبات الجسمية والروحية المتصاعدة، وعلى هذا فإنني أعلن النفير العام لعلم الطب. أن الواجب على الـ Bundestay

(١) تأملات في المرأة والمجتمع / ٩٥ ـ ٩٦/.

«المجلس البلدي» أن ينظر إلى هذه الفاجعة التي تحل بكثير من نسائنا العاملات بعين الجد والاعتبار، أن هذا الخطر يهدد كثيرين منا، لأن هذا معناه انهيار عظيم وخسارة مزدوجة لملايين من البشر.

أرجوك أن تساعدني يا دكتور، إنني لم أعد أتحمل هذا الألم المستمر أرجوك مساعدتي، إنني أنازع، هذا ما يردد ألف مرة يومياً في عيادة أطباء النساء، ولكن هؤلاء الرجال المرتدين بالكساء الأبيض يقفون مكتوفي الأيدي أمام متطلبات النساء الكثيرات اللاتي يملأن العيادة نحو الممشى، لأنه لا فقط يمكن مساعدة هؤلاء المساكين الذين يعانون عبئاً مزدوجاً لا بل مثلثاً، من وظيفة ـ أعمال البيت ـ ومتطلبات الحياة العائلية: هذا العبء الأبدي غير الاعتيادي ـ والضغط العصبي الناتج عن التحميل الجسمي والروحي.

إن معاينتنا ليست باستطاعة مساعدة تلك النساء، هذا ما يقوله لنا أحد أطباء النساء المعروفين في مونيخ: إن عيادتي هي البرهان الوحيد وهي الشاهد ضد الزمان، إن حالة النساء في خطر عام، خذ مثلاً المرأة التي أتت لي البارحة ـ إحدى العاملات النشيطات في معامل النسيج والخياطة الضخمة ـ انها لم تكن مريضة لحد الآن، والآن تأتي تحت عامل انهيار عصبي تام، ففجأة مثلاً بينما هي تخيط تدخل إبرة الماكنة في إصبعها، وفي حالة أخرى تنهار على الماكنة متهالكة في حالة إغماء، المسؤولون في المعمل يدعون هذه الحالة، حالة إصابة في العمل، ولكن الحقيقة هي غير ذلك: إن هذه المرأة لا تدري ماذا تعمل.

إن هذه الحادثة لا تدعو للاستغراب، لأن هذه المرأة منذ سنوات عديدة تستيقظ يومياً منذ الساعة الخامسة لتهيء أعمال البيت وتعد أطفالها إلى المدرسة، ومن ثم تذهب إلى المعمل لتجلس أمام ماكينتها ثمان ساعات ونصف، وساعة ونصف تحتاج للذهاب والإياب إلى المصنع، وإذا ما وصلت إلى البيت متهالكة يبدأ العبء الثالث لها، ألا وهو العمل

المنزلي الذي لم ولن ينجح معها بتاتاً.

السبب هو الاعصاب.

إن في الجمهورية الإتحادية الألمانية اليوم حوالي سبعة ملايين من النساء العاملات، وهذا أكثر من ثلث المجموع من عدد العمال. إن أكثر من ثلث النساء متزوجات، ومعظمهن عندهن طفل أو أكثر من الذين لا يزالون في سن الطفولة تحت سن السابعة، وهؤلاء الأطفال بحاجة خاصة إلى عناية الأم، إن هذا العبء المثلث على تلك النساء هو السبب الوحيد الذي يؤدي إلى تدهور حالتهن الصحية التي بدورها تؤدي إلى تدهور الطفولة، ومن ثم المجتمع العام.

إنه من المعروف أن البناء الجسمي والروحي لدى النساء يختلف اختلافاً كبيراً عن تركيب بنية الرجال القاسية المتينة.

إنه ليس داعياً للتعجب أن تعطينا الاحصاءات الطبية الصحيحة في المجتمع الألماني أن كل ثامن امرأة تعاني مرضاً في القلب وفي جهاز الدوران الدموي.

إن التقارير الطبية ترد هذا إلى التعب غير الطبيعي، إن نسبة وجع الرأس الدائم عند العاملات هو أكثر بسبع مرات من تلك اللاتي في البيت بدون عمل، والمرض الجنسي من موت الجنين أو الولادة قبل الأوان هو عند العاملات بشكل مرعب لا يمكن تصوره، إن العامل الرئيسي ليس هو كما يتخيل أنه الوقوف الدائم أو الجلوس المنحني أمام منضدة العمل أو الحمل الثقيل غير الاعتيادي، لا بل هناك العامل النفسي الذي هو الأساسي، ومن المعروف اليوم أن التشويه الجسمي عند النساء: تضخم الرجلين، أو تضخم البطن أو غير ذلك، يعود إلى الحالات النفسية التي تقاد من الدماغ ومركزها في النخاع الشوكي الذي قد يؤدي إلى الشلل أو العاهة الجسمية.

لماذا تعمل النساء؟

والآن يفتح الستار أمام السؤال: لماذا يعمل النساء ـ إذا كان المصير هو هذا المصير الفاجع ـ أليست الصحة فوق كل شيء؟؟

الجواب على ذلك: أن السبب ليس فقط الرفاهية في الحياة، سيارة، براد، تلفزيون إلخ.. لا بل إن الاحصاءات أعطت أن الطمع المادي والطمع في زيادة المال هو الذي يؤدي إلى هذه الحياة المرة، فكثير من نسائنا لسن بحاجة إلى العمل لأنهن يملكن جميع رفاهيات الحياة، ومع كل هذا يسرن يومياً كالدواب إلى العمل.

ومع كل هذا فالتحميل الجسمي والنفسي ليس هو الوحيد الذي يجعل امرأتنا (غير شهية) لأنهن كنساء يشعرن بعدم الرضاء الجنسي بل هو ذلك الشعور الذي يخامرهن ألا وهو التقدم في السن الذي يعزلهن عن الإناث الشابات اللاتي يزاحمنهن في حياتهن الإجتماعية واللاتي يرمينهنّ في زاوية المهملات، إنه أكبر مسبب للطلاق وتدهور الحياة الزوجية من أي مسبب آخر.

وعلى هذا فإن ملايين النساء يرين أنفسهن مقبوضاً عليهن في حلقة الشيطان، وبطاقتهن الخاصة لا يمكن لهن التخلص منها.

إن مساعدتهن واجب على كل من يستطيع، وإن رفع الراتب هو سياسة غير ناجحة في هذه الحالة، إنه صحة وسعادة الملايين من الأسر[1].

أسباب خروج المرأة الأوربية لتعمل خارج البيت

١ ـ إن الأب هناك لا تكلفه الدولة الإنفاق على ابنته إذا بلغت الثامنة عشرة من عمرها، لهذا فهو يجبرها على أن تجد لها عملاً إذا بلغت ذلك

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص٣٠٤ ـ ٣٠٧.

السن. وكثيراً ما يكلفها دفع أجرة الغرفة التي تسكنها في بيت أبيها فضلاً عن أجرة غسل الثياب وكيها.

٢ ـ إن الناس هناك يحيون لشهواتهم، فهم يريدون المرأة في كل مكان، فأخرجوها من بيتها لتكون معهم، ولهم. ألا ترى كيف يسخّرونَها لشهواتهم الدنيئة في الأفلام الداعرة، والصور العارية والإعلانات. حتى إعلانات صابون الحلاقة، ولمعان الأحذية، ودور البغاء.

٣ ـ إن البخل والأنانية شديد عندهم، فهم لا يقبلون أن ينفقوا في زعمهم على من لا يعمل إلا أعمالاً بسيطة، ولا يرون تربية الأولاد أمراً هاماً ومهمة شاقة، لأنهم لا يبالون بدين وتربية.

٤ ـ إن المرأة عندهم هي التي تهيء بيت الزوجية، فلا بد لها أن تعمل وتجمع المال حتى تقدمه مهراً لمن يريد الزواج بها. وكلما كان مالها أكثر كانت رغبة الرجال فيها أكثر.

ومع ذلك فما يزال هناك بعض من الآباء ينفقون على بناتهم إذا بلغن، ولا يرضون لهن بالعمل خارج البيت، ولا بمخالطة الرجال إلا في حدود ضيقة وقليل ما هم.

٥ ـ وهي اليوم تجد الحرية لخروجها من البيت، فتخادن من تشاء، وتصادق من تشاء، وتذهب حيث تشاء، وتنام حيث تشاء.

وقد استمرأت هذه الحياة الفاسدة، واستمرأ الرجال ذلك فيهن، ومعهن، فلن تعود المرأة هناك إلى بيتها وعفافها، إلا إذا عادت إلى الإسلام، فهو وحده الكفيل بإعادة الحياة الإنسانية إلى فطرتها، وتقويم كل اعوجاج وانحراف فيها. اهـ المرأة المسلمة للغاوجي.

وما دامت المرأة لم تدرك أهمية بيتها إسلامياً فإن الغزو قد ينجح في تشويه تصورها نحوه بأفكار دخيلة وبرّاقة وبالتالي فقد تتوهم أنها حبيسة بيتها الذي ينبغي أن تتحرر منه.

التصور الخاطىء لوجود المرأة بالبيت

ويترتب على هذا التصور المشوّه:

١ ـ انطلاقها من بيتها لحاجة ولغير حاجة، والتماسها ما يشغلها من المباح وغيره أو بدءاً من المباح إلى غيره.

٢ ـ عصيانها أباها أو زوجها اللذين لا يرضيان عادة بخروجها منفردة وبشبهة، أو خيانتها إذا خرجت خفية وسرّاً.

٣ ـ استجابتها لمغريات قوية خارج البيت لم تتحقق لها بداخله، وقد تكون الأضواء والأزياء والصالات صوراً من هذه المغريات.

٤ ـ الإختلاط نتيجة طبيعية للتصور المشوّه عن البيت وهو من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها.. والشوق إلى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية. هذه ليست أموراً شائنة[١].

وربما يفترض بعضهم أن المرأة المسلمة المثقفة يمكنها أن تحصّن نفسها بثقافتها فلا ضرر من خروجها إلى النوادي المختلطة والمؤسسات التربوية والإجتماعية، وتجلس إلى جانب الرجل وتتبادل معه أحاديث المجتمع وقضايا الثقافة ومشكلات الناس.

ولكن إذا انفرد بها بعد انتهاء المناقشة وانفضاض الجلسة، فماذا يكون؟ وأما المسلمة الجاهلة التي ليس لها مكان في أوساط ثقافية واجتماعية وفكرية فإن اعتيادها على الخروج وارتيادها صالات العرض النسائية وبحثها عن أحدث الموضات، مع جهلها وقصر نظرها، قد تعرِّض نفسها إلى أوخم العواقب وشر النتائج تكون وحدها الضحية على كل حال.

---

(١) أساليب الغزو الفكري.

ولنتصور عدداً ضخماً من النساء زوجات كن أو بنات صرفن معظم أوقاتهن في التسكّع واللقاءات السطحية، فماذا يبقى للحياة الأسرية من السكن النفسي وتهيئة أسباب المودة والرحمة للأزواج والآباء؟.

ثم ماذا يكون مصير الأجيال إذا عدمنا طرازاً إسلامياً متخرجاً أو متوقعاً تخرّجه من أعظم مؤسسة تربوية.

إن حجز المرأة في بيتها يشوه صورته في نفسها. ولا يوجبه الإسلام. وإن انطلاقها منه بسبب هذا التصوّر يسهّل لها الإقدام إلى ما يسيء إليها وإلى سمعتها. ويرفضه الإسلام. وإن خروجها منه لقضاء حاجة وحضور علم والقيام بعمل أو وظيفة وزيارة أهل وضع صحيح لا يمنع منه الإسلام، ولكن الغزو استطاع أن يقلب المفاهيم ويغير القيم وينجح كثيراً في تضليل المرأة وإخراجها من بيتها بغير الحق متباهية ومتغرِّبة[1].

الحنين إلى العهد الماضي

نشرت مجلة الأسبوع العربي اللبنانية في العدد ١٥٣ بتاريخ ١٤ أيار (مايس) المقال التالي بقلم «نازك باسيلان»:

كانت كلمة «حريم» تعني منذ الأزمان البعيدة الحرم المقدس أو المعبد المحرّم الدخول إليه، وقد أطلق هذا الاسم على القسم الخاص بالعائلة أي بالنساء والأطفال، والذي كان محرماً على الغرباء ولوجه، بينما سمح لهم بالدخول إلى باقي أقسام المنزل، ويرجع هذا التقليد إلى ما قبل ظهور الإسلام شأن الحجاب تماماً، إذ لم ينفرد به المسلمون بل انتشر في أكثر الأقطار الشرقية قبل ظهور الإسلام بزمان بعيد، وقد كان هذا التقليد ترفاً خاصاً بالأثرياء، إذ لم يكن في متناول يد أي رجل عادي أن يقيم في منزله حريماً خاصاً بالنساء، ومن جهة أخرى فقد كانت نساء الطبقة العاملة

---

(١) المرأة المسلمة نذير حمدان.

كثيرات التجوال والخروج في الطرقات سعياً وراء أعمالهن.

أما هندسة «الحريم» فكانت أنيقة تدعو إلى البهجة والمرح، إذ اتسعت للجنائن الغناء تلونها الأزهار الجميلة وتجري بين خمائلها المياه غزيرة منعشة. وقد كان عالم المرأة ذاك جميلاً نعمت فيه بأيام سعيدة قد نستغربها اليوم، ونحن نسعى إلى العمل مع الرجل وأحياناً كثيرة لاستباقه إلى ما كان ينفرد به من كد وإرهاق.

وكثيراً ما كانت النساء يستقبلن المنجمين والأطباء والتجار الذين كانوا يحملون اليهن الأقمشة الجميلة والجواهر الثمينة، فيسرعن عندئذ إلى ارتداء الحجاب كما لو كان عليهن أن يسرن في الطريق العام.

ولم يكن ليبرحن «الحريم» إلا لزيارة صديقاتهن أو لحضور بعض الحفلات العائلية أو الاحتفالات الدينية أو إذا أردن الذهاب إلى الحمام، فقد كان للنساء إذن عالمهن الخاص المقتصر عليهن فقط، إذ حرم عليهن تماماً الاختلاط بالرجال أو استقبالهم والتحدث إليهم، إلا أن ذلك على عكس ما يتبادر إلى الأذهان لم يكن ليجعل من عالمهن عالماً رتيباً متشابهاً مملاً، إذ كن يقضين أوقاتهن في أعياد دائمة، نزهات في الحدائق الضاحكة حيث كانت المياه ترقص من الفرح وتعكس صورة حوريات جميلات محصنات، وأمسيات معطرة على الشرفات المنفتحة للنسيم ولضوء القمر، واستقبال الصديقات بنشر الورود والرياحين عند وصولهن وحرق بخور وعطور نادرة، وكانت تهل على أعيادهن المغنيات والراقصات ترافقهن جوقة من الموسيقيين.

إلا أن المرأة لم تكتف دائماً بتلك الحياة على ما كان فيها من الراحة والطمأنينة، بل اقتحمت في الجيلين الحادي والثاني عشر حقل المهن الحرة فكانت محامية وشاعرة وطبيبة فيما كانت نساء الشعب ينصرفن لشؤون منازلهن وإلى بعض الأعمال التي كانت تزيد من دخل الأسرة الضئيل كحياكة الثياب أو الصياغة أو رتي الثياب القديمة.

الحمـــام:

أما الحمام فكان يقوم مقام صالون التجميل الحديثة إذ كانت النساء يقصدنه مرة كل خمسة عشر يوماً، فيقضين فيه سحابة نهارهن كي يتسنى لهن الاستفادة من عمليات التجميل المختلفة.

كانت تصله المرأة منذ الصباح يتبعها خادم من الخصيان يحمل لها في علبة من الخشب المنقوش المشط والمرآة ومختلف العطور، فتغتسل متمهلة تساعدها عاملتان من الحمام، ثم تتناول طعام الغداء وتبدأ بعد ذلك عملية «الحنة» التي كانت منتشرة بين جميع النساء، وكان يأخذ شعرها اللون الذي تريد، كانت كل سيدة تسلم نفسها لأيدي المدلكتين الماهرتين.

ويحين موعد الاعتناء بالوجه في ساعات النهار الأخيرة، فمن تدليك الوجنتين إلى تكحيل العينين بكحل اصفهان إلى ما هنالك من فنون تلك الأيام في تجميل المرأة وإبراز محاسنها.

وما إن تقترب الشمس من المغيب ويحين موعد عودتها للبيت حتى تنظر كل سيدة لنفسها في المرآة فترتاح لما تحلت به من حسن وأنوثة، وهكذا كان يتسنى للمرأة أن تعيش أنوثتها وأن تتحسسها كامرأة جميلة محصنة مكرمة.

رحم الله يوماً كانت المرأة فيه انسانة مرهفة مرفهة بعيدة عن ارتداء البنطلون وزئير الموسيقى المجنونة وهز الوسط في أماكن غلفها الظلام وضاقت بأنفاس المعربدين![١].

صلاة النساء في البيوت والترهيب من الخروج منها

عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي: (أنها جاءت إلى النبي ﷺ

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ٣٢٧ ـ ٣٢٩.

فقالت: يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك، قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي، قال: فأمرت، فبُني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل». رواه أحمد وابن حبان في صحيحيهما.

وبوب عليه ابن خزيمة فقال: باب اختيار صلاة المرأة في حجرتها على صلاتها في دارها، وصلاتها في مسجد قومها على صلاتها في مسجد النبي ﷺ، وإن كانت صلاة في مسجد النبي ﷺ تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد، وهو الدليل على أن قول النبي ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد» إنما أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء، هذا كلامه رحمه الله.

وعن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ، قال: «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفي إسناده ابن لهيعة، ورواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم من طريق دارج أبي السمح عن السائب مولى أم سلمة عنها، وقال ابن خزيمة: لا أعرف السائب مولى أم سلمة بعدالة ولا جرح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وعنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في حجرتها خير من صلاتها في دارها، وصلاتها في دارها خير من صلاتها خارجها» رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن» رواه أبو داود.

وعنه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: المرأة عورة، وإنها

إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها» رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها» رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه، وتردد في سماع قتادة هذا الخبر من مورق.

المخدع، بكسر الميم وإسكان المعجمة وفتح الدال: الخزانة التي تكون في البيت.

وعنه، عن النبي ﷺ قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما بلفظه، وزادا: «أقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها».

وعنه، قال: «ما صلت امرأة من صلاة أحب إلى الله من أشد مكان في بيتها ظلمة». رواه الطبراني في الكبير.

ورواه ابن خزيمة في صحيحه، من رواية إبراهيم الهجري عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن أحب صلاة المرأة إلى الله في أشد مكان في بيتها ظلمة».

وفي رواية عند الطبراني قال: «النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لم تمري بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدن؟ فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها». وإسناد هذا حسن. قوله فيستشرفها الشيطان: أي ينتصب ويرفع بصره إليها ويهمُّ بها؛ لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها.

وعن أبي عمرو الشيباني: أنه رأى عبد الله يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول: (أخرجن إلى بيوتكن فهو خير لكن) رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به[1].

* * *

(١) حسن الأسوة ص٥٠٩ ـ ٥١٠.

المبحث الثاني والعشرون في

التحرر

تحرير المرأة

مرت المرأة المسلمة المعاصرة بمراحل عديدة فيما يسمى (بتحرير المرأة) وهي فيما تمر فيه تأخذ بخطوات المرأة في الغرب.

ودعوتها إلى (التحرير) أو إلى (التحرر) تنطلق من مبدأين:

المبدأ الأول: إبراز الشخصية الإجتماعية للمرأة. وهذا المبدأ يتمثل في السفور والتعليم المشترك، والإختلاط، والعمل خارج المنزل.

والمبدأ الثاني: المساواة بالرجل في الوظيفة، والعمل، والأجر، وفي الحقوق السياسية، وفي الولاية العامة. وفي الأسرة والأحوال الشخصية.

السفور... الاختلاط... العمل:

فدعت إلى رفع الحجاب وإزالة ما يسمى بالنقاب. وكشفت عن وجهها وكفيها وسمت رفع النقاب سفوراً. واستمرت في طلب المزيد من السفور، فكشفت عن قدميها وساقيها، ثم عن ذراعيها، وعن صدرها إلى نهديها، ثم عن ركبتها وفخذيها، ثم أقبلت على ارتداء (الميني) خارج المنزل. و(البيكيني) على شواطىء الإستحمام و(الميني) و(البيكيني) كلاهما يجعل من المرأة ما يثير ابتذال الرجل لها، ويعلن عن ضياعها في لعبة الرجال. وربطت في الدعوة إلى السفور: الحجاب (بالحريم) تبغيضاً فيه. كما يربط الإلحاد العلمي: الدين (بالرجعية) تنفيراً منه.

والمرأة وقت أن أزالت النقاب عن وجهها، رفعت معه حياءها، ووقت أن أمعنت في السفور فكشفت عن فخذيها، وصدرها، وأبرزت ثدييها، دعت الرجل إلى امتهانها، وأغرته على اللهو واللعب بها.

التعليم المشترك

أما التعليم المشترك:

فأخذت الدعوة إليه أولاً في مدارس الحضانة . . ثم تخطته إلى التعليم الإبتدائي، فالإعدادي، ثم الثانوي، ثم انتقل إلى الجامعة بعد أن دخلتها طالبات التعليم الثانوي.

والصوت الذي كان يدعو إلى التعليم المشترك هو صوت المقلدين للغرب من الرجال باسم سلامة التربية، وحسن تفاهم الشبان والشابات. ولكنه كان يخفي وراءه الرغبة الدافعة في إحلال تقاليد وعادات، بدلاً من تلك التي تأصلت في المجتمعات الإسلامية، تجنباً للإثارة والفتنة، ومحافظة على المجتمع من تدهور القيم الأخلاقية في العلاقات بين الجنسين.

ورافقت الدعوة إلى التعليم المشترك: دعوة أخرى صنو لها. وهي دعوة الإختلاط في الإجتماعات العامة.

وفي الأندية ووسائل الموصلات . . وفي العمل.

وامتد الإختلاط الآن إلى المرافقة والمصاحبة في سن المراهقة: في الشارع والمتنزهات والحدائق، وفي الرحلات المدرسية أو الجامعية، التي تمضي فيها التلميذات والطالبات بعض الليالي خارج المنازل مع التلاميذ والطالبات. وتدرجت دعوة تحرير المرأة في العالم الإسلامي إلى دفع المرأة نحو العمل خارج المنزل.

ويلاحظ أن مجتمعات العالم الإسلامي لا تشكو النقص في الرجال أو في الشبان كما تكشو المجتمعات الغربية من هذا النقص بسبب ما فقدته هذه المجتمعات في الحربين العالميتين في سنة ١٩١٤ وفي سنة ١٩٣٩.

ومعنى ذلك إذا عملت المرأة في المجتمعات الغربية فإنها تعمل تحت

ضغط حاجة العمل إلى الأيدي العاملة من جانب، وتحت حاجة المرأة إلى الكفالة من جانب آخر.

أما عمل المرأة المسلمة خارج المنزل فهو لتقليد المرأة الغربية أولاً. وكما يقال: لدفع عجلة التقدم في المجتمع ثانياً.

وتصور الدعوة لعمل المرأة خارج المنزل بأنها قمة التقدم بغض النظر عن حصيلة الإنتاج لعمل المرأة، وبغض النظر كذلك عما تلاقيه من مشقة في العمل، وبغض النظر أخيراً عن مشاكل الإختلاط في العمل مع الرجال.

المساواة:

وبعد الإختلاط ومزاولة العمل في المكاتب الرسمية وفي إدارة الشركات وإنتاجها تطلعت المرأة المسلمة إلى المساواة مع الرجل. وهي مساواة في الوظيفة وأجر العمل ومساواة في الحقوق السياسية ومساواة في الولاية العامة.

ومن متطلبات المرأة المسلمة المعاصرة في المجتمعات الإسلامية: أن تسوى بالرجل في شؤون الأسرة، أو فيما يسمى بالأحوال الشخصية.

فتطلب أن تسوى في ولاية الزواج، وفي حق الطلاق، وفي الميراث، وأن يسقط حق الرجل في تعدد الزوجات، وأن يؤخذ بشهادتها على أنها مساوية لشهادة الرجل.

الحرية الشخصية للمرأة الغربية

١ ـ يباح للمرأة: أن تجهض نفسها، إذا لم تكن راغبة في الولد.
٢ ـ تبيح لنفسها، كما يبيح لها العرف القائم: التجربة قبل الزواج.
٣ ـ يباح للمرأة كزوجة، أو كصديقة أن تدخل مع زوجها أو مع صديقها فيما يسمى تبادل الزوجات والصديقات ويعرف هذا التبادل باسم (المعاشرة الجنسية بين المجموعة).

٤ ـ يباح لها أن تنجب ولداً عن طريق التلقيح الصناعي.
٥ ـ يباح لها أن تمارس البغاء في صور شتى.

هذا ما وصلت إليه حرية المرأة في المجتمعات الغربية، وهو نفسه ما ينتظر أن تصل إليه حركة (التحرير) للمرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية، إن لم تعد إلى فهم دينها، والأخذ بمبادئه في بناء الأسرة والمجتمع.

وإذا كان موقف الإسلام من الوضع القائم الآن للمرأة الغربية المعاصرة أنه:

١ ـ لا يبيح اجهاض الجنين.
٢ ـ ولا معاشرة التجربة، قبل عقد النكاح.
٣ ـ ولا تبادل الزوجات.. والرجال.
٤ ـ ولا التلقيح الصناعي.
٥ ـ ولا البغاء.
٦ ـ ولا تبرج النساء، فضلاً عن العري في النوادي.. والشواطىء.

فإن المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة يجب أن لا تشكو من شريعة الله في تحريمها لهذه المظاهرة التي يدفع إليها طغيان المادية، لأن شريعة الله تنشد للمرأة: مستوى إنسانياً كريماً يقوم على توفير الإعتبار البشري[(١)].

فتنــة تحرير المرأة

ويقول أنور الجندي:

لا ريب أنه كان من أخطر التحديات في وجه المرأة المسلمة تلك الدعوى التي استعلنت باسم تحرير المرأة في أوائل القرن الميلادي،

---

(١) الإسلام واتجاه المرأة المعاصرة للدكتور محمد البهي دار الإعتصام.

والتي حمل لواءها كثيرون غرر بهم وظنوا أنهم يستهدفون حقاً ضائعاً. بينما كانت حركة تحرير المرأة كلها من أولها لآخرها جزءاً من مخطط الإحتواء الغربي والغزو الثقافي والإجتماعي الذي يستهدف إخراج المراة من رسالتها وقيمها ودفعها إلى أمواج المحيط العاتية.

ذلك أن الإسلام في الحقيقة هو الذي وضع ركائز تحرير المرأة الأصيلة. أما هذه المحاولة: فقد استهدفت الأسرة والأخلاق والقيم والعرض الإسلامي بإحداث ثغرات وخلق عقلية جديدة تفكر في إطار المفهوم الغربي العاري من أساليب العفة والقيم والحصانة.

وقد تصاعدت هذه الموجة حتى خلفت مفاهيم خاطئة أشبه بالمسلمات أدارت رأس المرأة وأفسدت العلاقات الطبيعية والفطرية بين المرأة والرجل والزوج والزوجة والآباء والأبناء في عشرات المواضع، فغدت هذه الحياة الإجتماعية متحللة ومضطربة وبعيدة كل البعد عن المفهوم الإسلامي الأصيل.

والحقيقة: أن الجماعة لم يكونوا مخلصين لهذه الأمة أو صادقين في التماس هدف أصيل.

وقد كان لهذا الإنحراف الذي تم تحت أضواء الحضارة، وبريق الحرية، وصيحات التكريم الباطل للمرأة، أثره البعيد في تلك النتائج الخطيرة التي يواجهها المجتمع الإسلامي من آثار بعيدة المدى في شأن الزواج الزائف والطلاق والجريمة والإختلاط وآثاره الخطيرة.

وقد جرى هذا كله في الوقت الذي فرض فيه النفوذ الأجنبي على بلاد المسلمين قوانين جنائية واجتماعية تبيح الزنا والفساد وتحمي أساليبه وما تبع ذلك من فساد في الزي والزينة وتحلل كان من شأنه وقوع تلك الأحداث العاتية والجرائم الخطيرة.

إن محاولة تحرير المرأة كانت سبحاً ضد النهر، ومعارضة للفطرة. إنه

انحراف للمرأة عن أداء رسالتها ومعوق لعملها الطبيعي الذي يتفق مع طبيعتها وتكوينها، وهو خيانة كبرى: على الحياة الزوجية والبيت والأطفال والأسرة.

وقد تحرض المرأة للتمرّد على رسالتها ومسؤوليتها.

أوربيون عابـوا تحريـر المــرأة

عابت الكاتبة الأمريكية (مارجريت ماركوس) فهم دعاة تحرير المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية الخاطىء لمعنى التحرر، على أنه الإباحية المطلقة للنساء في الإختلاط بالرجال في الوظائف والأعمال والأسواق دون قيد ولا شرط في ارتدائهن الأزياء غير المحتشمة وفي انصرافهن عن مسؤولياتهن، في تربية الأولاد ورعاية الزوج اللتين هما أساس تكوين الأسرة السعيدة.

وقد سجلت كتابات عدد من النساء الأوربيات اللائي أسلمن:

(أستان، رانيس، أني بيزانت، ايفلين كوبلاد).

وكتبنَ عن الإسلام ومكانة المرأة المسلمة حيث تتمتع في ظل الإسلام بكرامة شخصية وحقوق إنسانية لم تتحقق للنساء في أوربا حتى الآن[١].

ومن هنا كانت المخططات التي رسمها الأعداء ترمي إلى شل المرأة المسلمة عن وظيفتها البناءة سلباً، ثم الزج بها إلى مواقع الفتنة وتدمير الأخلاق إيجاباً، تحت ستار خداع، ومن المصطلحات البراقة، كالتحرير، والتجديد، والتقدم.

وهذا أحد أقطاب المستعمرين يقول: (كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات).

---

(١) المرأة المسلمة في وجه التحديات أنور الجندي دار الإعتصام.

وقال أحد كبراء الماسونية: (يجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها فُزنا بالحرام، وتبدّد جيش المنتصرين للدين).

وجاء في (بروتوكولات حكماء صهيون): (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فيسهل سيطرتنا، إن (فرويد) منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه)[1].

لقد عز عليهم أن تجود المرأة المسلمة على أمتها كما جادت من قبل بالعلماء العاملين، والمجاهدين الصادقين، فصار همهم أن يُعقموها أن تلد مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي وعائشة بنت الصديق، وسميّة بنت خُبّاط وأسماء ذات النطاقين، والخنساء،

لقد ظلت المرأة المسلمة طيلة القرون الخالية مصونة متربعة على عرشها قارةً داخل (مصنع رهبان الليل وفرسان النهار). تهز المهد بيمينها، وتزلزل عروش الكفر بشمالها، فراح أعداؤها الموتورون يحيكون المؤامرة تلو المؤامرة، وينصبون لها الشباك، ويحتالون بشتى الحيل إلى أن تم لهم في زمن قياسي ـ ما أرادوا، ولم يرفعوا أيديهم عن أمتنا ويسحبوا جيوشهم من بلادنا. إلا وقد اطمأنوا أنهم خلفوا وراءهم جيشاً أميناً على قاربهم وحفيظاً لعهودهم. ممثلاً في قادة الفكر والأدب و(الفن) من المغررين المبددين الذين أطلق عليهم ـ زوراً ـ المحررين المجددين، فتراهم يستخفون تحت العمائم، وتارة يلبسون مسوح العلماء والناسكين، وتارة يسفرون عن وجوههم الحقيقية ليجهروا بالعداوة والبطش بالذين يأمرون بالقسط من الناس، وهم أنفسهم الذين ادّعوا يوماً أنهم حُماةُ الدين، ورافعوا لواء العلم ودعاة الإيمان.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله علوان ١٠/٢٨٦ ـ ٢٨٧.

أرى الإيمان دعوى يعجب الناس حُسنها
ويخـدعُهـم عنهـا الحـديـث الملفـقُ
أكـاذيـب يـزجيهـا الفتـى وهـو عـالـم
إذا مـا ادّعـاهـا أنـه ليـس يصـدّق[1]

* * *

(١) عودة الحجاب ـ محمد أحمد إسماعيل المقدم جـ٢ ص١٦ ـ ١٧.

المبحث الثالث والعشرون في

اللباس والزينة

بدعة اللباس والزينة الحديثة

لم تجد الدعوات الهدامة التي عملت على إخراج المرأة من مهمتها ورسالتها ميداناً أكثر أهمية وتأثيراً من ميدان اللباس والزينة فعارضت بوسائلها وأدواتها ومؤسساتها الخطيرة أسلوب ستر العورة والثياب الواسعة والغطاء.

فدعت إلى العري والكشف، وإبراز المفاتن معارضة في ذلك الغاية الحقيقة وهي الحماية والكرامة.

ولقد حملت دعوة العري فلسفة خبيثة تبرر بها هدفها، وتستهدف التحلل الكامل من ضوابط المجتمعات، وترمي إلى تقليد المرأة لملابس الرجل فتلبس مثله زيه، وتتساوى في تقليده وتسريحة شعره، فتقص شعرها إلى درجة أدنى منه، وتلبس القصير، وتكشف عن فخذيها، وتعري أجزاء من جسمها.

لقد بدأت هذه الدعوات في المجتمعات الغربية التي لم يكن لها من عقائدها مناهج حياة تنظم بها مجتمعاتها.

وقامت مؤسسات كبرى للأزياء تستهدف ضرب كل القيم الأخلاقية وتدفع المرأة دفعاً إلى العرى وإلى حرية الإعلان عن جسدها، وانتقلت هذه الرياح المسمومة إلى المجتمع الإسلامي دون أن تجد من يدفعها أو يكشف عن خطرها.

لقد دعا الإسلام إلى حسن اللبس والتجمل على أساس أن للباس مهمة أساسية هي ستر العورة، وحسن لقاء الناس.

وحض على الثوب الأبيض، والثواب الواسع، مع الإحتفاظ بالفصل

بين أزياء الرجال وأزياء النساء كراهية أن يختلط الجنسان، أو يتشبه الرجال بالنساء.

ودعا إلى الطهارة والتواضع فلا يجر المسلم ثوبه، ولا يرخي شعره ولا يمشي مشية التبختر، وأن لا تتشبه المرأة بالرجل في لباسها ومشيتها. إن ملابس المرأة هي مسؤولية الرجل، وإن ملابس الفتاة هي مسؤولية الآباء وعلى الآباء والأمهات حماية أبنائهم من أعاصير السموم العاصفة التي تجتاح المجتمعات الإسلامية.

ولكن: كيف لهذا الجيل من الآباء أن يقدم الهدى، كيف يقدم الهدى من ليس مهتدياً، ولا بد من رعاية الآباء لمن يلون أمرهم وحمايتهم بين ما يقرؤون ويسمعون ليفاضلوا بين الخير والشر والحلال والحرام.

لا بد من توجيه مستمر إزاء هذا الإعصار المدمر، من إغراءات الموادت والأزياء وتسريحات الشعر وأصناف العطور والشعور المستعارة والرموش والأظافر الصناعية، لتعلم أن لكل دين خلقاً، وأن خلق الإسلام الحياء، وأننا يجب أن نقف وقفة أمام الأغنية والكلمة الجارحة والمسميات الكاذبة المطروحة في المسرحيات والأفلام.

ونعلم أن هذا من الدعائم الأساسية لحماية الأسرة والجماعة كلها.

وقد أصبح التبرج أمراً هيناً في نظر الناس، وهو حد عظيم في مقاييس الدين وحدود الله وضوابط المجتمع.

إن أجزاء من الجسم حرم الله كشفها ليحفظ الشخصية، ويرفع الخلق.

وقد نطق رسول الله ﷺ بالعديد من الأحكام في سبيل منع تفشي الأزياء المترفة الباذخة بين ظهراني أتباعه.

واستنبط منها فقهاء الشريعة الإسلامية نظاماً يضع التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء.

يقول صاحب ملتقى الأبحر: إن الملابس تستعمل في ستر العورة،

وفي اتقاء غائلة الحر، وصولة البرد، ولا يحرم التزيين إذا كانت الغاية منه إظهار نعمة الله وآلائه التي منّ بها علينا.

ولكن يحرم إبداء الزينة إذا كان الباعث على إبدائها متعة الزهو والخيلاء والكبرياء، ومن ذلك كان ارتداء الحرير ولبس الذهب حلالاً على النساء حراماً على الرجال.

وقد كانت ملابس الرسول ﷺ غاية في البساطة والنظافة وقد دعا الإسلام إلى حسن البزة وحسن الهيئة وجعل لباس التقوى خيراً منها.

وعلى المرأة ألا تكشف عن زينتها ومفاتنها أمام الغرباء، إلا ما يظهر منها بطبيعة الحال، وكل ما عدا الوجه والكفين في المرأة عورة، إذا أمنت الفتنة، وشرط ألا تكون في حالة تثير الفتنة، كأن تكون بارزة الجمال، أو تظهر أمام فساق يغلب على الظن أن يتأملوها بشهوة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾(١).

وقد جعل الإسلام عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها.

وفرض الحجاب هو في ذاته حفاظ على عفة الشباب الذي يقع نظره عليها لا حفظاً على عفتها هي من العين التي قد تراها.

ولكل إنسان أن يتخذ الزيّ الذي لا يكون بمثابة اعتداء على حرمة الآخرين. ولما كانت مسؤولية كل مسلم هي المحافظة على أخلاق المجتمع كله، فقد وضع الإسلام ضوابط للزي:

---

(١) الأحزاب: ٥٩.

ضوابط الزيّ الإسلامي

١ ـ أن لا يكون كاشفاً للعورة أو جزء منها. وعورة المرأة الحرة: جميع بدنها.

وعلى ذلك: فإن أي لباس ينشكف معه شعر المرأة أو ساعدها أو ساقها يعتبر لباساً ممنوعاً محرماً لما فيه من دعوة ضمنية إلى الرذيلة والتحلل الخلقي الذي لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم.

ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع.

ولا يستطيع أي إنسان أن يمنع الآخرين من ولوجها.

وعلى جميع المسلمين أن يكفوا عن أي عمل يلحق الأذى بالآخرين.

٢ ـ وألا يكون اللباس شفافاً يشف ما تحته، والثوب الشفاف لا يعد ساتراً.

٣ ـ وألا يكون ضيقاً كالسروال الضيق الذي يشكل حجم الفخذ، والمعطف الضيق الأكمام الذي يشكل حجم الساعدين، أو يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة. لأن في هذا كله نوعاً من الإغراء والإيذاء.

٤ ـ وألا يكون اللباس نوعاً من الخيلاء، ولا زياً خاصاً لغير المسلمين.

مؤامرة الأزياء

ويريد الإسلام أن يكون لباس المسلمين شيئاً يميزهم عن غيرهم حتى لا تضيع شخصيتهم في شخصية غيرهم، ولا يلاقوا صعوبة في التعارف بينهم، وتبقى الحياة الإجتماعية مستحكمة قوية.

غير أن الإسلام ما حدد لهذا الغرض هيئة خاصة، وإنما جعل العرف العام هو القاضي في هذا الشأن.

ولقد ندد الإسلام بتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واعتبره انحرافاً عن الفطرة، ودليلاً على عقلية فاسدة، وأبى أن يجيزه الإسلام لأتباعه. أما تشبه أمة من الأمم بأمة غيرها، فهذا ينافي الفطرة والعقل، ولا يتولد إلا حين تصاب أمة بالضعف والهزيمة وداء الإنحطاط وفقدان الحياء.

وقد جاءت هذه الضوابط كلها لحماية الذاتية الإسلامية بدعائهما الخلقية حتى لا تنهار ولا تنصهر ولا تنقرض[١].

لا ريب أن هذا الإنحراف الذي أصاب المجتمع الإسلامي في مجال الزينة واللباس كان بعيد الأثر في إضعاف الأسرة، وإصابتها بالوهن، لأنه زلزل كثيراً من الضوابط التي تحمي وجودها وكيانها.

ولا ريب أن وراء مؤامرة الأزياء والزينة قوى كبرى تعمل على السيطرة الإقتصادية وهدم المجتمعات وتقليد الغانيات، هذه القوى التي تملك بيوت الأزياء، وتخترع كل يوم زياً جديداً تلبسه أجمل الفاتنات. من شأن هذه المؤامرة أن تفسد حياة الأسرة، وتزلزل ميزانية البيت. وقد فرضت نفوذها على موارد المجتمعات فكان لها خطرها الشديد.

وآية الخطر في هذا: أن الزينة واللباس انتقلت من المنفعة والضرورة إلى الزخرف والهوى.

وإن عملية الكشف والعرى قد حلت بديلاً من الستر والتغطية تحت تأثير رغبات الظهور وعبادة الجمال والأجساد.

وقد جرى كل هذا تحت تأثير فلسفة العرى التي أشاعتها التلمودية اليهودية لإغراء الفتيات والرجال على الكشف والعري والإباحة، ومن ثم كان إغفال الحشمة، وبروز الأزياء والأخلاق، وذلك وهم خطير فإن

---

(١) المرأة المسلمة في وجه التحديات ـ أنور الجندي.

للملابس علاقاتها بالشخصية والخلق وهي علاقة جذرية أساسية لا سبيل إلى إنكارها، فإن الملابس هي التي تعطي الشخصية طابعها، وملابس البيت في الإسلام غير ملابس الشارع، وملابس النساء غير ملابس الرجال، ولا بد من وضوح الفوارق بينهما.

وملابس الشجاعة تعطي الشجاعة، وملابس الخنوثة تعطي الرخاوة، وملابس الممثلين والجوكي تفقد الإنسان طابع الإيمان برجولته ووقاره.

ولقد كانت قصة (المودة) خدعة تكشفت لكل من حاول الإتصال بها.

حول ملكــات الجمــال

نشرت «حضارة الإسلام» في العدد الثالث من المجلد الثاني ص ٣٥١ تحت عنوان «ملكات الجمال» ما يلي:

كثرت ملكات الجمال في هذا الزمان، حتى أصبحن أكثر من الهم على القلب، أو أكثر من دود القطن في فصل الصيف. وأكثرهن يشبه دود القطن نعومة والتواء وقلة كساء وحياء، ونحن نعلم أن الأمراض والأوجاع تنتشر على أثر الحروب في شكل وبائي، ولدينا جدول مفصل لهذه الأمراض، ولا بد لنا أن نضيف إلى هذا الجدول، وإلى أصناف الحميات التي تتفشى بعد الحروب هذا الداء الجديد، وهو حمى ملكات الجمال، كان هذا المرض موجوداً قبل الحرب، ولكنه لم يكن يعدو حالات فردية نادرة، أما الآن فقد أضحى مرضاً وبائياً، مثله كمثل الحمى الإسبانية التي اجتاحت جميع القارات في أعقاب الحرب العالمية الأولى، أو الحمى الآسيوية التي اكتسحت القارات والمحيطات بعد الحرب العالمية الثانية بعشر سنين.

والاسم الذي أطلق على هذا المرض يوهمنا، لأول وهلة، أنه مما يصيب النساء دون الرجال، فيكون ـ في هذه الحالة ـ من اختصاص أطباء الأمراض النسائية. غير أن التشخيص الدقيق أثبت أن جرثومة المرض

متأصلة في الرجال أيضاً، وإن كانت أعراضه قلما تظهر إلا على النساء. لذلك يرى العلماء أن الرجل هو بمثابة الجرثومة وناقل المرض، وإن كانت الضحايا في «الأكثر الأغلب» من النساء.

ولم يكن بد ـ بعد أن كثرت ملكات الجمال هذه الكثرة الهائلة ـ أن تتعدد أنواعها وأشكالها، فأصبحت هنالك ملكات للقرى، والمدن والعواصم والأقطار والقارات، وملكات لبعض أعضاء الجسم، مثل ملكات الساق والأنف والأذن والحنجرة، وملكات لبعض السلع التجارية كملكة القمح أو الأرز أو البامية. ولا شك أن مجال التعدد والتنوع لا يزال واسعاً فسيحاً.

وبعد أيها القارىء الكريم! ما أظنك إلا مدركاً أن هذه المبتدعات الغربية ما هي إلا من قبيل تمجيد الجسد الزائل الحائل، في زمن لم يتعلم أهله بعد كيف يمجدون الروح، ولا بد أن يمضي وقت طويل، بل لا بد أن تبدل الأرض غير الأرض، والناس غير الناس، قبل أن نسمع بملكات للصدق والأمانة، والوفاء والإخلاص.

الدكتور محمد عوض محمد

رئيس المجلس التنفيذي لمنظمة اليونيسكو

* * *

المبحث الرابع والعشرون في

تغيير خلق الله

تغيير خلـق الله

يقول الإمام الطبري:

لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها، بزيادة أو نقص التماساً للحسن، لا للزوج ولا لغيره. كأن تكون مقرونة الحاجبين، فتزيل ما بينهما، توهم البلج أو عكسه. ومن تكون لها سن زائدة، فتقلعها، أو طويلة فتقطع منها، أو لحية أو شارب، أو عنفقة فتزيلها بالنتف.

ومن يكون شعرها قصيراً أو حقيراً، فتطوله، أو تغرزه بشعر غيرها.

فكل ذلك داخل في النهي وهو من تغيير خلق الله تعالى.

قال: ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذيه: (كمن لها سنّ طويلة أو زائدة تعيقها في الأكل، أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك والرجل في هذا الأخير كالمرأة)[1].

الباروكات

إن من الأمور المنكرة التي انتشرت وذاعت، وعمت وطمت بين الرجال والنساء على حد سواء، تلك الشعور المستعارة التي يسمونها (باروكات) يشترينها بأثمان باهظة، ويضعنها على رؤوسهن، فترى إحداهن ذات شعر أسود طويل مسترسل اليوم، ثم إذا بك تراها ذات شعر أشقر متجعد قصير غداً، وبعضهن يعمدْن إلى قص شعورهن الجميلة

(١) فتح الباري جـ١٠ ص٣٧٨.

الناعمة ليصنعها الحلاق (باروكات) فظة متصنعة، باهتة ليس فيها شيء من ذوق سليم، أو جمال مقبول.

وفي هذا من الغش والتزوير والخداع والتدليس، من الأمور المنافية للأخلاق ما هو واضح، ويكفيه سوءاً وخزياً، وبشاعة وجرماً أنه يوقع المسلم والمسلمة في غضب الله المنتقم الجبار سبحانه.

قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل)[2].

وقال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»[3].

الواصلة والمستوصلة

لقد شدد النبي ﷺ في محاربة هذا النوع من التدليس، حتى إنه لم يجز

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٣) رواه البخاري ٤٩٩/١٢ من فتح الباري. ومسلم ١٠٥/١٤ شرح النووي
والواصلة: من تصل شعر المرأة بشعر آخر.
والمستوصلة: من تطلب فعل ذلك في شعرها.
وهذا الحديث يدل على تحريم وصل الشعر مطلقاً ومن ذلك استعمال ما يسمى (الباروكة) أو (البوستيجة) بجميع أنواعها وأشكالها. وأفتى بعض العلماء بإباحته إذا كان بقصد تزين المرأة لزوجها وبرضائه، وبعض آخر أفتى بإباحته إذا كان الشعر اصطناعياً، وبعض ثالث أباحه إذا كان الموصول من شعر المرأة نفسها.
الوشم: هو أن يعمد الإنسان إلى تزيين أجزاء من جسمه كاليدين والوجه برسم وتصاوير بواسطة غرز إبر في الجلد، وذر مسحوق ملوّن فيه يشكل تلك الرسوم، التي لا يمكن إزالتها فيما بعد بحال.
والواشمة: من تفعل ذلك، والمستوشمة: من تطلب فعل ذلك فيها.

لمن تساقط شعرها نتيجة المرض أن يوصل به شعرٌ آخر، ولو كانت عروساً ستزف إلى زوجها.

روى البخاري عن أسماء قالت: سألت امرأة النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة، فامّرق شعرها، وإني زوجتها، أفأصل فيه؟ فقال: (لعن الله الواصلة والمستوصلة)(١).

وعن سعيد بن المسيب قال: قدم معاوية المدينة آخر قدمة قدمها، فخطبنا، فأخرج كبة من شعر. قال: ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود، إن النبي ﷺ سمّاه الزور يعني الواصلة في الشعر. وفي رواية أنه قال لأهل المدينة: أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذا نساؤهم»(٢).

وتسمية الرسول ﷺ هذا العمل (زوراً) يومىء إلى حكمة تحريمه، فهو ضرب من الغش والتزييف والتمويه، والإسلام يكره الغش، ويبرأ من الغاش في كل معاملة، مادية كانت أو معنوية (من غشنا فليس منا)(٣).

قال الخطابي: إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخلقة، وإلى ذلك الإشارة في حديث ابن مسعود بقوله (المغيرات خلق الله)(٤).

والذي دلت عليه الأحاديث: إنما هو وصل الشعر بالشعر، طبيعياً كان أو صناعياً، فهو الذي يحمل معنى التزوير والتدليس، فأما إذا وصلت شعرها بغير الشعر، من خرقة أو خيوط ونحوها، فلا يدخل في النهي.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الجماعة.

(٤) فتح الباري باب وصل الشعر.

وفي هذا جاء عن سعيد بن جبير قال: (لا بأس بالتوامل)[1] والمراد به هنا خيوط من حرير أو صوف تعمل ضفائر، تصل به المرأة شعرها، وبجوازها قال الإمام أحمد[2].

الوشم

ومما يحرم فعله وشم الأبدان ووشر الأسنان وقد لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة، والواشرة والمستوشرة)[3] أما الوشم ففيه تشويه للوجه واليدين بهذا اللون الأزرق والنقش القبيح وقد أفرط بعض العرب فيه ـ وبخاصة النساء ـ فَنَقشوا به معظم البدن. هذا إلى أن بعض أهل الملل كانوا يتخذون منه صوراً لمعبوداتهم وشعائرهم، كما نرى النصارى يرسمون به الصليب على أيديهم وصدورهم.

أضف إلى هذه المفاسد: ما فيه من ألم وعذاب بوخز الإبر في بدن الموشوم كل ذلك جلب اللعنة على من تعمل هذا الشيء (الواشمة) ومن تطلب ذلك لنفسها (المستوشمة).

الوشر

أما وشر الأسنان، أي تحديدها وتقصيرها، فقد لعن الرسول ﷺ المرأة التي تقوم بهذا العمل (الواشرة)، والمرأة التي تطلب أن يعمل بها ذلك (المستوشرة)، ولو فعل رجل ذلك لاستحق اللعنة من باب أولىٰ.

وكما حرم رسول الله ﷺ وشر الأسنان.

---

(١) قال في الفتح أخرجه أبو داود بسند صحيح.

(٢) فتح الباري.

الحلال والحرام للقرضاوي ص٨٨ ـ ٨٩.

(٣) رواه مسلم.

الفلج

حَرّم التفلج «ولعن المتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»[1].

والمتفلجة هي التي تصنع الفلج أو تطلبه.

والفلج: انفراج ما بين الأسنان، ومن النساء من يخلقها الله كذلك، ومنهن من ليست كذلك، فتلجأ إلى برد ما بين الأسنان المتلاصقة خلقة، لتصير متفلجة صناعة، وهو تدليس على الناس وغلو في التزين تأباه طبيعة الإسلام.

ترقيق الحواجب

ومن الغلو في الزينة التي حرمها الإسلام (النمصُ):

والمراد: إزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما، وقد لعن رسول الله ﷺ (النامصة والمتنمصة)[2] والنامصة: التي تفعله، والمتنمصة: التي تطلبه وتتأكد حرمة النمص إذا كان شعاراً للخليعات من النساء.

قال بعض علماء الحنابلة: ويجوز الحف. ويقال: حفت المرأة وجهها: أي زينته بإزالة شعره، والتحمير والنقش والتطرين إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة.

وشدد النووي فلم يجز الحف، واعتبره من النمص المحرم. ويرد عليه ما ذكره أبو داود في السنن: أن النامصة: هي التي تنقش الحاجب حتى ترقه. فلم يدخل فيه حف الوجه وإزالة ما فيه من شعر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

(٢) رواه ابو داود بإسناد حسن كما في الفتح.

وأخرج الطبري عن امرأة أبي إسحاق أنها دخلت على عائشة، وكانت شابة يعجبها الجمال، فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت: أميطي عنك الأذى ما استطعت[1].

جراحات التجميل

وبهذه الأحاديث الصحيحة نعرف الحكم الشرعي فيما يعرف اليوم باسم (جراحات التجميل) التي روجتها حضارة الجسد والشهوات ـ أعني الحضارة الغربية المادية المعاصرة ـ فترى المرأة تنفق المئات أو الآلاف، لكي تعدل شكل أنفها، أو ثدييها أو غير ذلك. وكذلك الرجل، فكل هذا يدخل فيمن لعن الله ورسوله، لما فيه من تعذيب للإنسان، وتغيير لخلقة الله، بغير ضرورة تلجىء لمثل هذا العمل إلا أن يكون الإسراف في العناية بالمظهر، والإهتمام بالصورة لا بالحقيقة، وبالجسد لا بالروح.

أما إذا كان في الإنسان عيب شاذ يلفت النظر كالزوائد التي تسبب له ألماً حسياً أو نفسانياً كلما حلّ بمجلس، أو نزل بمكان، فلا بأس أن نعالجه ما دام يبغي إزالة الجرح الذي يلقاه، وينغص عليه حياته، فإن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج[2].

ولعل مما يؤيد ذلك أن الحديث لعن (المتفلجات للحسن) فيفهم منه أن المذمومة من فعلت ذلك لا لغرض إلا لطلب الحسن والجمال الكاذب، فلو احتاجت إليه لإزالة ألم أو ضرر، لم يكن في ذلك بأس[3].

من مآسي جراحة التجميل

نشرت جريدة الأخبار القاهرية قصة فتاة أمريكية اسمها (كاثي ليوك)

---

(١) الحلال والحرام ص٨٧ نقلاً عن فتح الباري.
(٢) المرأة بين البيت والمجتمع. للأستاذ البهي الخولي ص١٠٥ ط ثانية.
(٣) الحلال والحرام للقرضاوي ص ٨٥ ـ ٧٦ ـ ٨٧.

فقالت: إن هذه الفتاة استبدلت وجهها بوجه آخر ياباني حتى تستطيع أن تتزوج من الشاب الياباني الذي أحبته. . وكانت قد تقابلت مع هذا الشاب في مدينة (يوكوهاما) حيث كانت ترافق والدها في رحلة عمل، وأحبته إلى حد العبادة، إلا أن أسرته كانت من الأسر اليابانية المحافظة، فرفضت أن تزوجه إلا من إحدى اليابانيات. . وإزاء ذلك: وحتى تستيطع أن تتزوجه، ذهبت إلى أحد جراحي التجميل، وطلبت منه أن يغير ملامح وجهها، حتى تبدو كاليابانيات، فقام الطبيب بتعريض أنفها وتغيير شكل حاجبيها حتى تصبح عيونها ضيقة، وبعد كل هذا رفضت الأسرة الزواج.

أما عن حبيبها، فلم يعجبه وجهها الجديد، وتركها وتزوج من فتاة يابانية وهكذا تلقت (كاثي) صفعة قوية في حبها، وتسعى الآن لجراحة تجميل أخرى لاستعادة وجهها الأمريكي.

ومن هذه القصة الطريفة المؤلمة ندرك مدى حرص التشريع الإسلامي على إنسانية الإنسان، حينما شدد ونهى عن مثل هذه الجراحات التي لا تدفع إليها الضرورة، وإنما كان الدافع إليها غريزة الإنسان[١].

وصل الشعر جاهلية قديمة

إن وصل الشعر بشعر آخر هي طريقة لتغيير خلق الله تعالى. وقد كانت هذه موضة جاهلية قديمة جداً، اتخذتها نساء اليهود قبل مجيء الإسلام، ولما كان التبرج بها يعتبر تغييراً لخلق الله، فإن ذلك أدّى لهلاكهم لبُعدهم عن التعاليم الصحيحة التي أنزلها الله تعالىٰ. . وتحريضهم للدين حسب أهوائهم، وعدم منع نسائهم من اتخاذها.

فعن حُميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حجَّ على المنبر ـ وتناول قُصَّةً من شعر كانت في يد حَرَسي ـ فقال: يا أهل المدينة،

(١) اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية د. محمد عبد العزيز عمرو مؤسسة الرسالة.

أين علماؤكم؟! سمعتُ النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: «إنما هلكتْ بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم»[1].

ثم ساد في القرون الوسطى عادة لبس (الباروكات) وهي الشعور المستعارة لدى رجال القضاء والمحاماة والمفكرين بصفة عامة، وذلك في أوربا وانقضت تلك الموضة السيئة حتى عادت من جديد في عصرنا الحاضر بصورة أشد انتشاراً بين الرجال والنساء، حتى إن الأمر تجاوز الحدَّ إلى انتشار الرموش والأظافر الصناعية.

وتظن المرأة التي تفعل ذلك أنها ازدادت جمالاً.. بينما هي في الحقيقة قامت بتشويه جمالها الطبيعي، وعبثت بخلْقتها السوية وخدعت نفسها والناس بذلك النفاق...

وهذا من تزيينِ إبليس لها بتغير خلق الله تعالى بشتى الوسائل، حيث يعلِّقُ أوامرَه للنِساء والرجال بتمنيهم بالجمال من حيث إنه يبعدهم عنه، ويضلهم عن الحق بتلك الأفعال القبيحة، وذلك انتقاماً من ذرية آدم عليه السلام، الذي طُرد إبليسُ الخبيث من الجنة بسببه، لتكبره وعصيانه بالسجود لآدم سجود تكريم ـ لاسجود عبادة ـ بالإنحناء، فتوعّد الخبيث ذرية آدم. . وصور الله تعالى ذلك بقوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[2].

ويمضي إبليس في خطته الإنتقامية هادفاً إلى صرف البشر عن طاعة الله عز وجل، ليحرمهم من الجنة كما حُرم هو منها، وقد وضّح الله تعالى لنا بنود تلك الخطة الإبليسية بقوله جل وعز من قائل:

---

(١) رياض الصالحين باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر. وقد مر هذا الحديث في بحث الواصلة والمستوصلة برواية البخاري.

(٢) الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾[1].

المغيرات خلق الله

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات[2] والمتفلجات للحسن[3]، المغيرات خلق الله، فجاءته امرأة، فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت ما تقول قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[4] قالت: بلى قال: فإنه نهى عنه[5].

وما هذه الأنماط الجديدة والبدع المنكرة، والتقاليع (الموضات) في الأزياء والثياب، والأحذية والشعور، والأشكال والعادات، والتقاليد والأخلاق، والتي تتغير بسرعة وباستمرار، ليجري الناس وراءها لاهثين، لا يكادون يدركونها حتى تتغير من جديد ... وهكذا، وتكلفهم من الجهد والوقت والمال الشيء الكثير.

---

(١) النساء: ١١٧ ـ ١٢١.

(٢) النمص: هو نتف الشعر وخاصة من الوجه والحاجب.

(٣) الفلج: هو التفريق بين الأسنان المتراكبة بواسطة المبرد، وكانت العرب تستحسن ذلك، وتفعله بقصد التجمل والحسن.

(٤) الحشر: ٧.

(٥) متفق عليه وقد مر هذا الحديث برواية أخرى.

وما فِرَقُ الهيبيين والخنافس والعراة والوجوديين وغيرهم مما يغزونا ويَرِدُ إلينا إلا جراثيم فتاكة تجتاحنا بكل قسوة ونحن غافلون.

عن أسماء رضي الله عنه: أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابنتي أصابتها الحصبة فتمزق شعرها، وإني زوّجتها، أفأصلُ فيه؟ فقال: «لعن الله الواصلة والموصولة»(١).

وعن آمنة بنت عبد الله: أنها شهدت عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يلعنُ القاشرة والمقشورة، والواشمة والمتوشمة، والواصلة والموصلة(٢).

ومعنى القاشرة: هي التي تقشر وجهها ليصفوَ لونُها.

ولتوضيح معنى القَشْر أذْكُر أنه حدثتني فتاة: أن هناك امرأة لديها دواء سائل تمسح به وجه من تريد إزالةَ الكَلَف أو النمش فتسلخ الطبقة الخارجة من الجلد، ثم تحتجب المرأة مدة معينة يمكن أن تمتد إلى أسابيع في غرفة مظلمة إلى أن تتكون طبقة جديدة من الجلد خالية من النمش والكلف وغير ذلك من عيوب البشرة، فيتضح من ذلك أن القشر يُشبه سَلْخ الجلد ليُستبدَلَ بغيره، وفي ذلك تعذيب للإنسان، لأن الجلد المكشوف يسبب الإحساس بالألم، كما فيه تكلف وتغيير لخلق الله، وتضطر من يُفعل بها ذلك إلى ترك الطهارة والصلاة إذ أن وجهها المسلوخ يمنعها من استعمال الماء والسجود لله، وهذا كله محرم(٣).

* * *

---

(١) متفق عليه وقد مر هذا الحديث برواية أخرة.

(٢) رياض الصالحين أخرجه أحمد ومعناه في الصحيحين.

(٣) كتاب الموضة في التصور الإسلامي لمؤلفته الزهراء فاطمة بنت عبد الله.

المبحث الخامس والعشرون في

التشبه

تشبه النساء بالرجال

يعد من التبرج، لأنه يقلل الحياء، ويكون سبباً للإختلاط، لذلك نهى عنه رسولنا ﷺ ولعن من تشبه من النساء بالرجال والعكس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل[1] وفي رواية ثانية: (لعن رسول الله ﷺ الرجلة من النساء)[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء[3]. وفي حديث آخر: لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال: أخرجوهم من بيوتكم[4].

إن شر ما تصاب به الحياة، وتبتلى به الجماعة هو الخروج على الفطرة، والفسوق على أمر الطبيعة، والطبيعة فيها رجل وفيها امرأة، ولكل منهما خصائصه، فإذا تخنث الرجل، واسترجلت المرأة، فذلك هو الإضطراب والإنحلال. وقد عد النبي ﷺ ممن لعنوا في الدنيا والآخرة، وأمنت الملائكة على لعنتهم، رجلاً جعله الله ذكراً فأنث نفسه وتشبه بالنساء، وامرأة جعلها الله أنثى، فتذكرت، وتشبهت بالرجال[5].

---

(١) سنن أبي داود ٤/٥٥٣ واللفظ له وابن ماجه ١/٦١٤ بلفظ قريب من هذا المستدرك ٤/١٩٤.

(٢) سنن أبي داود ٤/٣٠٠.

(٣) مسند أحمد ٥/٥٦، ١٤/٢٤٣ أبو داود ٤/٣٥٤.

(٤) البخاري ٧/٢٩١ الترمذي ٥/١٠٦.

(٥) رواه الطبراني وفي رواية قلت له: وما المترجلات من النساء؟ قال: (المتشبهات =

وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند بني المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً، فقال عبد الله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فالتفت إلى ابن عمر فقال: «إن الله عز وجل لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات بالرجال من النساء والمتشبهين من الرجال بالنساء»[1].

نهي المرأة عن حلق الرأس

عن علي قال: (نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها) أخرجه النسائي. قال صديق حسن خان، وفيه التشبه بالرجل[2] أي نهيت المرأة عن حلق رأسها لما في ذلك من التشبه بالرجال.

تحريم تشبه الرجال بالنساء
وتشبه النساء بالرجال

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء» وفي رواية: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال» رواه البخاري.

الحديث رواه البخاري في اللباس (باب المتشبهين بالنساء) والحدود (باب نفى أهل المعاصي والمخنثين).

لغة الحديث: المخنثين: جمع مخنث، اسم مفعول من الخنث وهو اللين والتكسر والانثناء، والمراد من يشابه النساء في أمورهن الخاصة

= من النساء بالرجال) البخاري ٤/ ١٨١.

(١) ابن ماجه ١/ ٦١٤ الترمذي ٨/ ٢٤.

(٢) حسن الأسوة ٣٣٥.

بهن. المترجلات: أي النساء اللواتي يشابهن الرجال في أمورهم الخاصة بهم.

أفاد الحديث: أنه يحرم على الرجال أن يتشبهوا بالنساء في الحركات ولين الكلام والزينة واللباس وغير ذلك من الأمور الخاصة بهن عادة أو طبعاً، ويحرم على النساء أيضاً أن يتشبهن بالرجال في مثل ذلك.

قال العلماء: اللعن في الحديث يدل على أن التشبه من الكبائر، والحكمة من التحريم أن المتشبه والمتشبهة كل منهما يخرج نفسه عن الفطرة التي وضعها أحكم الحكماء رب العالمين سبحانه.

وما نراه اليوم من إطالة شعور الرجال ولبس الضيق من الألبسة، وتقليد النساء في زينتهن وأحذيتهن وكلامهن، وما يجرى في النساء من تقصير شعورهن وتقليد الرجال في ألبستهم تخنث وتشبه ينذر بالخطر ويهدد كيان الأمة، لأنه خروج عن سنن الفطرة، وتعطيل للجنسين عن الواجبات المؤهلة لهما، وما هو إلا التقليد الأعمى الذي ضر بأمتنا وشبابنا وفتياتنا. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الحديث رواه أبو داود في اللباس (باب لباس النساء).

لغة الحديث: لبسة المرأة ولبسة الرجل: أي اللباس الخاص بكل منهما.

أفاد الحديث: يحرم على الرجل أن يلبس ما هو خاص بالنساء، من اللباس كما يحرم على المرأة أن تلبس من اللباس ما هو خاص بالرجال. محاكاة الرجل المرأة في لباسها، ومحاكاة المرأة الرجل في لباسه، انحراف عن سنن الفطرة وإهدار لكرامة الجنسين، وإمعة جرياً وراء

التقاليد، وعدم تحكيم الفطرة، فضلاً عن الخروج على هدى الإسلام وسنة النبي ﷺ.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم.

معنى «كاسيات»: أي من نعمة الله «عاريات» من شكرها
وقيل: معناه: تستر بعض بدنها، وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه.
وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها.
ومعنى «مائلات»: قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه،
«مميلات»: أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم.
وقيل: «مائلات» يمشين متبخترات، «مميلات» لأكتافهن.
وقيل: مائلات يمتشطن المشطة الميلاء. وهي مشطة البغايا، «ومميلات» يمشطن غيرهن تلك المشطة.
«رؤوسهن كأسنمة البخت»: أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

الحديث رواه مسلم في اللباس والزينة (باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات).

لغة الحديث: من أهل النار: أي ممن يعذبون في النار، يمكثون فيها أمداً طويلاً أو يخلدون. لم أرهما: أي لم يوجدا في عهده ﷺ.

سياط: جمع سوط وهو ما يضرب به من عصا ونحوها.

كأذناب البقر: تشبه أذناب البقر. يضربون بها الناس: أي ظلماً وعدواناً لا حداً ولا قصاصاً.

كاسيات عاريات: أن يلبسن الضيق من الثياب الذي يصف حجم العورة، ومثله الصفيق اللين الذي يحجم العورة أثناء السير أو عند هبوب

الريح، أو المزركش البراق الذي يلفت النظر ويجلب الانتباه ويجعل المارقين من الرجال يتخيلون المرأة مجردة من كل ساتر. مائلات مميلات: بالإضافة إلى ما ذكر: مائلات إلى الرجال ومميلات لهم إليهن مما يبدينه من زينتهن ومفاتنهن.

كأسنمة البخت: يضاف إلى ما ذكر: حشو الشعر ووصله بغيره ليظهر كثيراً، أو وضع الشعر المستعار.

والبخت: نوع من الإبل طويلة الأعناق.

لا يدخلن الجنة: أي مع الفائزين إن اعتقدت حرمة ذلك. ومطلقاً إن اعتقدت حله. لا يجدن ريحها: لا يشممن ريحها وهو كناية عن المبالغة في البعد.

كذا وكذا: كناية عن مسافة معينة.

* * *

المبحث السادس والعشرون في

التصوير

الصور واقتناؤهـا

إن لموضوع الصورة أثراً في الحكم بالحرمة أو غيرها، ولا يخالف مسلم في تحريم الصورة إذا كان موضوعها مخالفاً لعقائد الإسلام، أو شرائعه، أو آدابه.

فتصوير النساء عاريات، أو شبه عاريات، وإبراز مواضع الأنوثة والفتنة منهن، ورسمهن، أو تصويرهن، في أوضاع مثيرة للشهوات، موقظة للغرائز الدنيا، كما نرى ذلك واضحاً في بعض المجلات والصحف، ودور (السينما)، كل ذلك مما لا شك في حرمته وحرمة تصويره، وحرمة نشره على الناس، وحرمة اقتنائه، واتخاذه في البيوت أو المكاتب والمحلات، وتعليقه على الجدران، وحرمة القصد إلى رؤيته ومشاهدته.

ومثل هذا صور الكفّار والظلمة والفساق، الذين يجب على المسلم أن يعاديهم لله ويبغضهم في الله،

فلا يحل لمسلم أن يصور أو يقتني صورة لزعيم ملحد ينكر وجود الله، أو وثني يشرك مع الله البقر أو النار أو غيرها، أو يهودي أو نصراني يجحد نبوة محمد ﷺ، أو مدعٍ للإسلام وهو يحكم بغير ما أنزل الله، أو يشيع الفاحشة والفساد في المجتمع، كالممثلين والمطربين والمطربات. ومثلُ هَذا: الصور التي تُعبر عن الوثنية أو شعائر بعض الأديان التي لا يرضاها الإسلام كالأصنام والصلبان وما شابهها.

ولعل كثيراً من البُسط والستور والنمارق التي كانت في عصر النبي ﷺ كانت مشتملة على هذا النوع من التصاوير والتهاويل.

وقد روى البخاري أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب

إلا نقضه. والتصاليب: صور الصليب[1].

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ في عام الفتح لما رأى الصور في البيت الحرام لم يدخل حتى أمر فمحيت[2] ولا شك أنها كانت صوراً تعبر عن وثنية مشركي مكة، وضلالهم القديم.

وعن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ في جنازة فقال: أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره، ولا قبراً إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله! قال: فهاب أهل المدينة.. وانطلق الرجل ثم رجع فقال: يا رسول الله! لم أدعْ بها وثناً إلا كسرته، ولا قبراً إلاّ سوّيته ولا صورة إلا لطختها. ثم قال رسول الله ﷺ: «من عاد إلى شيء من هذا فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ»[3].

فماذا عسى أن تكون هذه الصورة التي أمر الرسول ﷺ بتلطيخها وطمسها إلا أن تكون مظهراً من مظاهر الوثنية الجاهلية، التي حرص الرسول ﷺ على تنظيف المدينة من آثارها. ولهذا جعل العودة إلى شيء منها كفراً بما أنزل الله!![4]

تصويـر المرأة للدعايـة

ومن الأمور المنكرة:

إظهار صور المرأة بأشكال عارية مخجلة يندى منها جبين الفضيلة والأخلاق، ويشمئز منها العقل والقلب في لوحات الدعاية ومشاهد الإعلان عن مختلف البضائع والأشياء في الصحف والمجلات، والسينما

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) رواه أحمد قال المنذري: إسناده جيد.

(٤) الحلال والحرام للقرضاوي.

والتلفاز، ويستغرب الإنسان العاقل من هذا الدرك المنحط، إذ صارت صورة المرأة العارية عمدة للدعاية، حتى للأشياء التي لا صلة لها بالمرأة وليس لذلك من تفسير إلا قصد إثارة الغرائز، واستغلالها والمتاجرة بها في سوق النخاسة الجديد.

وقد يظن البعض أن هذا إكرام من الرجل للمرأة، وتقدير منه لمكانتها، وهو في الحقيقة احتقار وامتهان.

والإسلام ينظر للمرأة على أنها مخلوق إلهي مكرم، يأمر الرجل ببرها وخدمتها والتقرب إلى الله تعالى بطاعتها، وخفض الجناح لها، ويجعل الجنة تحت قدميها أمًّا، ويوحي بالعطف عليها والإحسان إليها، ويرى فيها الشريكة المخلصة الصابرة والروح اللطيفة المؤنسة، التي يحبها وتحبه ويسعى بسعادتها وتسعى لسعادته، ويحققان ما أرشد إليه ربنا تبارك وتعالى في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] زوجة، ويطلب من الرجل إكرامها والحنو عليها، وعدم الإبتئاس والتواري عن القوم إذا بُشِّر بها، ويأمره أن يتعهدها بالتربية والتوجيه، ويَعد من يعول منهن اثنتين فصاعداً أن يكون مع رسول الله ﷺ في الجنة كهاتين، بنتاً.

* * *

(١) الروم: ٢١.

المبحث السابع والعشرون في

الزواج

المتزوجات يحرم عليهن الزواج

المرأة المتزوجة ما دامت في عصمة زوجها لا يحل لها الزواج بآخر. ولكي تحل لزوج آخر لا بد من شرطين:

١ ـ أن تزول يد الزوج عنها بموت أو طلاق.

٢ ـ أن تستوفي العدة التي أمر الله بها، وجعلها وفاء للزوجية السابقة وسياجاً لها.

ومدة العدة للحامل: أن تضع حملها قصر الزمن أو طال.

وللمتوفى عنها زوجها: أربعة أشهر وعشر ليال.

وللمطلقة: ثلاث حيضات. وإنما جعلت ثلاثاً للتأكد من ضمان براءة الرحم، خشية أن يكون قد علق به حمل من ماء الزوج السابق، فلا بد من هذا الإحتياط منعاً لإختلاط الأنساب. وهذا لغير الصغيرة أو كبيرة السن التي انقطع عنها الحيض. أما هما: فعدتهما ثلاثة أشهر.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[2].

---

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) الطلاق: ٤.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1].

الأخت يحرم عليها الزواج على أختها

مما حرمه الإسلام ـ وكان مشروعاً في الجاهلية ـ الجمع بين الأختين فإن رابطة الحب الأخوي الذي يحرص الإسلام على دوامه بينهما ينافيها أن تكون إحداهما ضرة الأخرى.

وقد صرح القرآن الكريم بتحريم الجمع بين الأختين وأضاف الرسول ﷺ إلى ذلك قوله: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها» كما في الصحيحن وغيرهما. وقال: «إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم»[2].

والإسلام يؤكد صلة الأرحام فكيف يشرع ما يؤدي لتقطيعها؟!

زواج المسلمة من غير المسلم

ويحرم على المسلمة أن تتزوج غير مسلم، كتابياً أو غير كتابي، ولا يحل لها ذلك بحال قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾[3].

وقال في شأن المؤمنات المهاجرات: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[4].

ولم يرد نص باستثناء أهل الكتاب من هذا الحكم، فالحرمة مجمع عليها بين المسلمين. وإنما أجاز الإسلام للمسلم أن يتزوج يهودية أو

---

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) رواه ابن حبان.

(٣) البقرة: ٢٢١.

(٤) الممتحنة: ١٠.

نصرانية ولم يجز للمسلمة أن تتزوج بأحدهما، لأن الرجل هو رب البيت والقوّام على المرأة والمسؤول عنها. والإسلام قد ضمن للزوجة الكتابية - في ظل الزوج المسلم - حرية عقيدتها وصان لها - بتشريعاته وإرشاداته - حقوقها وحرمتها ولكن ديناً آخر - كالنصرانية أو اليهودية - لم يضمن للزوجة المخالفة في الدين أية حرية، ولم يصن لها حقها فكيف يغامر الإسلام بمستقبل بناته، ويرمي بهن في أيدي من لا يرقبون في دينهم إلا ولا ذمة؟!

وأساس هذا: أن الزوج لا بد أن يحترم عقيدة زوجته ضماناً لحسن العشرة بينهما، والمسلم يؤمن بأصل اليهودية والنصرانية دينين سماويين - بغض النظر عما حُرف منهما - ويؤمن بالتوراة والإنجيل كتابين من عند الله، ويؤمن بموسى وعيسى رسولين من عند الله من أولي العزم من الرسل.

فالمرأة الكتابية تعيش في كنف رجل يحترم أهل دينها وكتابها ونبيها، بل لا يتحقق إيمانه إلا بذلك، أما اليهودي أو النصراني فلا يعترف أدنى اعتراف بالإسلام ولا بكتاب الإسلام، ولا برسول الإسلام.

فكيف يمكن أن تعيش في ظله امرأة مسلمة يطالبها دينها بشعائر وعبادات وفروض وواجبات، ويشرع لها أشياء ويحرم عليها أشياء؟

ألا إنه من المستحيل أن تبقى للمسلمة حرمة عقيدتها، وتتمكن من رعاية دينها والرجل القوام عليها يجحده كل الجحود!!

ومن هنا كان الإسلام منطقياً مع نفسه حين حرم على الرجل المسلم أن يتزوج وثنية مشركة، لأن الإسلام ينكر الشرك والوثنية كل الإنكار فكيف يتحقق بينهما السكون والمودة والرحمة؟

إن الجمع بينهما يشبه ما قاله الشاعر العربي قديماً:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عَمْرَكَ الله، كيف يلتقيان؟

هـي شـاميـة إذا مـا استقلـت وسهيـل إذا استقـل يمـانـي!![1]

زواج المسلمة بالأجنبي

وإذا كان ينبغي التريث طويلاً في زواج المسلم بالكتابية الغربية وفقاً (للسياسة الشرعية) فإن من المؤكد أن يمنع (شرعاً) زواج الكتابي الغربي بالمسلمة، حتى وإن أعلن إسلامه في ظروف وملابسات معينة. ينبغي أن ينظر إليه نظرة ريبة وتخوّف من عواقبه الإسلامية.

يقول الجبرتي في حوادث ١٢١٦ هـ ١٨٠١ في زواج الفرنسيين بالمسلمات: وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجهنّ رغبة في سلطانهم ونوالهم فيُظهر حالَ العقد الإسلامَ وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزينات بزيّهم ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أمور الرعية والأحكام العادية والأمر والنهي والمناداة وتمشي المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها، وأمامها القواسة والخدم بأيديهم العصي يفرجون لهن الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن وينهين في الأحكام.

وسيبقى الأثر بعد استقلالهن في الخلاعة والسهرات والرطانة بالفرنسية.

ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه، ودخل الماء إلى الخليج وجرت فيه السفن، وقع عند ذلك من تبرّج النساء واختلاطهن بالفرنسيين ومصاحبتهم لهنّ في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل. وصحبتهم آلات الطرب. وملاّحو السفن يكثرون من الهزل والمجون. . وخصوصاً إذا دبّت الحشيشة في رؤوسهم. فيطبلون ويرقصون ويتجاوبون بمحاكاة

---

(١) الحلال والحرام ١٧٣ ـ ١٧٤.

ألفاظ الفرنساوية في غنائهم وتقليد كلامهم[1].

زواج المتعــة

والزواج في الإسلام عقد متين وميثاق غليظ، يقوم على نية العشرة المؤبدة من الطرفين لتتحقق ثمرته النفسية التي ذكرها القرآن ـ من السكن النفسي والمودة والرحمة وغايته النوعية العمرانية من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنساني ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[2].

أما زواج المتعة، وهو ارتباط الرجل بامرأة لمدة يحددانها لقاء أجر معين، فلا يتحقق فيه المعنى الذي أشرنا إليه. وقد أجازه الرسول ﷺ قبل أن يستقر التشريع في الإسلام. أجازه في السفر والغزوات، ثم نهى عنه وحرّمه على التأبيد.

وكان السر في إباحته أولاً أن القوم كانوا في مرحلة يصح أن نسميها «فترة انتقال من الجاهلية إلى الإسلام؛ وكان الزنى في الجاهلية ميسراً منتشراً. فلما كان الإسلام، واقتضاهم أن يسافروا للغزو والجهاد شق عليهم البُعد عن نسائهم مشقة شديدة وكانوا بين أقوياء الإيمان وضعفاء؛ فأما الضعفاء، فخيف عليهم أن يتورطوا في الزنى، أقبح به فاشحة وساء سبيلاً.

وأما الأقوياء فعزموا على أن يُخْصُوا أنفسهم أو يجبُّوا مذاكيرهم كما قال ابن مسعود: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا نساء فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، ورخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل»[3].

---

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ٢/٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٢) النحل: ٧٢.

(٣) متفق عليه، ت: ٢٢٤.

وبهذا كانت إباحة المتعة رخصة لحل مشكلة الفريقين من الضعفاء والأقوياء، وخطوة في سير التشريع إلى الحياة الزوجية الكاملة، التي تتحقق فيها كل أغراض الزواج من إحصان واستقرار وتناسل، ومودة ورحمة، واتساع دائرة العشيرة بالمصاهرة.

وكما تدرّج القرآن بهم في تحريم الخمر وتحريم الربا ـ وقد كان لهما انتشار وسلطان في الجاهلية ـ تدرّج النبي ﷺ بهم كذلك في تحريم الفروج. فأجاز عند الضرورة المتعة ثم حرّم النبي ﷺ هذا النوع من الزواج. كما روى ذلك عنه علي[1]، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. ومن ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن سبرة الجهني «أنه غزا مع النبي ﷺ في فتح مكة، فأذن لهم في متعة النساء. قال: فلم يخرج حتى حرّمها رسول الله ﷺ»، وفي لفظ حديثه: «وإن الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة».

ولكن هل هذا التحريم باتّ كزواج الأمهات والبنات أو هو تحريم مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخزير، فيباح عند الضرورة وخوف العنت؟

الذي رآه عامة الصحابة أنه تحريم باتّ حاسم لا رخصة فيه بعد استقرار التشريع.

وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تباح للضرورة. فقد سأله عن متعة النساء فرخّص له، فقال له مولىً له: إنما ذلك في الحال الشديد، وفي النساء قلة أو نحوه؟ قال ابن عباس: نعم[2].

ثم لما تبين لابن عباس رضي الله عنه أن الناس توسّعوا فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة، أمسك عن فتياه ورجع عنها[3].

---

(١) ت: ٢٢٥.

(٢) البخاري، ت: ١/٢٢٥.

(٣) زاد المعاد ج ٤ ص ٧ ط صبيح. أخرجه البيهقي، ت: ١/٢٢٦.

حـق الزوج على زوجتــه

قال ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحداً، ولا تعتزل فراشه، ولا تضربه (إذا كانت أقوى منه جسداً) فإن كان هو أظلم فلتأتيه حتى ترضيه فإن قبل منها فيها ونعمت وقبل الله عذرها، وأفلج (أي: أظهر) حجتها، وإن هو لم يرض فقد أبلغت الله عذرها»[1].

أن تصبر عليه:

على الزوجة أن تعمل على استرضاء زوجها بما عندها من قدرة وسحر، وحذرها أن تبيت وزوجها غاضب.

وفي الحديث: (ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً، رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان (أي متخاصمان)[2].

عدم النشوز والشقاق

وبما أن الرجل هو سيد البيت ورب الأسرة بحكم تكوينه واستعداده ووضعه في الحياة، وبذله للمهر، ووجوب النفقة عليه.

فلا يحل للمرأة أن تخرج عن طاعته، وتتمرد عن سلطانه، فتفسد الشركة، وتضطرب سفينة البيت، أو تغرق ما دام لا ربّان لها.

وإذا لاحظ الزوج على زوجته مظاهر النشوز والعصيان له، والترفع عليه، فعليه أن يحاول إصلاحها بكل ما يقدر عليه، مبتدئاً بالكلمة الطيبة والوعظ المؤثر، والإرشاد الحكيم. فإن لم تُجْدِ هذه الوسيلة هجرها في

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

مضجعها، محاولاً أن يستثير فيها غريزة الأنثى لعلها تنقاد له ويعود الصفاء.

فإن لم تُجْد هذه ولا تلك جرّب التأديب باليد مجتنباً الضرب المبرِّح مبتعداً عن الوجه، وهو علاج يجدي في بعض النساء في بعض الأحوال بقدر معين.

وليس معنى الضرب هنا أن يكون بسوط أو خشبة، وإنما هو من نوع ما قاله عليه السلام لخادم عنده أغضبه في عمل: «ولولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك»[1] وقد نفر عليه السلام من الضرب وقال: «علامَ يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ولعله أن يجامعها في آخر اليوم»[2].

وقال في شأن من يضربون نساءهم: «لا تجدون أولئك خياركم»[3] قال الإمام الحافظ ابن حجر: (وفي قوله ﷺ: «لن يضرب خياركم» دلالة على أن ضربهن مباح في الجملة، ومحل ذلك: أن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته، فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل، لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن العشرة، المطلوبة في الزوجية، إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله، وقد أخرج النسائي في الباب حديث عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له ولا خادماً قط، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا في سبيل الله أو تنهك حرمات الله فينتقم)[4].

فإن لم ينفع هذا كله، وخيف اتساع الشقة بينهما تدخل المجتمع الإسلامي وأهل الرأي والخير فيه يحاولون الإصلاح، فيبعثوا حَكَماً من

---

(١) ابن سعد في الطبقات.
(٢) أحمد وفي البخاري قريب منه.
(٣) عزاه في الفتح إلى أحمد وأبي داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم.
(٤) فتح الباري جـ٩/ ص٢٤٩.

أهله، وحكماً من أهلها من أهل الخير والإصلاح، عسى أن تصدق نيتهما في لمِّ الشَعث.

وفي هذا كله قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1] هنا فقط يباح الطلاق.

وهنا بعد أن فشلت تلك التجارب كلها، وخابت تلك الوسائل جميعاً، يباح للزوج أن يلجأ إلى وسيلة أخرى شرعها الإسلام، استجابة لنداء الواقع وتلبية لداعي الضرورة، وحلاً لمشكلات لا يحلها إلا الفراق بالمعروف.

تلك هي وسيلة الطلاق.

أجاز الإسلام اللجوء إلى هذه الوسيلة على كره، ولم يندب إليها ولا استحبها بل قال عليه السلام: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق»[2].

والتعبير بأنه حلال مبغوض إلى الله يشعر بأنه رخصة شرعت للضرورة، حين تسوء العشرة، وتستحكم النفرة بين الزوجين، ويتعذر عليهما أن يقيما حدود الله وحقوق الزوجية وقد قيل: إن لم يكن وفاق ففراق. وقد قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠][3].

---

(١) النساء: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) رواهما أبو داود.

(٣) الحلال والحرام للقرضاوي ١٨٨ ـ ١٩٢.

المطلقة تبقى في بيت الزوجية مدة العدة

والواجب في شريعة الإسلام أن تبقى المطلقة في بيتها ـ أي بيت الزوجية ـ مدة العدة، ويحرم عليها أن تخرج من البيت. كما يحرم على الزوج أن يخرجها منه بغير حق. وذلك أن للزوج ـ طوال مدة العدة ـ أن يراجعها ويردها إلى حظيرة الزوجية مدة أخرى ـ إذا كان هذا هو الطلاق الأول أو الثاني ـ وفي وجودها في البيت قريبة منه إثارة لعواطفه وتذكير له أن يفكر في الأمر مرة ومرة قبل أن يبلغ الكتاب أجله، وتنتهي أشهر العدة التي أمرت أن تتربصها استبراء للرحم، ورعاية لحق الزوج وحرمة الزوجية، والقلوب تتغير، والأفكار تتجدد، والغاضب قد يرضى، والثائر قد يهدأ، والكاره قد يحب.

طلب الطلاق من الزوج

ويحرم على الزوجة أن تسارع إلى طلب الطلاق من زوجها بغير ما بأس من جهته، ولا داع مقبول يؤدي إلى التفريق بينهما. قال عليه الصلاة والسلام:

«أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»(١).

وجوب طاعة الزوج وحقه على المرأة

عن قيس بن طلق عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنع المرأة زوجها حاجته وإن كانت على ظهر قتب»(٢).

وعن حصين بن محصن، عن عمة له أتت النبي ﷺ في حاجة لها، ففرغت من حاجتها، فقال لها رسول الله ﷺ: «أذات زوج أنت؟ قالت:

---

(١) رواه أبو داود الحلال والحرام.

(٢) الطيالسي /١٤٨/ ابن ماجه ١/ ٥٩٥ المسند ٤/ ٣٨١.

نعم، قال: «فكيف أنت له؟» قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: «انظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك»[1] وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه لما رجع من اليمن قال: يا رسول الله، رأيت رجالاً باليمن يسجد بعضهم لبعض، أفلا نسجد لك؟ قال: لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[2].

وعن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «حق الزوج على زوجته أن تطيع أمره، وأن تبرّ قسمه، ولا تهجر فراشه، ولا تخرج إلا بإذنه، ولا تدخل عليه من يكره»[3].

وعن ابن عمر قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على الزوجة؟ قال: «لا تتصدق من بيته بشيء إلا بإذنه، فإن فعلت كان له الأجر وعليها الوزر» قالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على زوجته؟ قال: «لا تصوم يوماً إلا بإذنه، فإذا فعلت لعنتها ملائكة الله وملائكة الرحمة، وملائكة الغضب، حتى تفيء أو تراجع»[4].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود التي إذا أذت، أو أوذيت، أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى»[5].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا دعى أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وفي لفظ «فبات وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح»[6].

---

(١) المسند ٤/ ٣٤١ مجمع الزوائد ٤/ ٣٠٦ الترغيب والترهيب ٣/ ٥٢.
(٢) ابن ماجه ١/ ٥٩٥ الترمذي ٤/ ١٣٣ المسند ٥/ ٢٢٧.
(٣) فردوس الأخبار ٢/ ٢٠٨ المعجم الكبير ٢/ ٤٠/ مجمع الزوائد ٤/ ٣١٤.
(٤) الطيالسي ٢٦٣ الترغيب والترهيب ٣/ ٥٧.
(٥) مجمع الزوائد ٤/ ٣١٢ المعجم الكبير ١٩/ ١٤٠ فيض القدير ٣/ ١٠٦.
(٦) أبو داود ٢/ ٥٠٦ البخاري ٣/ ٢٦٠ مسلم ٢/ ١٠٦٠.

وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: «لعن رسول الله ﷺ المسوفة والمفلسة. فأما المسوفة فالتي أرادها زوجها قالت: سوف وسوف والآن»(١).

قال ابن الجوزي كذا روي لنا في هذا الحديث المفلسة، ولم يذكر تفسير وقد رواه ابن مقسم في كتاب الأنوار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أنه لعن المسوفة.. والمُفْسِلَة» فأما المسوفة: فهي التي إذا أرادها زوجها قالت: الآن وسوف، وأما المفسلَة فالتي إذا أرادها قالت: إني حائض وليست بحائض».

قال ابن الجوزي: فعلى هذا يكون المعنى أنها تقدم ذكر الحيض قبل مجيئه كما تقدم المفلس.

وقد روى ابن قتيبة هذا الحديث وقال: لعن المفسلة، قال: وقال غير واحد المفسلة التي إذا أرادها زوجها أن يأتيها قالت: إني حائض، وأصل الحرف من الفسولة وهي الفتور في الأمر والكسل فعلى هذا تكون المفلسة تصحيفاً من الرواة.

جاء في الفائق ٣/ ١١٧ لعن الله المفسلة والمسوفة، وهي التي تتعلل لزوجها، إذا هم بغشيانها بالحيض، فتفتر نشاطه، من الفسولة، وهي الفتور في الأمر، أو تقطعه وتفطمه. والمسوفة: التي تقول: سوف وسوف وتعلله بالمواعيد أو تشمّه طرفاً من المساعدة وتطمعه ثم لا تفعل من السوف وهو الشم.

قال ابن الجوزي:

وعلى ما ذكرنا من وجوب طاعة الزوج، فلا يجوز للمرأة أن تطيعه

---

(١) فردوس الأخبار ٣/٥١٨ مجمع الزوائد ٤/٢٩٦ فيض القدير ٥/ ٢٧٢ انتقيت هذه الأحاديث كلها من كتاب أحكام النساء وفيها روايات متعددة.

فيما لا يحل. مثل: أن يطلب منها الوطء في زمان الحيض، أو في المحل المكروه، أو في نهار رمضان، أو غير ذلك من المعاصي، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

شكر الزوج والإعتراف بفضله

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها ولا تستغني به»(٢).

وعن الحسن قال: حدثني من سمع من النبي ﷺ يقول: «أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها، وعن بعلها كيف فعلت إليه»(٣).

وعن علي بن زيد عن الحسن قال: «أيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت منك خيراً قط قد حبط عملها»(٤).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تقود ولدين لها وتحمل آخر، قال: فما أعلمها سألته شيئاً إلا أعطاها. فلما ذهبت أتبعها بصره فقال: (حاملات والدات رحيمات لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخلت مصلياتهن الجنة)(٥).

---

(١) ابن ماجه ١/٦٤٩ الترمذي ٤/١٥٣ فردوس الأخبار ٥/٢١٧.

(٢) مجمع الزوائد ٤/٣٠٩ الترغيب والترهيب ٤/١٢٧ المستدرك ٢/١٩٠.

(٣) فردوس الأخبار ١/١٥.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٦/١٤٠ فيض القدير ١/٤١١.

(٥) ابن ماجه ١/٦٤٨ المسند ٥/٢٥٢ الطيالسي ١٥٤.

سخط الزوج على الزوجة

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة الحديث. وفيه: المرأة الساخط عليها زوجها»[1].

وعن فضالة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يسأل عنهم.. الحديث. وفيه: وامرأة غاب عنها زوجها، وقد كفاها مؤونة الدنيا، فخانته بعده»[2].

وعن ابن عمر، يرفعه: «اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما.. الحديث. وفيه: وامرأة عصت زوجها حتى ترجع»[3].

وعن أبي أمامة، مرفوعاً «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم.. الحديث. وفيه وامرأة باتت وزوجها ساخط عليها»[4].

إيقاظ الزوجة زوجها للصلاة

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجه الماء»[5].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبد الله بن عقيل، واللفظ له، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من رواية ابن محمد.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه. وروى الطبراني والحاكم «فتبرجت بعده» بدل «فخانته» وقال: صحيح على شرطهما، ولا أعلم له علة.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد جيد، والحاكم.

(٤) حسن الأسوة ص٥٥٣.

(٥) أخرجه أبو داود وهذا لفظه، والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وعند بعضهم «رش ورشت» بدل «نضح ونضحت» وهو بمعناه.

وروى الطبراني في الكبير، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يستيقظ فيوقظ امرأته، فإن غلبها النوم نضح في وجهها الماء، فيقومان في بيتهما فيذكران الله عز وجل ساعة من الليل، إلا غفر لهما».

وعن أبي هريرة، وأبي سعيد، قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صليا ركعتين جميعاً، كتبا في الذاكرين الله والذاكرات»(١).

تزويج البنت إذا بلغت

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ثلاث يا علي لا تؤخرهن، الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤاً»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مكتوب في التوراة، من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها، فأصابت إثماً، فإثم ذلك عليه»(٣). وعن الحسن قال: بادروا نساءكم بالتزويج، فإن التسويف مظلمة لهن.

قال ابن الجوزي:

واستحب لمن أراد تزويج ابنته أن ينظر إليها شاباً مستحسن الصورة، لأن المرأة تحب ما يحب الرجل.

---

(١) رواه أبو داود، وقال: رواه ابن كثير موقوفاً على أبي سعيد، ولم يذكر أبا هريرة، ورواه النسائي وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وألفاظهم متقاربة «من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا ركعتين» وزاد النسائي: «جميعاً، كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات». قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) المسند ١/ ١٠٥ ـ فيض القدير ٣/ ٣١٠.

(٣) فردوس الأخبار ٤/ ٤١٠ منتخب كنز العمال ٦/ ٤٣٦.

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح الذميم، إنهن يردن ما تريدون»[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تنكحوا المرأة الرجل القبيح الذميم، فإنهن يحببن لأنفسهم ما تحبون لأنفسكم.

فلنحرص جميعاً إلى المبادرة إلى تزويج بناتنا وأخواتنا إذا أتاهن الكفؤ ولا نكون السبب في عضلهن لنستفيد منهن في عمل أو جلب مصلحة دنيوية تعود علينا بالنفع، إذ كثير من الناس يؤخرون تزويج بناتهم أو أخواتهم، لكونها تعمل في عمل أو وظيفة فيأخذ راتبها ويستفيد منه، فيفكر أنها إذا تزوجت انقطع عنه ذلك. فيظلمها ويقع تحت طائلة المؤاخذة من الله تعالى.

النشوز

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[٢].

واللاتي تخافون نشوزهن: خطاب للأزواج.

والنشوز: العصيان، ودلالته قد تكون بالقول والفعل، بأن رفعت صوتها عليه، أو لم تجبه إذا دعاها، ولم تبادر إلى أمره إذا أمرها، أو لا تخضع له إذا خاطبها، أو لا تقوم له إذا دخل عليها.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي: ذكّروهن بما أوجب الله عليهن من الطاعة وحسن المعاشرة، ورغبوهن إذا ظهر منهن أمارات النشوز، وهو أن يقول لها: اتقي الله وخافيه فإن لي عليك حقاً، وارجعي عما أنت عليه، واعلمي

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٦/١٥٨ مطالب أولي النهي ٥/١٠.

(٢) النساء: ٣٤.

أن طاعتي فرض عليك، ونحو ذلك، فإن أصَرَّت على ذلك هجرها في المضجع، كما قال تعالى:

﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ يقال: هجره، أي تباعد منه، والمضجع: هو محل الاضطجاع، أي: لا تدخلوهن تحت ما تجعلونه عليكم حال الضجعة من الثياب، وقيل: هو أن يوليها ظهره عند الضجعة في الفراش، وقيل: هو كناية عن ترك جماعها، وقيل: لا يبيت معها في البيت الذي يضطجع فيه، قال حماد: يعني النكاح. أخرجه أبو داود.

﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم ينزعن بالهجران ضرباً غير مبرح ولا شائن، وظاهر النظم القرآني أنه يجوز للزوج أن يفعل جميع هذه الأمور عند مخافة النشوز، وقيل: حكم الآية مشروع على الترتيب، وإن دلّ ظاهر العطف بالواو على الجمع، لأن الترتيب، مستفاد من قرينة المقام، وسوق الكلام، للرفق في إصلاحهن وإدخالهن تحت الطاعة، فالأمور الثلاثة مرتبة، لأنها لدفع الضرر كدفع الصائل، فاعتبر فيها الأخف فالأخف، وقيل: إنه لا يهجرها إلا بعد عدم تأثير الوعظ فإن أثر الوعظ لم ينتقل إلى الهجر، وإن كفاه الهجر لم ينتقل إلى الضرب. قيل: هو أن يضربها بالسواك ونحوه. قال الشافعي: الضرب مباح وتركه أفضل(١)، وفي

---

(١) أخرج البخاري ٩/ ٢٦٥ في النكاح: باب ما يكره من ضرب النساء، ومسلم (٢٨٥٥) من حديث عبد الله بن زمعة قال: وعظ النبي ﷺ في النساء، فقال: «يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم» وأخرج الشافعي ٢/ ٣٦١، ٣٦٢، وابن ماجه (١٩٨٥) وأبو داود (٢١٤٦) من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فأتاه عمر، فقال: يا رسول الله ذئر (اجترأ) النساء على أزواجهن، فأذن في ضربهن، فأطاف بآل محمد نساء كثيرة كلهن يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ «لقد أطاف بآل محمد سبعون امرأة كلهم يشتكين أزواجهن؛ ولا تجدون أولئك خياركم» وصححه ابن حبان (١٣١٦) والحاكم ٢/ ١٨٨ ووافقه الذهبي، وله شاهد عند ابن حبان (١٣١٥) من حديث ابن عباس، وآخر مرسل عن البيهقي ٧/ ٣٠٤ من حديث أم =

حاشية «الجمل على الجلالين»: إن كلاً من الهجر والضرب مقيد بعلم النشوز، ولا يجوز بمجرد الظن.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ كما يجب، وقمن بواجب حقكم وتركن النشوز ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: لا تتعرضوا لهن بشيء مما يكرهون

لا بقول ولا بفعل، وقيل: المعنى لا تكلفوهن الحب لكم فإنه لا يدخل تحت اختيارهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ إشارة إلى الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب، أي: وإن كنتم تقدرون عليهن فاذكروا قدرة الله عليكم، فإنها فوق كل قدرة وهو بالمرصاد لكم.

قال ابن عباس: يضربها ضرباً غير مبرح، ولا يكسر لها عظماً ولا يجرح بها جرحاً. وعنه قال: يهجرها بلسانه ويغلظ لها بالقول، ولا يدع الجماع.

وعن عمرو بن الأحوص، أنه شهد خطبة الوداع مع رسول الله ﷺ فقال فيها: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوارٍ عندكم، ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً»(١).

وعن عبد الله بن زمعة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيضرب أحدكم امرأته كما يُضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم»(٢).

وفي هذا دليل على أن الأولى ترك الضرب للنساء، فإن احتاج فلا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها، وليتق الوجه لأنه مجمع المحاسن، ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط، وقيل، ينبغي أن يكون

= كلثوم بنت أبي بكر.

(١) أخرجه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه.

(٢) أخرجه الشيخان.

الضرب بالمنديل واليد، ولا يضرب بالسوط والعصا، وبالجملة: فالتخفيف بأبلغ شيء أولى في هذا الباب.

وعن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسأل الرجل فيم ضرب امرأته» أخرجه أبو داود[1].

* * *

(١) رقم (٢١٤٧) وابن ماجه ١٩٨٦.
حسن الأسوة ٨٧ ـ ٩٠.

المبحث الثامن والعشرون في

الغناء

الغناء من مصايد الشيطان

قال ابن القيم الجوزية:

ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قل نصيبه من العقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المُكاء والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصدُّ القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، فتمايلوا له كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع القرآن ولقد أحسن القائل:

تُلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراقَ ساهٍ لاهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله ما رقصوا لأجل الله
دُفٌ ومزمار، ونغمةُ شادنٍ ... فمتى رأيت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي
سمعوا له رعداً وبرقاً، إذ حوى ... زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها يا ذبحَها المتناهي
وأتى السماع موافقاً أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيمَ الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع ... أسبابَه، عند الجهول الساهي
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ... خمرُ العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النَّشوان عند شرابه ... وانظر إلى النسوان عند ملاهي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي

واحكم فأي الخمرتين أحق بالتحريم، والتأثيم عند الله؟[1]

حكم الغناء

وقال الإمام أبو بكر الطرشوسي:

أما مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب.

وسئل رحمه الله عما يُرخِّصُ فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله عندنا الفساق.

وأما أبو حنيفة: فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب.

قلت: مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال. وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدّف حتى الضرب بالقضيب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق، وتُردُّ به الشهادة.

وأما الشافعي فقال في كتاب أدب القضاء: إن الغناء لهو مكروه يُشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه تُردُّ شهادته.

وأما مذهب الإمام أحمد، فقال عبد الله ابنه: سألت أبي عن الغناء؟ فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

سماعه من المرأة

وأما سماعه من المرأة الأجنبية، أو الأمرد فمن أعظم المحرمات وأشدها فساداً للدين.

---

(١) رسالة في أحكام الغناء. لابن القيم ص٣ ـ ٤.

قال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها، فهو سفيه تُرد شهادته وأغلظ القول فيه. وقال: هو دياثةٌ فمن فعل ذلك كان ديوثاً قال القاضي أبو الطيب: وإنما جعل صاحبها سفيهاً، لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهاً فاسقاً.

قال: وكان الشافعي يكره التنبير: وهو الطقطقة بالقضيب، ويقول: وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن[1].

إذا كان هذا هو وصف من يجمع الناس على استماع الغناء من جارية وقد تكون محتشمة فما بالك الآن حيث تقف المغنية في المسرح أمام الناس جميعاً حيث تعرض على شاشات التلفزيون. تتكسر وتتمايل وترقص وتلبس فاخر الثياب تلبس الثياب الرقيقة التي تشف عما تحت جسمها، فيستبين جسمها، بل ويستبين كل عضو من أعضائها وقد تكون ثيابها قصيرة جداً إلى ما فوق الركبة طرحت الحياء جانباً وصاحت وغنت وأطربت وألهبت المشاعر وزاد تصفيق الناس لها يشجعونها على أن تجود بكل ما تستطيع وهي تحسب أنها تحسن صنعاً، وما درت أنها كالشمعة تحرق نفسها لتضيء الآخرين، ولكن هذا الضوء ما يلبث أن ينطفىء ويخبو، ويسير الناس في الظلام والمتاهة.

إن المغنين والمغنيات لو سألتهم عن حالاتهم الأسرية أو استقصيت حياتهم لوجدت المشاكل تحيط بهم من كل جانب، طلاق، وزواج، وخلافات، ومهاترات ومشاكسات تلاحقهم كل ساعة وكل دقيقة. يتمنون الخلاص ولا يستطيعونه، فكم من فنانة أو مغنية تمنّت أن لو تستطيع الخروج مما هي فيه والرجوع إلى حالتها الطبيعية إلى حالة البساطة وعيش الكفاف، وكم من فنانة مشهورة تركت فنها ورجعت وتابت إلى الله، لأنها جربت حياة الإنفلات والحرية السافرة فوجدتها طريقاً مفتوحاً إلى

(١) رسالة في احكام الغناء ص٥ ـ ٩.

الهاوية، يودي إلى الهلاك حيث لا قرار. ووجدت في حياة الشظف والفقر، الهدوء والراحةَ والإطمئنان.

فتُبْن إلى الله أيتُها المغنيات، إرجعْن إلى ربكنّ راضيات مرضيات، تعلَّمْن ماذا خلقتن له، ولأي شيء خلقتنَّ، لقد كرمكن الله وأعلى من شأنكنّ فلا تضيِّعوا حياتكن بغضب الله وسخطه وعقابه.

كن تائبات خاشعات عابدات منيبات وستجدن في هذا السرورَ والهناء والراحة والطمأنينة والسكن الهادىء النظيف. استرن على أنفسكن بالرجوع إلى دينه، والتمسك بأهداب الشريعة السمحاء.

الغناء لهو الحديث

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١) قال الواحدي وغيره: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث: الغناء. قاله ابن عباس. وقيل: هو الرجل يشتري الجارية تغنيه ليلاً ونهاراً.

ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن.

وأما غناء القينات: فذلك أشد ما في الباب، وذلك لكثرة الوعيد فيه. وهو ما روى أن النبي ﷺ قال: (من استمع إلى قِينَة صُبّ في أُذنيه الآنُك يوم القيامة) والآنك: هو الرصاص المذاب.

وفي مسند الإمام أحمد وغيره: لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام(٢).

---

(١) لقمان: ٦.

(٢) رسالة في أحكام الغناء ص١٧ ـ ١٨.

الغنـــاء رقيـــة الزنـــا

وقال ابن أبي الدنيا قال الفضيل بن عياض: الغناء رقية الزنى.

قال: وأخبرنا إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي، قال: قال يزيد بن الوليد: يا بني أمية إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا(١).

ولا ريب أن كل غيور يُجنب أهله سماعَ الغناء، كما يجنبهن أسباب الرّيب ومن طرّق أهله إلى سماع رقية الزنى فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه.

ومن الأمر المعلوم عند القوم: أن المرأة إذا استصعبت على الرجل اجتهد أن يُسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطى اللّيانَ.

وهذا لأن المرأة سريعة الإنفعال للأصوات جداً، فإذا كان الصوت بالغناء صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت ومن جهة معناه.

لقد كثرت محلات بيع الأغاني وأشرطة الفيديو، الأغاني الخليعة التي تدعو إلى انحراف الشاب والشابة تصور تلك الأغاني كل الكوامن والغرائز في جسم الشاب والشابة مما يضيع وقتهم ويلهب مشاعرهم ويجلعهم يتراقصون ليل نهار على هذه النغمات، كما أن محلات الفيديو تجد سوقاً رائجة لأفلام الجنس والدعارة المكشوفة حيث يتوافد الناس على شراء هذه الأشرطة ولا يسألون عن ثمنها تلبية لنزواتهم، وقتلاً لأوقاتهم،

ولقد ظهر في الآونة الأخيرة ما يسمى (بالأنترنيت) الذي يستطيع من

---

(١) رسالة في أحكام الغناء ص٢٤ ـ ٢٥.

يشترك به أن يدخل إلى كل بيت فيعرف أسراره ويخوض في غماره ويبحث ما فيه عن الجنس ليشبع غريزته.

أما (الدش) الذي دخل كل بيت فإنه شغل الناس الشاغل عن كل شيء، يفتح على كل القنوات ليرى ما فيها من صور إباحية مكشوفة فيضيع وقت الناس ويذهب سدى يسهرون حتى الصباح على الأفلام الخليعة وصور الجنس المرعبة، فلا يذهبون إلى عملهم إلا وهم نائمون أو شبه نائمين، متعبين ومرهقين وكسالى.

وهكذا يراد بنا وبأمتنا الإسلامية تضييع الوقت، وقتل الفراغ، وصرفهم عما هو خير لهم وصلاحهم وصرفهم عن دينهم الذي فيه سعادتهم وفلاحهم إن هم اتبعوه.

ولا خلاص لهم إلا بالرجوع إلى كتاب الله، والتمسك بأهداب الشريعة الغراء، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، فإنه خير معين على ما وصلنا إليه.

رفقــاً بالقــوارير

ولهذا قال النبي ﷺ لأَنْجَشَه[1] حاديه: «يا أَنْجَشَةُ، رُويدك. رفقاً بالقوارير» يعني النساء. رويدك: يعني ارفق وتأنّ وشبه النساء بالقوارير لأن أقل شيء يؤثر فيهن من الحداء والغناء فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقيه الدفّ، والشبّابة، والرقْص بالتخنث والتكسُّر فلو حبلت المرأة من غناء لحبلت من هذا الغناء.

فلعمر الله كم من حرّة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حرّ أصبح به

(١) أنجشة: كان عبداً أسود، حسن الصوت يحدو بأمهات المؤمنين رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود الطيالسي ـ أو أراد أن النساء لا قوة لهن على السير، والحداء مما يهيج الإبل ويبعثها على السير وسرعته فيضر ذلك بالنساء اللاتي عليهن.

عبداً للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدّل به اسماً قبيحاً بين البرايا، وكم من ذي غنىً وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا، وكم من معافىً تعرّض له فأمسَى، وقد حلّت به أنواع البلايا، وكم أهدى للمشغوف به من أشجان وأحزان، فلم يجد بداً من قبول تلك الهدايا. وكم جرّع من غُصّة وأزال من نعمة، وجانبَ من نقمة، وذلك منه من إحدى العطايا. وكم خبأ لأهله من آلام منتظره، وغموم متوقّعة، وهجوم مستقبلة.

فسَلْ ذا خبرة يُنبيك عنه ... لتعلم كم خَبايا في الزوايا
وحاذِرْ إن شغفت به سهاماً ... مُرَيَّشَةً بأهداب المنايا
إذا ما خالطتْ قلباً كئيباً ... تمزّق بين أطباق الرزايا
ويُصبح بعد أن قد كان حراً ... عفيف الفرج: عبداً للصبايا
ويُعطى من به يُغني غناء ... وذلك منه من شر العطايا[1]

واعلم أن للغناء خواصّ لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء.

فمن خواصّه: أنه يُلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً. لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة، ومجانبة شهوات النفس، وأسباب الغيّ، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان.

والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويُحسِّنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها، ويُزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح ويسوقها إلى وصل كل مليحةٍ ومليح، فهو والخمر رضيعا لبانٍ وفي تهييجهما عن القبائح فرسا رهان. فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه، وخدينه وصديقه، عقد الشيطان بينهما عقدَ الإخاء الذي لا يفسخ وأحكم بينهما

---

(١) رسالة في أحكام الغناء ص٢٦.

شريعة الوفاء التي لا تنسخ، وهو جاسوس القلب، وسارق المروءة موسوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة، ويدبُّ إلى محلِّ التخيّل، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة، والسخافة والرقاعة، والرعونة، والحماقة. فبينما ترى الرجل وعليه سمةُ الوقار وبهاء العقل، وبهجة الإيمان ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن. فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله، وقلّ حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلى عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله تعالى إيمانُه، وثقل عليه قرآنه. وقال: يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد.

فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه، وأبدى من سرّه ما كان يكتمه، وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب، والزهزهة والفرقعة بالأصابع. فيميل برأسه، ويهزّ منكبيه، ويضرب الأرض برجليه ويدقُّ على أم رأسه بيديه، ويثبُ وثبات الدِّباب، ويدور دوران الحمار حول الدولاب، ويُصفِّقُ بيدَيه تصفيق النسوانِ، ويخور من الوجد ولا كخوار الثيران، ويتأوّه تأوه الحزين، وتارة يزْعق زَعَقَات المجانين.

ولقد صدق الخبيرُ به من أهله حيث يقول:

أتـذكـرُ ليلـة وقـد اجتمعنـا ... على طيب السماع إلى الصباح؟
ودارت بيننـا كـأس الأغـانـي ... فـأسكـرتِ النفـوس بغيـر راح
فلـم تـر فيهـم إلا نشـاوَى ... سروراً، والسرور هناك صاحي
إذا نـادى أخـو اللـذات فيـه ... أجاب اللهوُ، حيّ على السماح
ولم تملك سوى المهجات شيئاً ... أرقنـاهـا لألحـاظ المـلاح[1]

صوتـان ملعونـان

قال الحسن: صوتان ملعونان: مزمار عند نعمة، ورنّةٌ عند مصيبة

(١) رسالة في أحكام الغناء ص٢٧ ـ ٢٨.

وقال أبو بكر الهذلي: قلت للحسن: أكان نساء المهاجرات يصنعن ما يصنع النساءُ اليوم؟ قال: لا، ولكن ههنا خَمْشُ وجوه، وشقُّ جيوب، ونتْفُ أشعار، ولطْمُ خدود، ومزامير شيطان، صوتان قبيحان فاحشان: عند نَغْمه إن حدثتْ، وعند مصيبة إن نزلت، ذكَر الله المؤمنين فقال:

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾(١) وجعلتم أنتم في أموالكم حقاً معلوماً للمغنية عند النغمة، والنائحة عند المصيبة.

المرأة والصوت

من سمات الأنوثة البارزة في المرأة، رقة صوتها، ورخامة منطقها. ومن المعروف فيزيولوجياً: أن هناك فرق بين الأحبال الصوتية للمرأة والأحبال الصوتية للرجل. فأحبال المرأة الصوتية: قصيرة ورقيقة، وأما الأحبال الصوتية للرجل فهي طويلة وغليظة.

وكذلك حنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل، والألياف العضلية لحنجرة الرجل، أقوى، مما يجعل صوته قوياً خشناً عن صوت المرأة بالضعف إلا في الحالات الشاذة(٢).

ومن ثم فقد تكون الفتنة بالمنطق أشد وأقوى من الفتنة بالنظر، ولا ينبئك مثل خبير، مثل هذا الشاعر الذي وجد في لذته بالسماع عوضاً عن نظره فقال:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

ومن التدابير الوقائية التي اتخذها الإسلام للمحافظة على الفضيلة أنه وجه الخطاب للمرأة المسلمة من خلال زوجات النبي ﷺ وهنّ القدوة

---

(١) الذاريات: ١٩.

(٢) من حديث للدكتور محمد شعلان في مجلة أكتوبر العدد / ٦٧/.

والأسوة والمثل الأعلى بألاّ يخضعن بالقول حتى لا يطمع ذلك مرضىٰ النفوس ويكفي تعبير القرآن في هؤلاء المتلصصين بأن في قلوبهم مرضاً، قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾(١).

والإسلام لا يرضى للمرأة أن تنقلب إلى رجل.. معاملة خشنة، وصوت أجش ومنطق غليظ.. كلا.. فإن هذا مناقض لطبيعتها التي فطرها الله عليها، ولا يريدها كذلك أن تتكسر في كلامها، وتترقق في صوتها، وتتصنع في لهجتها مداً وغناً فتحرك الشهوات الكامنة، وتثير الغرائز الساكنة، بل يريدها أن تكون معتدلة متزنة الشخصية.. جادة في كلامها، وبذلك تحظى بالإحترام من المجتمع، وبالأجر العظيم من الله.

يقول الدكتور محمد شعلان:

إن الصوت يعتبر في بعض الحالات دليلاً بارزاً على الحالة النفسية والإجتماعية للكائن الحي، فالمرأة التي تربط بين الأنوثة وبين مشاعر القهر والضعف، تجدها على سبيل المثال تتشبه بالرجال فيه، وصوتها غليظ، وبصفة خاصة إذا تحدثت في مجتمع من الناس. وهذا يكشف تلك المحاولة التي تبذلها لإخفاء ضعفها بالنسبة للرجال.

أما المرأة التي تعرف أن سلاحها القوي في أنوثتها، نجدها مفرطة في استخدام صوتها برقة مفتعلة،

وكانت ممثلة الإغراء (مارلين مونرو) تعد أكبر مثل على ذلك لأنها كانت تستخدم صوتها بشكل مفتعل وبه إغرء شديد أما المرأة العاقلة المتزنة فنجد أن صوتها يأتي طبيعياً ورقيقاً دون افتعال. ونقول: إن هذا الصوت الطبيعي المعتدل الخالي من التكسر والإغراء هو قوله تعالى: ﴿ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾.

---

(١) الأحزاب: ٣٢.

اللهو المباح في العرس

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (زففنا امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، أما يكون معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[١].

وعن محمد بن حاطب الجُمحي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام: الدُّفّ والصوت»[٢].

وذلك لأن به يتم إعلان النكاح.

وعن عامر بن سعد رضي الله عنه قال: دخلت على قَرَظَة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عُرْس، وإذا جوارٍ يغنين، فقلت: أيْ صاحبيْ رسول الله ﷺ وأهلَ بدر، يُفعلُ هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاسمع هنا، وإن شئت فاذهب، فإنه رُخِّصَ لنا في اللهو عند العرس»[٣].

ومما ينبغي أن يعلم أن هذا اللهو المباح إنما هو صوت الدف ـ وهو ما لا جلاجل فيه ـ أو إنشاد الجواري الصغار بأشعار مباحة، بخلاف الكلام المحظور وغناء الفاجرات والمعازف الإبليسية التي فتن بها أهل زماننا.

* * *

---

(١) رواه البخاري.

(٢) وفي بعض الروايات بزيادة (في النكاح) والحديث رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والحاكم.

(٣) رواه النسائي.

المبحث التاسع والعشرون في

الصحافة
والكتب والمجلات

عمل الصحافة في سبيل إفساد المرأة المسلمة

١ ـ في مجال الدعوة إلى حريتها الزائفة، وغرس الشعور (بالقومية النسائية) عن طريق التهليل والتصفيق لكل امرأة وليت عملاً من الأعمال.

٢ ـ إشاعة جو من التبرج الصارخ، والتمرد على الفطرة، من خلال قنوات الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والسينما والمسرح والقصة وغيرها، والإفاضة في شأن الموديلات والسهرات ومسابقات الجمال، وأخبار الفاسقات من الممثلات والراقصات، والإلحاح في ذلك حتى يوجدوا لدى الجميع انطباعاً بأن هذه هي صور المجتمع الطبيعية التي لا مناص من الإقرار بها ثم الإندماج فيها.

وبينما يدعو الإسلام المرأة إلى إغماد سلاح الفتنة أمام الرجال، وتجنب مخالطتهم والإحتجاب عنهم، تدعو الصحافة إلى الملابس الضيقة والعرى وإيقاد الشهوات.

٣ ـ تعمل الصحافة جاهدة لتحقيق هدف خطير ألا وهو: دمج الرجولة في الأنوثة وتحويل الأنوثة إلى رجولة والعكس، وإلباس الرجل ثياب المرأة، والمرأة ثياب الرجل، وذلك معارضة لحكم الإسلام في حتمية الفصل الدقيق بين الرجل والمرأة.

٤ ـ دعوة الصحافة إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل، تحمل في طياتها خطراً شديداً، فإن انتشار هذه الحبوب بلا رقابة من شأنه إشاعة الفاحشة، والترويج للحرام، وهدم الأسر.

٥ ـ تستهدف الصحافة من وراء نشر عشرات الحوادث المخلة

والإغراء بها، وكذا ما تنقله عن المجتمعات الغربية تستهدف بذلك أن تبدو العلاقة المحرمة في نظر الناس سهلة يسيرة، بل ومقبولة.

ويحاول بعض الصحافيين الإيحاء بين الناس أن الشرف والفضيلة والعرض كلها مسائل تافهة لا يتمسك بها إلا السذج والبسطاء والرجعيون.

٦ - ومن أخطر محاولات الصحافة بالنسبة لتغيير العرف الإسلامي للمرأة هي: رفع قدر الممثلات والراقصات والمغنيات، وجعلهن مثلاً أعلى للفتاة في أمور الملبس والمأكل والعادات والتقاليد.

٧ - ومن ذلك الدعوة إلى إلغاء قوامة الزوج على زوجته.

تقول أمينة السعيد: القوامة اليوم لا مبرر لها، لأن هذه القوامة مبنية على المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي، في مجال الثقافة والمال، وما دامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات فلا مبرر للقوامة.

٨ - فساد توجيه الصحافة لطالبات الإجابة عن المشاكل والقضايا، وما يتخلل الردود من سخرية واضحة بالدين، واستهانة بالخلق، ودعوة إلى التخفيف من العقوبات الشرعية، واللامبالاة الإجتماعية بالآثام، والميل إلى اعتبار الآثام الخلقية داخلة في إطار الحريات الشخصية.

٩ - حملت الصحافة حملة شعواء على العلماء الذين قدّموا حكم الإسلام في المرأة، في مواجهة سمُومهم، وضلالاتهم كما فعل (أحمد بهاء الدين) و(موسى صبري).

١٠ - حاولت الصحافة تصوير الدعاة إلى تحرير المرأة، بأنهم أنصارهم الذين يدفعونها إلى الحرية والعمل، والواقع غير ذلك، فإن هؤلاء هم أعداؤها الحقيقيون الذين يدعونها إلى النار، ويقودونها إلى الهاوية. وصدق الله العظيم ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[1].

آثار ادب الجنس في الغرب

نشرت «حضارة الإسلام» في المجلد الثاني ص ٤٨٨ ما يلي:

أصدرت الجمعية البريطانية أوامرها بسحب كتاب «يتزوجون» من السوق، وهو الكتاب الذي جاء فيه أن العذرية (البكارة) بين الفتيات الانجليزيات أصبحت «مودة» قديمة، وقد أعلن مؤلفا الكتاب استقالتهما من الجمعية احتجاجاً على مصادرته.

ونشرت في الصفحة نفسها ما يأتي:

زاد عدد الروائيات في بلاد الغرب زيادة كبيرة في السنوات الأخيرة، وقد تبين أن معظم إنتاجهن من الروايات الغرامية الماجنة، وقد صرح أحد الناشرين الإنجليز بأنه يتعامل مع أربعين كاتبة ينشر لهن مائتين وخمسين رواية كل سنة، ويبيع منها نحو مليون نسخة، تشتري دور الكتب العامة نحو ربعها. ودلت الإحصاءات على أن أكثر مستعيري هذه الكتب (من دور الكتب العامة) نساء في أواسط العمر حرمن من الزواج، أو فتيات وفتيان في سن المراهقة[2].

انهيار الشباب في الغرب
نتيجة لأدب الجنس

ونشرت «حضارة الإسلام» أيضاً في عددها الرابع للمجلد ص ٤٤٤ ما يلي:

في مؤتمر عقد أخيراً في الولايات المتحدة أعرب أحد الأخصائيين عن

---

(١) النساء: ٢٧ ـ ٢٨

(٢) المرأة بين الفقه والقانون ص٣٠٣.

اعتقاده بأن موجة من «هستريا الجنس» أصابت العالم في السنوات الأخيرة، وترتب عليها زيادة نسبة المواليد غير الشرعيين في أكثر العالم، ويرجع ذلك إلى تفكك الروابط العائلية، وإلى المثل السيئة التي يضربها الآباء والأمهات للأبناء والبنات، وإلى رواج الخمور والمكيفات والمثيرات الجنسية في السينما والصحف والمجلات؟

وفي العدد الثالث من المجلد الثالث من المجلة المذكورة نشرت مقالاً مترجماً بعنوان «يجب أن لا تلعنوهم» ننشره بنصه لما فيه من العظة التي ينبغي أن تفتح عيوننا وضمائرنا قبل أن يفلت الأمر فنقع في نفس ما وقع فيه الغربيون:

إن مشلكة ارتكاب الفتيان للإجرام، عادت حديثاً على بساط البحث، ففي محاضرة حول «الفتيان والشرطة» أكد الدكتور Otto Kornde أحد كبار موظفي الشرطة، أن السبب في تصرف الفتيان الإجرامي يقع بالدرجة الأولى على عاتق نضوجهم الجنسي بسرعة تفوق نموهم النفسي، إلى جانب أسباب أخرى، مثل: «كثرة الطلاق»، و«الغربة النفسية» بين الآباء والأبناء، و«الفلم» الذي يقوم بنصيبه في تعويد الفتيان «الجلافة» وحب الإجرام.

ولقد أوضح البروفسور Dinelt في بيت النقابات، أن تربية الفتيان اليوم أصعب منها في الزمن الماضي، لأن حصن الصيانة التربوي الوحيد هو العائلة السليمة، في حين أن التربية بواسطة عوامل التأثير من الوسط الخارجي، تعترضها[1].

صور الجنس في الكتب والمجلات

هناك طوفان رهيب من صور الجنس، ومجلات الجنس، وكتب

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص٣١٧.

الجنس وقصص الجنس: التي تغمر الأسواق، والتي تعاد طباعتها المرة تلو المرة الأخرى بصورة خرافية.

تجد الشباب والشابات يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار، يحسبونها سبيلاً إلى النجاة مما هم فيه، يحسبون أن فيها تلبية لرغباتهم المراهقة. وما فيها إلا سبيلاً لهلاكهم وضياع وقتهم وإلهاب غرائزهم ونزواتهم.

وجلّ هذه الكتب التي يصدرها تجار الجنس ورواد الفاحشة، تجد فيها ركاكة في الأسلوب، وخطأ في العبارة، وتفاهة في الأفكار، وإثارة وضيعة للغرائز والنزوات. فكل من أراد من هؤلاء الثروة السريعة السهلة. فبدلاً من أن تمتد يده إلى مال الدولة، فيقع تحت طائلة القانون، فإنه يلجأ إلى السرقة عن طريق مهذب: بضع وريقات عن الحب، أو عن القبلات، أو عرض للجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة، ثم بعض النماذج العارية، وحكايات عن الفنانين والفنانات، وسرداً لقصص حياتهم ومغامراتهم وذهابهم ورواحهم يذكرون عنهم حتى أتفه الأشياء لتضييع وقت الشاب والشابة. بل وجر ذلك إلى كثير من الرجال والنساء.

ثم صورة على الغلاف لفتاة من ذوات الجمال المصنوع، وتحتها كلمة حب، أو جنس ـ فإذا هو ـ في توهمه قد ضمن تجارة لن تبور، وسيلاً من المال الحرام لا ينقطع.

فعلينا نحن المسلمين التنبه لهذا السيل الجارف من الكتب والمجلات التي تضيع وقت الشباب والشابات فيما لا فائدة فيه. علينا أن لا نسمح للعملة الرديئة أن تطرد العملة الجيدة من السوق.

وإننا نحتاج إلى مزيد من الكتب الإسلامية في هذا المجال كمّاً وكيفاً، حتى نحقق ـ على الأقل ـ نوعاً من التعادل بين الثقافة الإسلامية في هذا المجال وبين السيل الطامي من الكتب التي تحمل الأفكار المسمومة والتي تنذر بالبوار وخراب الديار.

نريد أن نتيح الفرصة لشبابنا وشاباتنا كي يتعرفوا تراثهم وعقيدتهم التي تعالج مشكلاتهم، وتلبي كل احتياجاتهم من الغذاء الفكري في شتى جوانب حياتهم.

فنحن إذا لم نقدم إلى الشباب الإسلامي الحلول الإسلامية، بأسلوب يصل إلى أذهانهم، ويتناسب مع أذواقهم ومفاهيمهم، فإننا بذلك ندفعه دفعاً إلى أن يلتمسها عند الملحدين، وسدنة الجنس، وفي نفس الوقت نعطي الفرصة للحكم الجاهلي في تنفيذ تخطيطه وبرامجه، وإظهار الإسلام بمظهر العاجز عن معالجة مشكلات الحياة، ويكون ذلك عوناً لهم في إقصاء الدين كلية عن واقع الحياة في المجتمعات الإسلامية.

وتحت عنوان (طبيب العائلة يحذر):

إن الصحافة والتلفزيون حولت اليوم (الجنس) إلى تجارة استغلالية وصلت إلى القمة. نشر ملخص لما دار في ندوة جاء فيها ما يلي:

كثير من الشباب أصبح ضحايا للأمراض السرية.

وفي ندوة عقدتها الرابطة الطبية البريطانية لبحث الأمراض السرية والشباب تحدث الدكتور (C.C.Luton) صاحب عيادة في استكتلندا يتردد عليها أكثر من عشرة آلاف شخص كل عام وكان مدعواً للحديث في هذه الندوة لإذاعتها في التلفزيون البريطاني.

فبعد أن ابتدأ يذكر أن بيع الصيدليات لمواد منع الحمل للشباب تضاعف عن ذي قبل منذ ثمانية عشر شهراً وأن البنات في المدارس يستعملن في بعض الأحيان مواد منع الحمل المخصصة للذكور عملاً بالحكمة القائلة: الوقاية أولاً: نادى بضرورة الإشراف على تلك القوة التي يملكها هؤلاء لجمع المال من الجنس عن طريق التلفزيون والصحافة.

هؤلاء كما يقول: مستغلون. وليسوا شيئاً آخر سوى أنهم جاعلون من

التلفزيون والصحافة مصادر للدعارة.

ورأى أن ما يقدمه التلفزيون البريطاني اليوم من أمثال (الناس معاً في سرير) و(القسوة مع البنات واغتصابهن) كان يصدم العالم ويزعجه قبل عشر سنوات، وأن استغلال الجنس في بريطانيا الآن يدر من المال أكثر من أي شيء آخر[١].

وضرب مثلاً بما صار إليه الإختلاط الجنسي بابنة شابة اعترفت بأنها باشرت العملية الجنسية مع شاب أجنبي عنها لا تعرفه إطلاقاً من قبل، في أثناء انتظارها للفحص في عيادة طبيب لم يشغل عنها إلا لمدة عشرة دقائق في الكشف على مريض آخر[٢].

* * *

---

(١) نشرة الصنداي تايمس في ٨ من نوفمبر سنة ١٩٦٤ ص٢ الفكر الإسلامي.

(٢) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشرعية الإسلامية ص٤٦.

المبحث الثلاثون في

المراهقة

مرحلة المراهقة للفتيان والفتيات

مرحلة المراهقة التي تمر بها كل فتاة وفتى، وهي مرحلة التهاب المشاعر، وثورة العواطف، فترة الأحلام الوردية، والخيال المجنح والنظرة الحالمة.

فما إن تنفتح عيون الشباب وأسماعهم في هذه المرحلة على أغاني الحب ومسلسلات الحب، وآلام الحب الذي تبثه وتزينه أجهزة الإفساد حتى يظل الفتى شارد الفكر مسلوب القلب. أجهزة التخريب تلح عليه من الخارج والحنين إلى الجنس الآخر يدفعه من الداخل.

ويظل الفتى أو الفتاة شارداً يفكر.. يريد أن يجرّب.. ويبدأ تسجيل الأغاني وحفظها، ويشتري كتباً رخيصة تحمل بين دفتيها خطابات الغرام وعبارات العشق والهيام، ويحفظ بعض العبارات المعسولة. وينصب شباكه. وإذا في شباكه تقع فتاة. و:

لكل ساقطة في الحي لاقطة وكل كاسدة يوماً لها سوق

ومن هنا تبدأ حكاية الحب، وتظهر على المتيم أعراضه: سهر. أرق إضراب عن الطعام. أحلام يقظة. إنصراف عن المذاكرة والتحصيل وكما عبر حماد الرواية عن الحب عندما سئل عنه فقال:

الحب شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذكر، وأغصانها السهر، وأوراقها الأسقام، وثمرتها المنية.

ويعيش (قيس) يترقب خطى (ليلى) إن غابت عنه تحولت الدنيا في عينيه إلى ليال ليست لها أسحار، وظلمات لا يتخللها أنوار وإن أقبلت

عليه. فإنها الدنيا تسعى إليه، واضعة نعيمها بين يديه.

تبدأ الكلمات، وتحدد اللقاءات، وتُكتب الخطابات وتُتبادل الصور. وهنا بداية الإنحراف، وبداية النهاية في مستقبل الحبيبين المتيمين معاً.

هذا الحب هو ما يسمى بـ(حب المراهقين) أو حب (التلامذة) ولا يجني الفتى أو الفتاة من ورائه إلا تشتيت الذهن، وتبديد الطاقة، والسهر والدموع وبالتالي الإنصراف عن الدراسة وتحطيم المستقبل على صخرة العاطفة.

الشباب وجنون العاطفــة

هذا الفتى الذي سار في هذا الطريق، قد حكم على مستقبله بالضياع. فإن كان الحب من طرفه وحده يالشقائه وعذابه. وإن بادلته (ليلى) مطارحات الهوى ومساجلات الغرام، كانت الكارثة التي ينتهي بها كل حب من هذا القبيل. ولقد أعجبني هذا الشاعر الشاب القوي العزيمة الذي لم يجعل لهذه الأفكار السقيمة سلطاناً على قلبه وعقله، فتشغله عن الوصول إلى قمة المجد التي ينشدها فيقول:

سلام على من تيمتني بطرفها ... ولمعة خديها ولمحة طرفها
سبتني وأحبتني فتاة مليحة ... تحيرت الأوهام في كنه وصفها
فقلت ذريني واعذريني فإنني ... شغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاب العلم والفضل والتقى ... غنىً عن غناء الغانيات وعرفها

وهذا الذي أراد الحب أن يتسلل إلى قلبه في غفلة من عقله فيزجر قلبه ويقول له: ليس هذا أوان الحب.

وقلت لقلبي حين لج به الهوى ... وكلفني ما لا أطيق من الحب
ألا أيها القلب الذي قاده الهوى ... ارفق لا أقر الله عينك من قلب

وإني أسأل هذا الشاب أو الشابة: كيف يستبيح لنفسه أن ينشىء علاقة محرمة بفتاة لا تحل له أو لا يحل لها.

ألم يعلم أن هذا يغري أخواته بالفساد إذا اكتشفن هذه العلاقة؟ وهي لا بد أن تكشف مهما حاول أن يسدل عليها ستائر كثيفة من الإخفاء والتمويه. وماذا يكون شعوره لو علم أن أخته أو إحدى قريباته على علاقة بشاب آخر؟ هل سيثور ويفور، ويرغي ويزبد، ويقيم الدنيا ويقعدها، أم أنه سيتعامىٰ، ويغمض عينيه عما يجري حوله؟

أعتقد أن روح الشباب المتوقد فيه ونخوة الرجولة المتأصلة في نفسه، ومشاعر الغيرة على عرضه لن تجعله يدع هذه القضية لتمر بسلام.

إذ كيف يحل لنفسه ما يحرمه على غيره؟

تصف الدواء لذي السقام وذي الغنى كيمـا يصـح بـه وأنـت سقيـم

لقد جاء فتىً إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أتأذن لي في الزنى؟ فصاحَ الناسُ به، فقال النبي ﷺ: قربوه، أُدْنُ. فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ: «أتحبه لأمك»، قال: لا، جعلني الله فداءك، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟» قال: لا جعلني الله فداءك قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك» وزادت بعض الروايات أنه ذكر العمة والخالة، وهو يقول: في كل واحدة: لا. جعلني الله فداءك.

فوضع الرسول ﷺ يده على صدره، وقال: «اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه، فلم يكن شيء أبغض إليه منه ـ يعني الزنى ـ»[1].

وبهذا الأسلوب المقنع الهادىء، يدخل كلامك إلى القلوب، ويقبل الناس نصيحتك ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية.

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه التربيّة الإسلامية:

فحين يقول إنسان لنفسه:

إنّني أحس في أعماقي بحنين إلى الجنس الآخر ورغبة قوية في اللقاء بأحد أفراده، والإمتزاج معه، والإفضاء إليه، والإتحاد الكامل معه كأننا شخص واحد ولا شخصان منفصلان هذا الإحساس ليس عيباً في ذاته ولا قذارة، إنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، كل الرجال والنساء يشعرون بهذا الحنين وهذه الرغبة، ولا بد أن يشعروا بها ليحققوا غاية الحياة، ويحفظوا النوع على وجه الأرض.

والتركيب الجسمي يشير إلى هذه الوظيفة. ففزيولوجياته وبيولوجياته كلها مهيأة للقيام بهذه الوظيفة على وجهها الأكمل. لتنتج أجيالاً جديدة من الحياة، وهو أمر لا يتم بغير لقاء زوجين.

وحين أحس بهذا الإحساس وهذا الميل، فأنا سائر مع الفطرة في إتجاهها السليم.

ولكن ليس معنى هذا أن يكون التفكير في مسائل الجنس هو شغلي الشاغل، وهمي المقعد المقيم، فالحياة ليس جنساً خالصاً، ولا هي محصورة في هدف واحد إن علي تبعات تجاه نفسي وتجاه الناس.

وكذلك لا يصح أن أخطف فتاة ما لأقضي معها رغبة جنسية فهذه الفتاة ليست لي، لا أملكها لنفسي حتى أتصرف في شأني وشأنها على هذا الوضع. إن لها عرضاً يكافىء عرضي ولا يجوز لي أن أدنسه. إني أحب أن يكون عرضي نظيفاً طاهراً لم يدنسه شيء، فلأحافظ على عرض هذه الفتاة أيضاً.

وإني أحب حين تكون لي زوجة أن تكون نظيفة. أن تكون خالصة لي بروحها وجسمها جميعاً. فلأترك هذه الفتاة إذن نظيفة لمن ستكون زوجاً له، فلأتركها له خالصة كما أحب أن تكون زوجتي خالصة لي.

ولو أنها رضيت رضاء بأن أقضي معها رغبة الجنس، أو دعتني هي إلى ذلك فلا فارق. إنه لا يجوز لي. إنها كالحارس الذي يدعو الناس إلى سرقة المال الذي يحرسه، فذلك لا يعطي الناس الحق في السرقة، لأن الحارس لا يملك المال في الحقيقة. وهذه الفتاة الحارسة على عرضها لا تملك التصرف فيه، ولا دعوة الناس إلى اغتصابه. إنه ليس عرضها وحدها، إنه عرضها وعرض والديها وعرض أسرتها وعرض مجتمعها وعرض الإنسانيةإنه عرض الأمانة التي ائتمن الله عليها البشر، وينبغي له أن يرد والأمانة نظيفة كما تلقوها، كاملة كما تسلموها إلا بحقها الذي نص عليه صاحب الحق.

الفتاة التي تلعب بالنار

وهذه الفتاة التي رضيت أن تسلك هذا الطريق الوعر الحافل بالمخاطر والأشواك التي يمكن أن تمزق عنها ثياب العفة.

كيف تلعب بالنار؟ النار التي تحرق سمعتها وتدمر مستقبلها، أما علمت أن شرف الفتاة كالثوب الأبيض، وهذه العلاقة تظل نقطة من مداد أسود في شرفها الناصع البياض؟

أما علمت أن الحياة مليئة بالخداع والمكر، حافلة بالذئاب الماكرة في لباس البشر؟.

أيتها الفتاة.

إن فيك الرقة، وفيك الوداعة، وفيك البراءة، وفي قلبك الرقيق ينابيع الحب والرحمة والحنان. لا تمنحيها لأول طارق، واحتفظي بها، وادخريها لزوجك، لفارس أحلامك، لأسرتك التي لا تقوم إلا بهذه العواطف النبيلة.

لا تصدقي كلام الأفلام والمسرحيات والأغاني، فإنها (أَكْلُ عيش) فهؤلاء يبنون ناطحات السحاب على أنقاض صروح الفضيلة، ويرفلون في

أثواب الترف، ويتقلبون في أحضان النعيم، إذا انهارت الأخلاق، وسادت الرذيلة، وراحت متطلبات الدعارة.

هؤلاء الذين ترينهم يمثلون أمامك أدوار الحب والغرام من أتعس خلق الله وأشقاهم في واقع الحياة.

كحامل لثياب الناس يغسلها وثوبه غارق في الرجسِ والنجسِ

إن الفتاة التي تراسل الفتى أو تعطيه صوراً، فكأنما تهديه حياتها ومستقبلها. وهي الوسائل التي تُمَكِّنُه من ابتزازها تحت ضغط أدلّةِ الإدانة التي تَحَفَّظَ عليها، وربما دَعَتْه الظروفُ إلى إشهار هذا السلاح لينتقم منها ويشهِّر بها، ويهدم صرح حياتها. والفشل في الحب يصنع الكوارث.

هذا الفتى الذي يرسل إليك الخطابات يشكو فيها حرقة الجوى ولوعة النوى، ويصف فيها ورد الخدود، ورمان النهود، وأغصان القدود. احذريه.

إنه ذئب ماكر في ثوب محب ولهان.. يتسلى بك، ويضحك عليك، ويتخذك متنفساً مؤقتاً لعواطفه.. إنه يضعُ طُعْمَة في الشبكة والفخ.. وطعمة الألفاظ المعسولة، وتكلف البطولة، والمفاهيم المزيفة باسم التحرر والإنطلاق، والتمتع بالحياة، والتفكير العصري.

إنه بطُمْعِه هذا يحاول أن يستغل براءتك ليخدر أحاسيسك ومشاعرك ويحصل على أقصى ما يستطيع منك من متعة رخيصة ليمضي هو خفيفاً.

ثم تروح السكرة وتأتي الفكرة، وتنظرين حواليك لتجدي جيوش الفضيحة والعار تهزك بعنف، وتحيط بك من كل جانب.

هذا المحب الذي سهر الليالي، وعد النجوم، وشكا همومه إلى النسيم، وأخلصت له (ليلاه) وأعطته جسمها وعرضها.

هذا الثعلب الماكر لو قدِّر له أن يخطب عروساً في اليوم التالي لتكون زوجة له وأماً لأولاده.. لما اختار مثل هذه زوجة أبداً.. إنه سيجتهد في

البحث، ويحقق ويدقِّق، ويحلل ويمحص، ويسأل ويتساءل.. يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.. لماذا؟

لأنه أصيب بالشك، فهو يخاف أن يسقط على إنسانة ملوثة كما لوث هو الأخريات. وهكذا ذهب الحب (المزعوم) وتبخر وتلاشىٰ مع أول جريمة صنعها أو قبلة اختلسها، وألقى بحبيبة القلب إلى عرض الطريق كما يلقي المدخن عقب (سيجارته) بعد أن قضى منها وطره، وأشبع نهمه ليدوسها كل من يمر بها دون أن يلقي لها بالاً.. ويتولى عنها ولسان حاله يقول:

لا تـأمـن الأنثىٰ حبتـك بـودهـا إن النسـاء ودادهـن مقسـم
اليـوم عنـدك دَلُّهـا وحـديثهـا وغـداً لغيـرك كفهـا والمعصـم

ونتيجة لهذا الحب الأرعن تصاب الفتاة بالإحباط، وتلعن الحب، وتلعن معه كل الرجال، وتنطوي على نفسها يطاردها ماضيها الأليم، وتجتر ذكريات الأسى ليذيقها الضمير أبشع ألوان العذاب، وكأنه وقدات تلذع قلبها.. وربما كان الفعل أقوى فتسمم حياتها الزوجية، وتنتقم من الحب الهارب في صورة زوجها المسكين!!.

إن الرجل يحب في الفتاة شرفها وفضيلتها.. يحب فتاة بلا ماض.. فتاة عذراء الروح.. بكر الفؤاد، لم يَستهلك طاقة الحب في قلبها الرقيق بشر، ولم يلوث جسدَها الطاهر إنسان.

هذه الفتاة هي التي تُلهب مشاعر الفتى، وتجعله يلهث وراءها، لا أقصد الذي يريد أن يلهو ويتسلى بها، ولكنه الذي يريد الزواج. الذي يريد حباً مع النفاد..

وإننا لنجد في تراثنا العربي شمم المرأة العربية وأنفتها حين تقف قوية المراسي أمام عواطفها..

قيل لعتيبة بعد موت عاشقها: ما كان يضرك لو أمتعته بوجهك؟ قالت: منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار، ومخافة الجبار.. وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه غير أني أجد ستره أبقى للمودة، وأحمد للعاقبة، وأطوع للرب، وأخف للذنب[1].

يقول مصطفى صادق الرافعي:

احذري أن تخدعي عن نفسك. إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة إن الكلمة الخادعة إذ تقال لك، هي أخت الكلمة التي تقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق.

يَغْتَرُّونك بكلمات الحب أو الزواج، والمال، كما يقال للصاعد إلى الشناقة: ماذا تشتهي؟ ماذا تريد؟

الحب؟ الزواج؟ المال؟ يا لحم الدجاجة.. بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب.. أيتها الشرقية.. احذري..

إحذري السقوط، إن سقوط المرأة لهوله وشدته ثلاثة مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدوها، وسقوط من توجدهم..

نوائب الأسرة كلها قد يسترها البيت، إلا عار المرأة. فيد العار تقلب الحيطان كما تقلب اليد الثوب فتجعل ما لا يرى هو ما يرى.. والعار حكم ينفذه المجتمع كله، فهو نفي من الإحترام الإنساني.

أيتها الشرقية احذري، احذري..

لو كان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان مئذنة ووقف يؤذن عليها..

يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة، كما يفرح أب غني بمولود جديد

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ص٣٣٦.

في بيته. . واللص والقاتل والسكير، والفاسق، كل هؤلاء على ظاهر الإنساينة كالحر والبرد. . أما المرأة حين تسقط، فهذه من تحت الإنسانية هي الزلزلة. . ليس أفظع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض، إلا عار المرأة حين يشق الأسرة. .

أيها الشرقية. . احذري، احذري[1].

* * *

(١) وحي القلم جـ١ ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.

نصيحة أشهر ممثلة في الإغراء

للمراهقات بعد انتحارها

نشرت «حضارة الإسلام» في عددها الثالث للمجلد الثالث ص ٣٣١ ما يلي:

اكتشف المحقق الذي يدرس قضية انتحار مارلين مونرو رسالة محفوظة في صندوق الأمانات في مانهاتن بانك في نيويورك.

القت هذه الرسالة بعض الأضواء على انتحار مونرو: إذ وجد على غلافها كلمة تطلب عدم فتح هذه الرسالة قبل وفاتها.

فتح المحقق الرسالة، وجدها مكتوبة بخط مونرو بالذات، وهي موجهة إلى فتاة تطلب نصيحة مارلين على الطريق إلى التمثيل. .

قالت مارلين في رسالتها إلى الفتاة وإلى كل من ترغب بالعمل في السينما:

احذري المجد. . احذري كل من يخدعك بالأضواء. . إني أتعس امرأة على هذه الأرض. . (لم أستطع أن أكون أماً. .)إني امرأة أفضل البيت. . الحياة العائلية الشريفة على كل شيء. . إن سعادة المرأة الحقيقة في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية، وتقول في النهاية:

لقد ظلمني كل الناس. . وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة. إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل إذا كن عاقلات كنهايتي.

كيف تعيش ممثلات هوليـود؟

وجاء في الصفحة نفسها من العدد المذكور:

هذا السؤال وجه إلى بطل أفلام رعاة البقر المشهور (هيك أوبريان) فأجاب: إنهن كالمسحورات.. أمنية الواحدة منهن أن تضيف إلى شعرها الأشقر صبغة جديدة، وأن تستعمل آخر مبتكرات مساحيق ماكس فاكتور، ناسية أن الجمال لا يدوم، وأن الجمهور لا يرحم.. وسريع النسيان.. وهوليود تعرف كيف تفتك بهؤلاء الممثلات اللواتي لا يعرفن السعادة ابداً.. وترى الواحدة منهن قبل أن تكبر تفضل الموت على الحياة.

وسئل عن رأيه في انتحار الممثلة المشهورة مارلين مونرو فقال: كنت في لندن عندما سمعت بموتها ولقد صدمت لهذا الخبر.. إن هوليود هي السبب المباشر بمقتلها، وإن هوليود تتحكم بعمالقة السينما فترفعهم ساعة تشاء.. وتقضي عليهم ساعة تشاء.. لقد قست هوليود كثيراً على مارلين وعاملتها معاملة احتقار بعد أن استغلتها.. وهذه الطريقة من المعاملة لها أخصائيون في هوليود، إنهم يعرفون وفي الوقت المناسب، كيف يقضون على الفنان الذي يكون قد أمضى زهرة شبابه تحت أضواء الاستديو والنظام القاسي المعمول به.. ولا أريد أن أتكلم بأكثر من ذلك لأن ظروفي لا تسمح لي.

وقال: لقد كنت على علم بأنها ستموت قبل أن تموت.. كنت أنتظر لها مثل هذه النهاية التعيسة.. وأضاف يقول إن فاتنات هوليود أكثر نساء العالم تعاسة! إنهن دمى بيد تجار هوليود، وما على الفنانة لكي تصل إلى الشهرة إلا أن تبيع نفسها وإرادتها وكرامتها، ثم لا تلبث أن تأتيها الضربة القاصمة بعد أن ينتهي دورها وتستنفذ مواهبها.

* * *

المبحث الحادي والثلاثون في

بعض المحرمات على النساء

كشف العورة في الصلاة

متى انكشف من المرأة الحرة شيء في الصلاة سوى وجهها أعادت الصلاة وينبغي أن يكون ساتر المرأة لا يصف البشرة على الدوام، وبخاصة في الصلاة[١]. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله تعالى صلاة الحائض إلا بخمار» أخرجه أبو داود والترمذي. والمراد بالحائض: البالغة.

خروج المرأة للصلاة

هذا الخروج مباح لها، فإن خافت أن تفتن برؤيتها فلتصل في بيتها.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها» أخرجه الثلاثة وأبو داود.

الصوم إلا بإذن الزوج

ويجوز قضاء رمضان متفرقاً، ويجوز تأخيره إلى ما قبل رمضان[٢] وإذا ثبت أنه يجوز للمرأة أن تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان فلا يجوز لها أن تتطوع، وعليها القضاء، نص عليه أحمد[٣].

فإذا أصبحت يوماً وقد نوت القضاء لم يجز أن تفطر ذلك اليوم، لأنه قد تعين بتعيينها[٤].

ولا يجوز للمرأة أن تطوع إلا عن إذن زوجها. عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) أحكام النساء لابن الجوزي،

(٢) المغني ٣/ ١٩٦.

(٣) المغني ٣/ ١٥٤.

(٤) المغني ٣/ ١٦٠.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً من غير شهر رمضان إلا بإذنه» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها، فأرادها على شيء فامتنعت عليه، كتب الله عليها ثلاثاً من الكبائر»[1].

وفي الحديث كذلك: نهى رسول الله النساء أن يصمن إلا بإذن أزواجهن[2].

الغيرة

وقد تخرج الغيرة بالمرأة إلى معصية الزوج، فيجب على المؤمنة أن تحمل نفسها على الصبر إذا كانت لها ضرة.

النهي عن تعليق التمائم

عن عبد الله أنه دخل على امرأته، وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» فقلنا: هذه الرقى والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: شيء يجعله النساء لأزواجهن يتحببن إلى أزواجهن[3].

قال ابن عقيل: لا يجوز التعوذ بالطلسمات والعزائم بأسماء الكواكب والصور وما على النجوم من النقوش، إذ كل هذا منهي عنه، وإنما التعوذ بالقرآن.

إثم الجار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم

(١) الأوسط ١/ ٤٤ ومجمع الزوائد ٣/ ٢٠٠.

(٢) ابن ماجه ١/ ٥٦٠ في الصوم.

(٣) ابن ماجه ٢/ ١١٦٦ في الطب موارد الظمآن ٣٤٢.

النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها قال: «لا خير فيها هي في النار» قالوا: يا رسول الله إن فلانة تصلي المكتوبة وتتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها قال: «هي في الجنة»[1].

النهي عن حبس الهرة

عن أبي هريرة وعن نافع، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها حتى ماتت فلم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض»[2].

نهي النساء عن سب الحمى

عن جابر قال: دخل رسول الله ﷺ على أم السائب. فقال: ما لك تزفزفين؟ فقالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد» أخرجه مسلم.

أصل الزفيف: الحركة الشديدة. كأنه سمع ما عرض لها من رعدة الحمى[3].

نهي الحائض عن دخول المسجد

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب» أخرجه أبو داود[4].

منع المرأة العطية إلا بإذن زوجها

لما فتح النبي ﷺ مكة قام خطيباً فقال: «ألا لا يجوز لامرأة عطية إلا

---

(١) الأدب المفرد ٤١ المسند ٢/ ٤٤٠ مجمع الزوائد ٨/ ١٦٨.

(٢) البخاري ٢/ ٥٢ مسلم ٤/ ١٧٦٠ ابن ماجه ٢/ ١٤٢١.
وخشاش الأرض: هوامها وحشراتها.

(٣) حسن الأسوة ٤٣٩.

(٤) حسن الأسوة ٤٧٣.

بإذن زوجها. وفي رواية لا يجوز لامرأة أمر في مالها إذا ملك زوجها عصمتها» أخرجه أبو داود والنسائي[1].

ولادة الأمة ربتها

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث طويل يقال له حديث جبريل عليه السلام، قال: «فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها. الحديث» أخرجه الشيخان وغيرهما.

كتمان ما في الأرحام

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قيل: المراد به الحيض، وقيل: الحمل. وقيل: كلاهما.

ووجه النهي عن الكتمان: ما فيه في بعض الأحوال من الإضرار بالزوج وإذهاب حقه.

فإذا قالت المرأة: إنها حاضت وهي لم تحض. ذهبت بحقه من الإرتجاع وإذا قالت: إنها لم تحض وهي قد حاضت ألزمته من النفقة ما لم يلزمه فأضرت به.

وكذلك الحمل، ربما تكتمه لتقطع حقه من الإرتجاع، وربما تدعيه لتوجب عليه النفقة ونحو ذلك من المقاصد المستلزمة للإضرار بالزوج.

وقد اختلفت الأقوال في المدة التي تُصَدَّقُ فيها المرأة إذا ادّعت انقضاء عدتها. وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفياً وإثباتاً.

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فيه وعيد شديد للكاتمات، وبيان أن من كتمت ذلك منهن لم تستحق

---

(١) حسن الأسوة ٥٠٥.

اسم الإيمان. وهذا الشرط ليس للتقييد، بل للتغليظ، حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن العدة أيضاً[١].

فسق النساء وطغيانهن

عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا فسق فتياتكم وطغى نساؤكم؟ قالوا: يا رسول الله، وإن ذلك لكائن؟ قال: نعم وأشد» رواه رزين[٢] وعن ابن مالك ـ أو أبي عامر الأشعري ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير، والخمر والمعازف» أخرجه البخاري.

المراد بالحر: الزنا وفيه ذكر مسخهم قردة وخنازير[٣].

خيانة الأنثى

عن ابن قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» أخرجه الشيخان.

وخيانة آدم لحواء: هي ترك النصيحة له في الأكل من الشجرة لا في غيرها[٤].

سخرية النساء فيما بينهن

قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾.

(ولا) يسخر (نساء من نساء عسى أن يكن) المسحور بهن (خيراً منهن) يعني من الساخرات بهن. أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر.

---

(١) حسن الأسوة ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) رواه بأصغر منه أبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة.

(٣) حسن الأسوة ٤٤٦.

(٤) حسن الأسوة ٤٥٤.

قال ابن عباس: نزلت في صفية بنت حيي. قال لها بعض نساء النبي ﷺ: يهودية بنت يهودي، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

فالأمر بالإستهزاء منهي عنه كل امرأة تريد أن تنتقص غيرها.

وما أكثر ما يقع الإستهزاء من النساء في مجالسهن، إذ يحلو لهن ذلك ويتمادين فيه، لذلك خصهن بالذكر، فلم يكتف بدخولهن تحت قوله (قوم).

سؤال المرأة طلاق أختها

عن أبي هريرة قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يخطب المرء على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها)[2].

فطلب المرأة طلاق أختها أو صديقتها أو صاحبتها حرام وهذا يحصل من الاختلاط والتبرج والسمر والسهر رجالاً ونساءً فيعجبها زوج أختها أو زوج صديقتها وتعجبه فيحصل الطلاق بسبب ذلك.

* * *

---

(١) حسن الأسوة ٢١٨.

(٢) أخرجه الستة حسن الأسوة ٢٧١.

المبحث الثاني والثلاثون في

بعض الأحكام المتعلقة بالمرأة

التلثم[1] وغطاء الفم

يكره أن يصلي الرجل وهو متلثم لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يغطى الرجل فاه في الصلاة»[2]. ويكره أن يضع يده على فمه في الصلاة إلا إذا تثاءب، فإن السنة وضع اليد على فيه، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل».

والمرأة والخنثى كالرجل في هذا. وهذه كراهة تنزيه لا تمنع صحة الصلاة[3] والله أعلم.

وأما التلثم على الأنف فعلى روايتين:

إحداهما: يكره لأن عمر كرهه.

والأخرى: لا يكره لأن تخصيص الفم بالنهي عن تغطيته تدل على إباحة تغطية غيره[4].

انتقاب المرأة في الصلاة

يكره أن تنتقب المرأة وهي تصلي لأنه يَحُلْ مباشرة المصلَّى «مكان السجود من الأرض» بجبهتها وأنفها ويجري مجرى تغطية الفم للرجل، وقد نهى النبي ﷺ عنه، قال ابن عبد البرّ: وقد أجمعوا على أن على المرأة أن تكشف وجهها في الصلاة والإحرام[5].

---

(١) التلثم: أن يغطي الرجل فاه بيده أو غيرها.

(٢) رواه أبو داود ١/ ١٥٠.

(٣) المجموع ٣/ ١٨٥.

(٤) المغني ١/ ٥٨٥.

(٥) المغني ١/ ٦٠٣.

وجاء في شرح الدردير على مختصر خليل كراهة انتقاب المرأة، أي تغطية وجهها بالنقاب، وهو ما يصل للعيون لأنه من الغلو وهو مكروه مطلقاً في الصلاة وخارجها[١]. والرجل من باب أولى ما لم يكن من قوم عادتهم ذلك[٢].

رحمـــة المرأة للحيـــوان

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطوف ببئر، وقد أدلع لسانه من شدة العطش، فنزعت موقها، فغفر لها به»[٣].

تعزيـــة الثكلى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عزّى ثكلى، كُسي برداً في الجنة» أخرجه الترمذي.

لزوم المرأة بيتها بعد قضـــاء فرض الحـــج

عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «هذه، ثم ظهور الحصر». قال: وكنّ كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا ذلك من النبي ﷺ. وقال إسحاق في حديثه قالتا: والله لا تحركنا دابة بعد قول رسول الله ﷺ: «هذه، ثم ظهور الحصر».

---

(١) شرح الدردير على مختصر خليل ١/ ٩٣.
(٢) كتاب اللباس والزينة ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
(٣) أخرجه أبو داود والبغي: المرأة الزانية.
الموق: الخف.

رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن، ورواه عن صالح مولى التوأمة ابن أبي ذئب، وقد سمع منه قبل اختلاطه.

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «هي هذه الحجة، ثم الجلوس على ظهور الحصر في البيوت» رواه الطبراني في الكبير، وأبو يعلى، ورواته ثقات.

ورواه الطبراني في الأوسط، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ لما حج بنسائه قال: «إنما هي هذه، ثم عليكم بظهور الحصر».

شهادة النفساء وبكائها على الموتى

عن عبادة بن الصامت، في حديث طويل: «وفي النفساء يقتلها ولدها جمعاً شهادة». رواه أحمد والطبراني، واللفظ له، ورواته ثقات. الجمع، مثلثة الجيم: أي ماتت وولدها في بطنها، يقال ماتت المرأة بجمع: إذا ماتت وولدها في بطنها، وقيل: إذا ماتت عذراء أيضاً.

وعن ربيع الأنصاري: «أن رسول الله ﷺ عاد ابن أخي جبير الأنصاري، فجعل أهله يبكون عليه، فقال لهم جبير: لا تؤذوا رسول الله ﷺ بأصواتكم، فقال رسول الله ﷺ: دعهن يبكين ما دام حياً، فإذا وجب فليسكتن. . إلى قوله: والنفساء بجمع شهادة» رواه الطبراني، ورواته محتج بهم في الصحيح. إذا وجب: أي إذا مات.

وعن راشد بن حبيش في حديث طويل، يرفعه: «والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة. . الحديث». رواه أحمد بإسناد حسن، وراشد صحابي معروف.

وعن عقبة بن عامر، مرفوعاً «النفساء في سبيل الله شهيد». رواه النسائي.

وعن جابر بن عتيك: «أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت، فوجده قد غلب عليه، فصاح به فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال:

غلبنا عليك يا أبا الربيع، فصاحت النسوة وبكين، وجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال له النبي ﷺ: دعهن، فإذا وجب فلا تبكين باكية، قالوا وما وجب يا رسول الله؟ قال: إذا مات. . إلى قوله: والمرأة تموت بجمع شهيد». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه.

عتق النســاء المؤمنــات

عن أبي أمامة، وغيره من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي. قال: «أيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار، يجزي كلُّ عضو منهما عضواً منه» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه من حديث كعب بن مرة، ورواه أحمد وأبو داود بمعناه من حديث كعب، وزاد: «وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار، يجزي كل عضو من أعضائها عضواً من أعضائها».

وعن عقبة بن عامر، يرفعه: «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار». رواه أحمد بإسناد صحيح واللفظ له، وأبو داود والنسائي وأبو يعلى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. الرقبة: تعم المرء والمرأة.

وعن عبد الرحمن بن عوف، في حديث طويل، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فهي فكاكها من النار، يجزي بكل عظم منها عظماً منها. وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين فهما فكاكه من النار، يجزي بكل عظمين من عظامهما عظماً منه». رواه الطبراني، ولا بأس بروايته، إلا أن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه[1].

(١) حسن الأسوة ٥١٩.

إجابة المرأة المؤذن

عن ميمونة: «أن رسول الله ﷺ قام بين صف الرجال والنساء فقال: يا معشر النساء، إذا سمعتم أذان هذا الحبشيِّ وإقامته، فقلن كما يقول، فإن لكن بكل حرف ألف ألف درجة، قال عمر: هذا للنساء، فما للرجال؟ قال: ضعفان يا عمر» رواه الطبراني في الكبير وفيه نكارة.

* * *

المبحث الثالث والثلاثون في

أحكام تخالف فيها المرأة الرجل

الأحكام التي تخالف فيها المرأة الرجل

١ ـ السنة في عانتها النتف.

٢ ـ لا يحسن خفافها.

٣ ـ يحسن حلق لحيتها.

٤ ـ تمنع من حلق شعر رأسها.

٥ ـ منيُّها لا يطهر بالفرك على قول.

٦ ـ تزيد في أسباب البلوغ بالحيض والحمل.

٧ ـ يكره أذانها وإقامتها.

٨ ـ بدنها كله عورة إلا وجهها وكفيها.

٩ ـ صوتها عورة في قول.

١٠ ـ يكره لها دخول الحمام.

١١ ـ لا ترفع يديها حذاء أذنيها بل حذاء منكبيها.

١٢ ـ لا تجهر بقراءتها.

١٣ ـ تضم فخذيها في ركوعها وسجودها.

١٤ ـ لا تفرج بين أصابعها في الركوع.

١٥ ـ إذا نابها شيء في صلاتها صفقت ولا تسبح.

١٦ ـ تكره جماعتهن وأن يقف الإمام وسطهن.

١٧ ـ لا تصلح إماماً للرجال.

١٨ ـ يكره حضورها جماعة الصلاة في المسجد، وصلاتها في بيتها أفضل.

١٩ ـ تضع يمينها على شمالها تحت ثديها، وتضع يديها في التشهد على فخذيها حتى تبلغ رؤوس أصابعها ركبتيها.

٢٠ ـ تتورك في حال جلوسها للتشهد.
٢١ ـ لا يستحب في حقها الإسفار بالفجر.
٢٢ ـ لا جمعة عليها، ولكن تنعقد بها.
٢٣ ـ لا تسافر إلا بزوج أو محرم.
٢٤ ـ لا يجب الحج عليها إلا بزوج أو محرم.
٢٥ ـ لا تلبي جهراً.
٢٦ ـ لا تنزع المخيط.
٢٧ ـ لا تسعى بين الميلين الأخضرين.
٢٨ ـ لا تحلق إنما تقصر.
٢٩ ـ لا ترفل.
٣٠ ـ التباعد في طوافها عن البيت أفضل.
٣١ ـ لا تخطب مطلقاً لا في الجمعة ولا في غيرها.
٣٢ ـ تقف في حاشية الموقف لا عند الصخرات، وتكون قاعدة، وهو راكب.
٣٣ ـ تلبس في إحرامها الخفين.
٣٤ ـ تترك طواف الصدر لعذر الحيض، وتؤخر طواف الزيارة لعذر الحيض.
٣٥ ـ تكفن في خمسة أثواب.
٣٦ ـ لا تؤم في صلاة جنازة الرجال.
٣٧ ـ لا تحمل الجنازة وإن كان الميت أنثى.
٣٨ ـ يندب لها نحو القبة في التابوت.
٣٩ ـ لا سهم لها، وإنما يرضخ لها إن قاتلت.
٤٠ ـ لا تقتل المرتدة والمشركة، بل تحبس المرتدة حتى تسلم وتؤسر المشركة.
٤١ ـ لا تقبل شهادتها في الحدود والقصاص.

٤٢ ـ يباح لها خضب يديها ورجليها بخلاف الرجل إلا لضرورة.
٤٣ ـ هي على النصف من الرجل في الإرث والشهادة والدية نفساً وبعضاً.
٤٤ ـ هي على النصف من الرجل في نفقة القريب ذي الرحم المحرم الفقير العاجز عن الكسب كما لو كان له عم وأم، أو أم وأخ لأب وأم أو لأب، فعلى الأم الثلث، وعلى العم أو الأخ الثلثان على قدر الميراث.
٤٥ ـ بُضعها مقابل بالمهر دون الرجل.
٤٦ ـ تجبر الأمة على النكاح دون العبد في رواية.
٤٧ ـ الأمة تخير إذا عتقت، بخلاف العبد، ولو كان زوجها حراً.
٤٨ ـ لبنها محرم في الرضاع دونه.
٤٩ ـ تقدم على الرجال في الحضانة.
٥٠ ـ تقدم في النفقة على الولد الصغير.
٥١ ـ تقدم على الرجال في النفر من مزدلفة إلى منى، وفي الإنصراف من الصلاة.
٥٢ ـ تؤخر في جماعة الرجال والموقف.
٥٣ ـ تؤخر في اجتماع الجنائز عند الإمام، فتجعل عند القبلة والرجل عند الإمام.
٥٤ ـ تؤخر في اللحد، ولا يدفن اثنان وثلاثة في قبر واحد إلا عند الحاجة، فيوضع الرجل مما يلي القبلة، ثم خلفه الغلام، ثم خلفه الخنثى ثم خلفه المرأة.
٥٥ ـ تجب الدية بقطع ثديها أو حلمته بخلافه من الرجل فإن فيه الحكومة.
٥٦ ـ لا قصاص بقطع طرفها، بخلاف الرجل.
٥٧ ـ لا قسامة عليها.
٥٨ ـ لا تدخل مع العاقلة، فلا شيء عليها من الدية لو قتلت خطأً بخلاف الرجل فإن القاتل كأحدهم.
٥٩ ـ يحفر لها بالرجم إن ثبت بالبينة أو الإقرار.

٦٠ ـ تجلد جالسة والرجل قائماً.

٦١ ـ لا تنفى سياسة، وينفى هو عاماً بعد الجلد سياسة لا حداً.

٦٢ ـ لا تكلف الحضور للدعوى إذا كانت محذرة ـ أي لزمت الحذر ـ ولا لليمين بل يحضر إليها القاضي أو يبعث نائبه يحلفها بحضرة شاهدين.

٦٣ ـ لا تبتدى الشابة بسلام وتعزيه.

٦٤ ـ لا تجاب ولا تشمت ـ يعني لو بدأت بالسلام بصوت مسموع.

٦٥ ـ تحرم الخلوة بالأجنبية، ويكره الكلام معها.

٦٦ ـ النساء لا تدخل في الغرامات السلطانية من القسمة.

هذه الأحكام نقلناها مختصرة من كتاب حسن الأسوة ص ٥٨١ ـ ٥٩٢.

فمن أراد البيان أو التفصيل فليرجع إليه أو إلى كتب الفقه المطولة ففيها البيان الواضح والشافي. أما هنا فمجرد عناوين، وبعضها على رأي البعض للعلم به.

* * *

كلمة أخيرة

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(١).

إن من أقوى الغرائز التي ركبها الله في جسد الإنسان غريزة الجنس، وقد جعلها الله هكذا لأهداف سامية وحقائق عاليه تستهدف عمارة الكون وعبادة الخالق. والجنس: هو نقطة الضعف التي يمكن للشيطان أن يتسلل من خلالها ليخرب الكون ويقلب نظام الحياة رأساً على عقب، ويعطل رسالة الحياة. يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾(٢).

قال سفيان الثوري تعليقاً على ضعف الإنسان الوارد في الآية:

(المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها ولا ينتفع بها، فأي شيء أضعف من هذا؟).

فإذا راقب الله تعالى في نظره وعرف أن النظر إليها محرم، وأن نظره هذا لا يجلب عليه إلا الحسرات وعدم الفائدة فعليه أن يتقي الله ويكتفي

---

(١) النساء: ١.

(٢) النساء: ١٧ ـ ١٨.

بما أحل الله له، إن كان متزوجاً، وإن كان عَزَباً عليه أن يصوم فإنه له وجاء.

قال ﷺ: «ما تركتُ بعدي فتنة هي أضرُّ على الرجال من النساء»(١).

وقال ﷺ: «اتقوا النساء فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المرأة تُقبل في صورة شيطان، وتُدْبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يُعجبه فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه»(٣) ولما كانت لغريزة الجنس هذا السلطان الطاغي على النفس البشرية فإننا نجد أن الإسلام وضع لها الضوابط، وقنن لها القوانين، وعبّد لها الطريق، وأقام عليها الإشارات التي تضبط حركتها في الحياة حتى لا تصطدم بسنة الله في الخلق، وبدون الإلتزام بهذا التنظيم والتقيد به يضيع الإنسان وينفلت وراء تلك الغريزة الجامحة.

انظر ماذا يحدث لسائق مجنون لا يلقى بالاً للإشارات حمراء أو صفراء!! يقول جيمس رستويه مشيراً إلى خطورة هذه الغريزة:

(إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية).

حارب الإسلام الرهبانية التي تجعل الإنسان متفرغاً للعبادة، عازفاً عن الدنيا منقطعاً عن إشباع عواطفه وغرائزه.

فدعا للزواج سنة الحياة حيث قال ﷺ: «وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» ولم يصم الإسلام هذه الغريزة بالقذارة ولا الدنس طالما

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

كان إشباعها على النحو الذي رسمه الإسلام لها. قال ﷺ: «ولك في جماع زوجتك أجر. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[1].

ولم يجامل الإسلام الرجل أو المرأة في هذا المطلب الفطري فجعل لكل من الزوجين الحق في الحصول على إشباع حاجاته الجسدية، ولقد قرر ذلك بصورة لا يمكن أن تُرى إلا في هذا الدين. جعل الإسلام هذا الإشباع الجنسي يتم في إطار من الإنسانية بعيداً عن روح الحيوانية الجائعة، وراعى في ذلك مشاعر المرأة لأنها الجانب الذي يغلب عليه الحياء في هذا السبيل، وجعل الإسلام هذا العلم محاطاً بالكتمان بين الرجل وزوجته، مرهوناً بوقته دون أن يستحوذ على تفكير المسلم وطاقته، فيتفرغ لنفسه وشؤونه ورسالته في الحياة.

وهذا القرآن الكريم المربي الأول عندما يتحدث عن الجنس، يتحدث بالأسلوب الذي يؤدي الغرض ولا يخدش الحياء، وإذا صادف المسلم حديثاً صريحاً عن العورة في القرآن أو السنة، فإنما يكون ذلك حيث لا يغني عن اللفظ غيره في مكانه، ولا يقوم لفظ آخر بمعناه الذي يفهم فيه الأمر أو النهي أو التوجيه.

وياليت اللاغين في الحديث من أصحاب المجالس الجنسية ـ وما أكثرها ـ ليتهم يعون هذا ويتأدبون بأدب القرآن.

إن في ديننا الإسلام غناء كل الغناء عن غيره لو تقيدنا به، وسرنا على أدبه علينا أن نتنبه لما يراد بالإسلام والمسلمين من أعدائه، الذي يخططون، لا يكلون ولا يتعبون، يخططون ويرسمون كل ما هو شر

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

لنا ولدينا، يوجهون وسائل الإعلام المختلفة للقضاء على أوقاتنا ونسائنا وبناتنا وشبابنا وشاباتنا فهل نتنبه، هل نعقل، هل نتفهم، هل نرجع إلى الله.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[1].

ألا هل بلغت اللهم اشهد.

* * *

(١) الذاريات: ٥٠.

المراجع

١ ـ الحجاب بين الإفراط والتفريط د. صبري المتولي المتولي ط دار الكلم الطيب ودار ابن كثير.

٢ ـ شخصية المرأة المسلمة د. محمد علي الهاشمي ط دار البشائر الإسلامية.

٣ ـ ماذا وراء الأبواب أم سليمان.

٤ ـ المرأة المتبرجة وأثرها السيء في الأمة عبد الله التليدي ط دار ابن حزم.

٥ ـ تفسير الطبري.

٦ ـ تفسير القرطبي.

٧ ـ تفسير ابن كثير.

٨ ـ التبرج والإحتساب عليه عبيد بن عبد العزيز بن عبيد السلمي مكتبة الحرمين.

٩ ـ أحكام المرأة في القرآن د. سيد الجميلي دار الكتاب العربي.

١٠ ـ المرأة المسلمة وهبي سليمان الغاوجي دار القلم.

١١ ـ المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي المكتب الإسلامي.

١٢ ـ الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة د. محمد البهي دار الإعتصام.

١٣ ـ المرأة المسلمة في وجه التحديات أنور الجندي دار الإعتصام.

١٤ ـ مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية نازك الملائكة تحقيق محمد عيد العباسي.
١٥ ـ المرأة المسلمة لنذير حمدان دار القبلة للثقافة الإسلامية.
١٦ ـ الموضة في التصور الإسلامي الزهراء فاطمة بنت عبد الله مكتبة السنّة
١٧ ـ مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية عبد الرحمن الواصل دار الشروق.
١٨ ـ المرأة في سوق النخاسة العالمي محمد أحمد معبر القحطاني دار الوفاء.
١٩ ـ رسالة في أحكام الغناء ابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي دار طيبة.
٢٠ ـ المهذب للشيرازي تحقيق محمد الزحيلي ط دار القلم دمشق.
٢١ ـ فقه السنة السيد سابق ط الفتح للإعلام العربي.
٢٢ ـ وحي القلم مصطفى صادق الرافعي ط دار الكتاب العربي.
٢٣ ـ عودة الحجاب ١ ـ ٢ محمد أحمد إسماعيل المقدم ط دار طيبة.
٢٤ ـ تأملات في المرأة والمجتمع محمد المجذوب مؤسسة الرسالة.
٢٥ ـ الحلال والحرام في الإسلام د. يوسف القرضاوي المكتب الإسلامي.
٢٦ ـ اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية د. محمد عبد العزيز عمر مؤسسة الرسالة.
٢٧ ـ فتح الباري ابن حجر الطبعة السلفية.
٢٨ ـ أحكام النساء لابن الجوزي تحقيق: عبد القادر أحمد عبد القادر دار الوفاء القاهرة.
٢٩ ـ المرأة بين الفقه والقانون د. مصطفى السباعي المكتب الإسلامي.
٣٠ ـ المسؤولية الجسدية في الإسلام عبد الله إبراهيم موسى.
٣١ ـ الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت.

٣٢ ـ حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة السيد محمد صديق حسن خان. القنوجي البخاري تحقيق: د. مصطفى الخن ـ محي الدين مستو ـ مؤسسة الرسالة.
٣٣ ـ الثقافة الجنسية وتنظيم الحمل د. هاني عرموش ـ دار النفائس.
٣٤ ـ صحيح البخاري
٣٥ ـ صحيح مسلم
٣٦ ـ مسند الإمام أحمد
٣٧ ـ سنن الترمذي
٣٨ ـ سنن النسائي
٣٩ ـ سنن ابن ماجه
٤٠ ـ كشف الأستار
٤١ ـ الطبقات الكبرى
٤٢ ـ حلية الأولياء
٤٣ ـ المغني
٤٤ ـ سنن أبي داود
٤٥ ـ نيل الأوطار
٤٦ ـ نهاية المحتاج
٤٧ ـ مغني المحتاج
٤٨ ـ تفسير فتح القدير
٤٩ ـ الفتاوى الهندية
٥٠ ـ حاشية ابن عابدين
٥١ ـ السنن الكبرى للبيهقي
٥٢ ـ بدائع الصنائع
٥٣ ـ المحلّىٰ
٥٤ ـ فردوس الأخبار

٥٥ ـ فيض القدير
٥٦ ـ كفاية الأخيار
٥٧ ـ زاد المعاد
٥٨ ـ مجلة منار الإسلام
٥٩ ـ بداية المجتهد
٦٠ ـ الفتاوى لشلتوت
٦١ ـ الإحياء
٦٢ ـ مجمع الزوائد
٦٣ ـ المعجم الكبير
٦٤ ـ الترغيب والترهيب
٦٥ ـ تفسير وبيان مع الفهارس للحمصي

عدا المراجع الأخرى المثبتة في هامش الكتاب

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تخويف النساء من الذنوب	١٢
المبحث الأول في النظر	**١٥**
تحريم النظر إلى الرجال الأجانب والنهي عنه	١٧
النظر للعورات	١٨
النظرة من سهام إبليس	١٩
النظرة فاتحة الشر	٢٠
توجيه آية ﴿وقل للمؤمنات يغضضن﴾	٢٠
النظر بريد الزنى	٢١
النظر من النوافذ	٢٤
أفعمياوان أنتما	٢٥
النظر فتنة	٢٥
نظر الفجاءة	٢٧
غض البصر من حق الطريق	٢٨
النظرة البريئة	٢٩
نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي	٢٩
نظر المرأة إلى محارمها من الرجال	٣١

الموضوع	الصفحة

النظر بين النساء المسلمات ٣٢
نظر غير المسلمة إلى المسلمة ٣٣
النظر بين الزوجين ٣٧
نظر المخطوبة إلى الخاطب ٣٩
الغرض من النظر ٤٠

المبحث الثاني في الزنىٰ ٤٣
القرب من الزنى ٤٥
الزنى قرين القتل ٤٦
أخلاق الزانية ٤٨
الزانية ملعونة مغضوب عليها ٤٨
الزانية لا يستجاب دعاؤها ٤٩
الزاني يفقد الإيمان ٤٩
الزنى يورث غضب الله ٥٠
ما تصنع المرأة إذا زنت ٥١
رد شهادة الزانية والخائنة ٥٢
مهر البغي وكسب الإماء ٥٣
إذا أتت المرأة بفاحشة أخذ مهرها ٥٣
الزنى والصحة ٥٥
بعض الأسباب الداعية للبغاء ٥٩

المبحث الثالث في الجهاز التناسلي ٦٣
تشريعات وقائية للجهاز التناسلي ٦٥
المطلب الأول: اعتزال الحائض والنفساء ٦٥
المطلب الثاني: اتقاء الدبر ٦٧

الموضوع	الصفحة

بعض التصرفات الحديثة في الجهاز التناسلي: ٦٩
المطلب الأول: التلقيح الصناعي ٦٩
١ ـ التلقيح الطبيعي ٧٠
٢ ـ كيف يتم التلقيح الصناعي ٧٠
٣ ـ الصورة المشروعة للتلقيح الصناعي ٧١
٤ ـ الصور غير المشروعة للتلقيح الصناعي ٧٣
المطلب الثاني: استخدام المني في التجارب ٧٦
المطلب الثالث: تأجير الأرحام ٧٧
حكم التلقيح الصناعي ٧٩

المبحث الرابع الشذوذ الجنسي ٨١
تعريف الشذوذ ٨٣
أقسام الشذوذ ٨٣
١ ـ اشتهاء الشبيه ٨٣
٢ ـ الرجلة من النساء ٨٣
٣ ـ الإختلاسية ٨٤
٤ ـ السادية والماسوشية ٨٤
٤ ـ التخنث (تشبه الرجال بالنساء) ٨٥
٥ ـ اشتهاء الأطفال ٨٥

المبحث الخامس السحاق ٨٧
حكم السحاق ٨٩
أثره على الغسل ٩٠
أثره على الصوم ٩١
عقوبة السحاق ٩١

الموضوع	الصفحة

نظر المساحقة إلى المرأة المسلمة ٩١
رد شهادة المساحقة ٩١
حرمة استمتاع النساء بالنساء ٩٢
كيف يكون السحاق ٩٢

المبحث السادس في العادة السرية ٩٥

العادات السرية ٩٧
مضار العادة السرية ٩٨
مكافحة العادات السرية ١٠٠
علاج العادة السرية ١٠١
في علاج العادة السرية ١٠٢
العادة السرية للمرأة ١٠٣
أضرار العادة السرية ١٠٤
١ ـ إدمان العادة السرية ١٠٤
٢ ـ البرود الجنسي ١٠٤
٣ ـ إرهاق الجسد ١٠٥
٤ ـ أمراض نسائية ١٠٥
٥ ـ خطر الأدوات المستعملة ١٠٥

المبحث السابع في إسقاط الحمل ١٠٧

حكم إسقاط الحمل ١٠٧
إثم المرأة إذا تعمدت الإسقاط ١١٠
كفارة الإسقاط ١١٠

المبحث الثامن في التبرج ١١٣

النهي عن التبرج ١١٥

الموضوع	الصفحة

تبرج المجتمع المتحضر ١١٥
عدوى التبرج ١٢٠
التبرج والمدنية ١٢٢
المقصود بالتبرج ١٢٥
تبرج الجاهلية الأولى ١٢٦
تحريم التبرج والزينة والنهي عنهما ١٢٨
المراد بالزينة ١٢٩
من أحكام الآية الكريمة التي وردت فيها الزينة ١٣٢
شبهة وردها ١٣٥
نصيحة للأمهات ١٣٨

المبحث التاسع في الملابس والأزياء ١٣٩

ملابس النساء ١٤١
أزياء النساء ١٤٣
الواجب على المرأة المسلمة تجاه المدنية الحديثة ١٤٦
تراجع دعاة هدم الحجاب ١٥١
أقوال بعض المنصفين الأجانب ١٥٢
النساء العاريات وتصويرهن ١٥٤

المبحث العاشر في الإختلاط ١٥٧

النهي عن اختلاط الجنسين والتحذير منه ١٥٩
النساء والخدم ١٦٠
المسلم والأجنبية ١٦١
الأمان في عدم الإختلاط ١٦١
لماذا أمر الدين بعدم الإختلاط ١٦٢

الموضوع	الصفحة

مضار الإختلاط ١٦٣
الموضة والإختلاط ١٦٥
فتنة الإختلاط ١٦٦
المبحث الحادي عشر الرقص ١٧١
فتنة الرقص ١٧٣
الرقص آفة محرمة ١٧٣
صور مخجلة ١٧٤
عبرة من الجامعة ١٧٥
هل الرقص فن ١٧٧
بعض مآسي الرقص ١٧٨
من أمثلة الإنحلال الخلقي عند الغربيين ١٧٩
المبحث الثاني عشر في وصف النساء للرجال ١٨١
وصف النساء للرجال ....
حفظ أسرار الزوجية ١٨٣
نهي المرأة أن تصف المرأة لزوجها ١٨٤
إفشاء السر من الزوجين ١٨٤
حكم وصف النساء للرجال ١٨٦
الأسباب المانعة للوصف ١٨٩
المبحث الثالث عشر في الدخول في البيوت ١٩١
الدخول على النساء ١٩٣
الإستئذان قبل الدخول ١٩٦
المبحث الرابع عشر في التطيب ١٩٩
نهي المرأة عن التطيب أثناء خروجها من البيت ٢٠١

الموضوع	الصفحة

نهي بعض الصحابة النساء عن التطيب أثناء الخروج ٢٠١
طيب النساء ٢٠٢
المبحث الخامس عشر في وسائل التجميل ٢٠٣
بعض الأدلة على حرمة وسائل التجميل ٢٠٥
الدليل على تحريم فعل الواصلة ٢٠٦
دليل النهي عن تطويل الأظافر ٢٠٨
آفات التحريم ٢٠٨
١ ـ تغيير خلق الله ٢٠٨
٢ ـ التغرير ٢٠٨
٣ ـ التشبه ٢٠٩
٤ ـ الإبتداع ٢٠٩
٥ ـ الضرر ٢١٠
وسائل التجميل العصرية (الماكياج) ٢١٠
١ ـ الدهون والمساحيق ٢١٠
٢ ـ طلاء العينين ورموشها ٢١٠
٣ ـ أحمر الشفاه ٢١١
٤ ـ مزيف الشعر ٢١١
٥ ـ الكعب العالي ٢١١
لمن تتجمل المرأة ٢١٣
نصيحة للسيدات ٢١٥
التجمل بالأزياء والمودات والمساحيق ٢١٥
المضار الناتجة عن التجمل الصناعي ٢١٦
خطر التأنق ٢١٧

الموضوع	الصفحة
المبحث السادس عشر في الخلوة	**٢١٩**
الخلوة بالأجنبي	٢٢١
بعض مآسي الخلوة	٢٢٢
علة النهي عن الإختلاط	٢٢٤
خلوة الطبيب والمدرس	٢٢٤
الخلوة من وسائل الزنا	٢٢٦
المبحث السابع عشر في السفر	**٢٢٩**
سفر المرأة وحدها من غير زوج أو محرم	٢٣٠
فتنة سفر المرأة وحدها	٢٣٧
المبحث الثامن عشر في المصافحة ولمس البشرة	**٢٣٥**
مس المرأة للأجنبي	٢٣٧
مصافحة النساء ولمس بشرتهن	٢٣٧
هدي الرسول ﷺ في المصافحة	٢٣٧
حجج واهية في المصافحة	٢٣٩
غيرة الإسلام على المرأة	٢٤٠
ما أجمل الالتزام بأدب الإسلام	٢٤١
المبحث التاسع عشر في الحمامات	**٢٤٣**
حكم دخول المرأة الحمامات العامة	٢٤٥
ما تراه الكافرة من المسلمة	٢٤٨
دخول المرأة الحمام لغير ضرورة	٢٤٨
المبحث العشرون في الجنائز والقبور	**٢٥١**
اتباع الجنائز للنساء وزيارة القبور	٢٥٣

الموضوع	الصفحة

النوح على الميت ٢٥٤
عقوبة النائحة ٢٥٦
الترخيص في البكاء بغير نوح ٢٥٦
هدى الإسلام في الحداد على الميت ٢٥٧
المبحث الحادي والعشرون في الخروج من البيت ٢٥٩
خروج المرأة ٢٦١
آداب خروج المرأة ٢٦٢
شروط خروج المرأة من البيت ٢٦٤
محاذير الخروج للعمل ٢٦٤
أقوال حول عمل المرأة خارج البيت ٢٦٥
تحذير المرأة من الخروج ٢٦٧
أعيدوا المرأة للبيت ٢٦٨
طبيب يعلن النفير العام للأطباء لإنقاذ العاملات ٢٧٩
لماذا تعمل النساء ٢٧٢
أسباب خروج المرأة الأوربية لتعمل خارج البيت ٢٧٢
التصور الخاطىء لوجود المرأة بالبيت ٢٧٤
الحنين إلى العهد الماضي ٢٧٥
صلاة النساء في البيوت والترهيب من الخروج منها ٢٧٧
المبحث الثاني والعشرون في التحرر ٢٨١
تحرير المرأة ٢٨٣
السفور ـ الإختلاط ـ العمل ٢٨٣
التعليم المشترك ٢٨٤
المساواة ٢٨٥

الموضوع	الصفحة
الحرية الشخصية للمرأة الغربية	٢٨٥
فتنة تحرير المرأة	٢٨٦
أوربيون عابوا تحرير المرأة	٢٨٨
المبحث الثالث والعشرون في اللباس والزينة	**٢٩١**
بدعة اللباس والزينة الحديثة	٢٩٣
ضوابط الزي الإسلامي	٢٩٦
مؤامرة الأزياء	٢٩٦
حول ملكات الجمال	٢٩٨
المبحث الرابع والعشرون في تغيير خلق الله	**٣٠١**
تغيير خلق الله	٣٠٣
الباروكات	٣٠٣
الواصلة والمستوصلة	٣٠٤
الوشم	٣٠٦
الوشر	٣٠٧
الفلج	٣٠٧
ترقيق الحواجب	٣٠٧
جراحات التجميل	٣٠٨
من مآسي جراحة التجميل	٣٠٨
وصل الشعر جاهلية قديمة	٣٠٩
المغيرات خلق الله	٣١١
المبحث الخامس والعشرون في التشبه	**٣١٣**
تشبه النساء بالرجال	٣١٥

الموضوع	الصفحة

نهي المرأة عن حلق الرأس ٣١٦
تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال ٣١٦
المبحث السادس والعشرون في التصوير ٣٢١
الصور واقتناؤها ٣٢٣
تصوير المرأة للدعاية ٣٢٤
المبحث السابع والعشرون في الزواج ٣٢٧
المتزوجات يحرم عليهن الزواج ٣٢٩
الأخت يحرم عليها الزواج على أختها ٣٣٠
زواج المسلمة من غير المسلم ٣٣٠
زواج المسلمة بالأجنبي ٣٣٢
زواج المتعة ٣٣٣
حق الزوج على زوجته ٣٣٥
عدم النشوز والشقاق ٣٣٥
المطلقة تبقى في بيت الزوجية مدة العدة ٣٣٨
طلب الطلاق من الزوج ٣٣٨
وجوب طاعة الزوج وحقه على المرأة ٣٣٨
شكر الزوج والإعتراف بفضله ٣٤١
سخط الزوج على زوجته ٣٤٢
إيقاظ الزوجة زوجها للصلاة ٣٤٢
تزويج البنت إذا بلغت ٣٤٣
النشوز ٣٤٤
المبحث الثامن والعشرون في الغناء ٣٤٩
الغناء من مصايد الشيطان ٣٥١

الموضوع	الصفحة
حكم الغناء	٣٥٢
سماعه من المرأة	٣٥٢
الغناء لهو الحديث	٣٥٤
الغناء رقية الزنا	٣٥٥
رفقاً بالقوارير	٣٥٦
صوتان ملعونان	٣٥٨
المرأة والصوت	٣٥٩
اللهو المباح في العرس	٣٦١
المبحث التاسع والعشرون في الصحافة والكتب والمجلات	**٣٦٣**
عمل الصحافة في سبيل إفساد المرأة المسلمة	٣٦٥
آثار أدب الجنس في الغرب	٣٦٧
انهيار الشباب في الغرب نتيجة لأدب الجنس	٣٦٧
صور الجنس في الكتب والمجلات	٣٦٨
المبحث الثلاثون في المراهقة	**٣٧٣**
مرحلة المراهقة للفتيان والفتيات	٣٧٥
الشباب وجنون العاطفة	٣٧٦
الفتاة التي تلعب بالنار	٣٧٩
نصيحة أشهر ممثلة في الإغراء للمراهقات بعد انتحارها	٣٨٤
كيف تعيش ممثلات هوليود	٣٨٥
المبحث الحادي والثلاثون في بعض المحرمات على النساء	**٣٨٧**
كشف العورة في الصلاة	٣٨٩
خروج المرأة للصلاة	٣٨٩

الموضوع	الصفحة
الصوم إلا بإذن الزوج	٣٩٠
الغيرة	٣٩٠
النهي عن تعليق التمائم	٣٩٠
إثم الجار	٣٩٠
النهي عن حبس الهرة	٣٩١
نهي النساء عن سب الحمى	٣٩١
نهي الحائض عن دخول المسجد	٣٩١
منع المرأة العطية إلا بإذن زوجها	٣٩١
ولادة الأمة ربتها	٣٩٢
كتمان ما في الأرحام	٣٩٢
فسق النساء وطغيانهن	٣٩٣
خيانة الأنثى	٣٩٣
سخرية النساء فيما بينهن	٣٩٣
سؤال المرأة طلاق أختها	٣٩٤
المبحث الثاني والثلاثون في بعض الأحكام المتعلقة بالمرأة	**٣٩٥**
التلثم وغطاء الفم	٣٩٧
انتقاب المرأة في الصلاة	٣٩٧
رحمة المرأة للحيوان	٣٩٨
تعزية الثكلى	٣٩٨
لزوم المرأة بيتها بعد قضاء فرض الحج	٣٩٨
شهادة النفساء وبكائها على الموتى	٣٩٩
عتق النساء المؤمنات	٤٠٠
إجابة المرأة المؤذن	٤٠١

الموضوع	الصفحة

المبحث الثالث والثلاثون في أحكام تخالف فيها المرأة الرجل . ٤٠٣

الأحكام التي تخالف فيها المرأة الرجل ٤٠٥

كلمة أخيرة ٤٠٩

المراجع ٤١٣